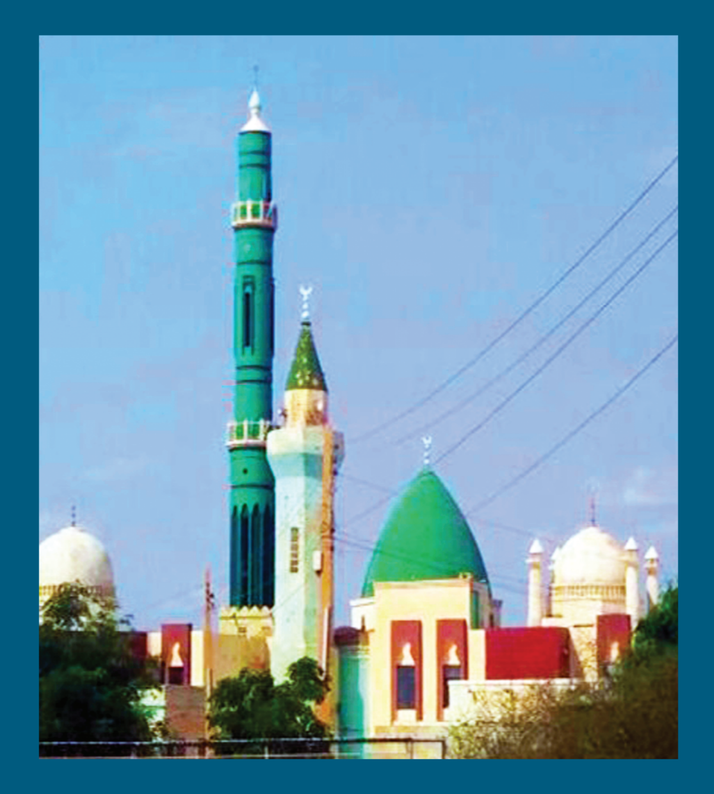
سلسلة مطبوعات الطريقة السمانية – أم عيدان



مجدد التصوف في السودان



الشيخ أحمد الطيب بن البشير

(1742- 1824)

الدكتور عبد الجليل عبد الله صالح



2020

سلسلة مطبوعات الطريقة السمانية – أم عيدان

مجدد التصوف في السودان

الشيخ أحمد الطيب بن البشير

«1742 - 1824»

الدكتور. عبد الجليل عبد الله صالح



الكتاب: مجدد التصوف في السودان الشيخ أحمد الطيب بن البشير1742-1823م
الكاتب: الدكتور.عبد الجليل عبد الله صالح

تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2020
رقم الإيداع:00000000000



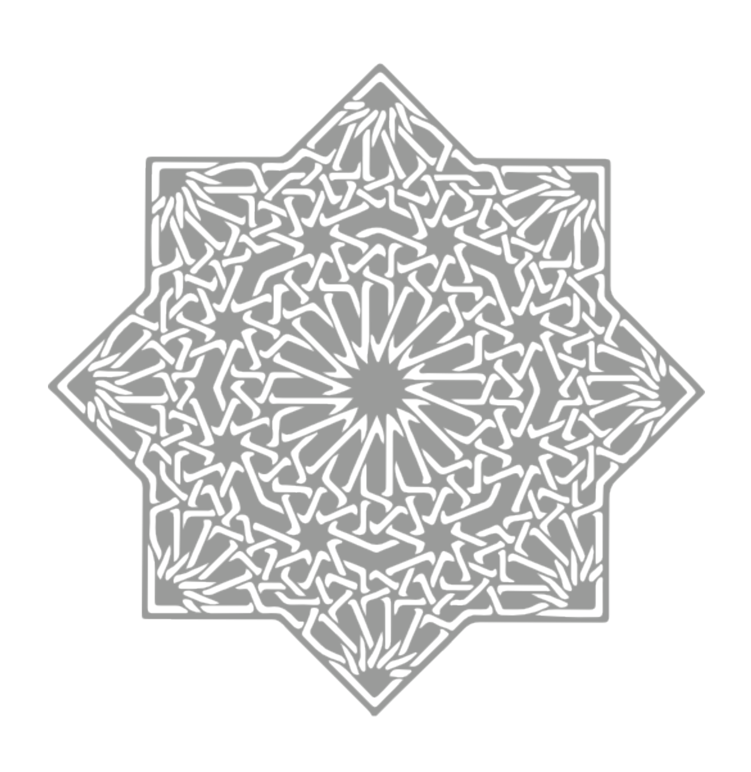
السودان ـ ام درمان
+249 923317042
+249 912137486
+249 123987321
Email : husham.alrawe2017@gmail.com

المدير المسؤول: هشام ضياء الدين

التصميم والإخراج الفني:الفنان التشكيلي بكري خضر



محتويات الكتاب

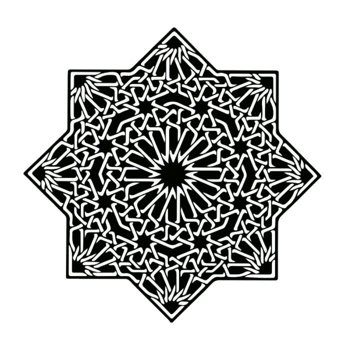




الإهداء

إلى حضرة مولانا الأستاذ الشيخ حسن الشيخ البكري حفيد المجدد مع دوام الصحة والعافية





المقدمة

يحاول هذا الكتاب تناول تعاليم وملامح التجديد التي جاء بها الشيخ أحمد الطيب ابن البشير (١٧٤٢ - ١٨٢٣م) مبشرا بوصول مبادئ وأسس ماأصطلح عليه باسم الصوفية الجديدة neo–Sufism وأثر هذه التعاليم على المحيط المحلي والخارجي خصوصا في بعدها الافريقي.

ان عبارة الصوفية الجديدة neo – Sufism تتكون من كلمتين نيو وصوفية. كلمة neo تعني شيئا جديدا او مستحدثا، بينما كلمة صوفية Sufism تعني الاسم الشائع الذي يشير الى العديد من المسارات streams (القاموس الاندلوسي ٢٠٠٥، ص١٠٩٧–٧٧٩). وعليه فان عبارة الصوفية الجديدة يمكن تعريفها كشكل جديد من الصوفية او تجديد الصوفية في الاسلام.

وقد ذكر ان الصوفية الجديدة استخدمت من قبل العلماء لتصف مجموعة من حركات الاسلام التجديدية في نهاية القرن الثامن عشر وائل القرن العشرين. حيث ان الشعور بالتجديد والاصلاح في التصوف تطور منذ فترة طويلة. ويعتبر العالم البكستاني فضل الرحمن أول[1] من اطلق هذا اللفظ

١ فضل الرحمن (١٩١٩-١٩٨٨) مفكر إسلامي باكستاني كبير، ترك بعد وفاته تراثا لا يزال متداولا بالبحث والتحليل في أغلب الجامعات الغربية والمنتديات الثقافية العالمية. ولد في مقاطعة حزرة في باكستان. أبوه مولانا شهاب الدين كان عالما من علماء ديوبند في الهند. أخذ فضل الرحمن على يد والده تكوينه الأول خصوصا في تفسير القرآن والحديث وعلم الكلام والفلسفة. ثم التحق فضل الرحمن وهو حديث السن بجامعة البنجاب حيث تحصل فيها على شهادة (maîtrise) أي ما يعادل البكالوريوس في اللغة العربية. سافر بعد ذلك إلى إنجلترا للالتحاق بجامعة أكسفورد وهنالك ناقش رسالته المتعلقة بالفلسفة عند ابن سينا.

رغم اهتمام فضل الرحمن الشديد بالفلسفة كان كثير الانغماس في العلوم الإسلامية التقليدية بما في ذلك التاريخ وعلم الأخلاق.

ما إن تخرج حتى شرع في تدريس الفلسفة الإسلامية في جامعة درهام بإنجلترا من سنة ١٩٥٠م إلى سنة ١٩٥٨م. ثم تقلد منصب أستاذ مشارك في معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماكجيل (McGill) بكندا.

وفي عام ١٩٦١ دعاه رئيس باكستان الجنرال محمد أيوب خان ليشرف على معهد إسلامي للبحوث في إسلام أباد، ومن صلاحيات هذا المعهد إيجاد توجّه جديد في كيفية التعليم والبحث الإسلاميين. لكن التعليمات والتوجيهات التي ّقدمها فضل الرحمن والتي صادفت صدور كتابه «الإسلام»، أثارت غضب الأوساط المحافظة التي ردت علية

والمســمى اي مســمى الصوفيــة الجديــدة neo– Sufism (عبــد الجليــل: ٢٠١٧).

كانــت بلــورة الإجتهــاد الروحــاني في القــرن الخامــس عــشر مــن قبــل الشــعراني قــد ســقت وروت «الصوفيــة الإصلاحيــة» في العمــق، أقصــد الصوفيــة التــي ظهــرت في النصــف الثــاني مــن القــرن الثامــن عــشر وبدايــات القــرن التاســع عــشر. أدان أتبــاع هــذه الصوفيــة الجديــدة إنحرافــات الطــرق الشــعبية بقــدر مــا أدانــوا التكلــس والتحجــر الــذي أصــاب فئــة الفقهــاء وأوســاطهم داعــين في ذات الوقــت إلى اتبــاع (الطريقــة المحمــدي). وفي رأيهــم أن هــذه الطــرق هــي وحدهــا القــادرة عــلى تجــاوز الإنتــماءات الطرقيــة المتعصبــة، والإمتثاليــة الفقهيــة الضيقــة، مــن أجــل إعــادة الصلــة المبــاشرة مــع الشريعــة التــي كانــوا يتصورونهــا بالمعنــى النبيــل للكلمــة: أي «كمعيــار أو نامــوس الهــي». وعــن طريــق عبــارات مقتضبــة وعــرة أحيانــا أوصــوا بالعــودة بالعــودة إلى معلــم المعلمــين وســيدهم: أي النبــي شــخصيا. وكل ذلــك عــن طريــق محاولتهــم ان يعيشــوا داخليــا نموذجــه وقدوتــه وطريقــة حياتــه (أي ســنته)، ثــم عــن طريــق الدخــول في احتــكاك معــه بشــكل لطيــف لبــق. وأصبحــت رؤيــة النبــي في المنــام أو عــن طريــق حلــم اليقظــة في منيــة المنــى، أصبحــت هــي الطريقــة المعرفيــة التــي تتيــح لهــم أن يتجــاوزا الوســاطات الدينيــة التقليديــة. كل هــؤلاء الشــيوخ و»المريديــن» وجــدوا انفســهم مدعومــين مــن قبــل حديــث نبــوي مشــهور للنبــي يقــول فيــه: « مــن رآني في المنــام فقــد رآني فــان الشــيطان لايتمثــل في صــورتي».

بالطبــع فالالتحــاق بطريقــة مــا أو عــدة طــرق يظــل هــو القاعــدة الســائدة. وذلــك لان هــذه الطــرق تظــل هــي «الســبل» الموديــة إلى النبــي. [1]

والصوفيــة الجديــدة تتســم بالنزعــة الايجابيــة نحــو الدخــول المبــاشر في شــئون العــالم، عــلى النقيــض مــن الصوفيــة التقليديــة traditional Sufism ((Knysh ٢٠٠٢ p ١٤٢.

ودعــاة الصوفيــة او الصوفيــون الجــدد عــلى الطــرف الاخــر او النقيــض مــن الصوفيــون التقليديــون مــن منظــور اهتمامهــم باعــادة بنــاء المجتمــع المســلم اجتماعيا،

كتــب فضــل طــوال حياتــه كُتبًــا حــول الإســلام والتجديــد والإصــلاح أهمهــا ربمــا (الإســلام والحداثــة)، و(المســائل الكبــرى فــي القــرآن. (تُوفِــيَ فضــل الرحمــن فــي يوليــو عــام ١٩٨٨م.

١ إريك يونس جوفروا. المستقبل للاسلام الروحاني (ترجمة هشام صالح). القاهرة ص١٣٢،ص٢٠١٦.

واخلاقيا). حيث ان مايشغلهم او محط اهتمامهم دراسة الحديث النبوي.

فالصوفية الجديدة هي حركات اصلاح ولها النزعة التجديدية ؛ ظهرت كشكل مختلف مما كان سائدا او موجودا من طرق صوفية من ذي قبل (O'Fahy &Radtke، ١٩٩٣، p٥٦).

ولعل السمات العامة لهذه الطرق المركزية التالي:

مايميز مدارس الصوفية الجديدة إهتماها بالعلم، فبعد أن إنتشرت أسس وقواعد العلم، كان المجتمع قد بدا في الزحف نحو التطور، وكان على استعداد لتلقى ماهو جديد، فكان المد الجديد عبر تعاليم هذه الطرق والمدارس التي اطلق عليها البعض «موجة حركات الإصلاح والتجديد « القادمة بقوة من الحجاز والمغرب.

نتيجة لقدوم هذه الموجة التجديدية كان هنالك اثرا واضحا في انتشار وظهور نمط جديد من الشعر والنثر لم يكن مالوفا فترة الفونج. حيث بات الشعر ينظم ويصاغ وينشد حاملا مدلول مفاهيم النور المحمدي، الحقيقة المحمدية. وبالتطور الذي كان سمة لطرق السمانية، التجانية، الإدريسية (منها الختمية) كانت في بداية أمرها مرتبطة بمسمى «الطريقة المحمدية».

١- العمل على السير على نهج النبي وقدوته وطريقة حياته (أي سنته)

٢- الإهتمام بالعلم.

٣- الحرص على التمسك والتقيد بالشريعة.

التاكيد على التعاليم الاخلاقية الاجتماعية.

الاتحاد مع روح النبي، بالتاكيد على «الطريق المحمدي او الطريقة المحمدية».

الذهاب نحو شرعنة تلقي الاب المؤسس للطريقة الصلوات، الاوراد والسلطة مباشرة من النبي.

خلق شبكة من المنظمات بشكل هرمي تاتي تحت سلطة المؤسس واحيانا من قبل اسرته.

تاكيد تجديد في دراسات الحديث.

رفض التقليد، وتاكيد الحق في ممارسة الاجتهاد.

الرغبة في اخذ اجراءات سياسية او احيانا قتالية في الزود عن الاسلام.١

مؤسسو هذه الطريقة اي «الصوفية الجديدة» في السودان كانوا ايما سودانيون درسوا في الحجاز وتحصلوا على الاجازة من هناك مثل الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة السمانية في السودان والمجذوب الذي تنسب اليه الطريقة المجذوبية، وايما كان من اصل حجازي كالسيد محمد عثمان الميرغني والذي ينحدر من اسرة حجازية. هولاء لم تزل لهم علاقات قوية في الحجاز. وكل هولاء المؤسسين يعتبرون من طائفة العلماء.

هذه الطرق– neo–Sufi orders – بقدومها الى السودان كانت قد خضعت الى عملية تحول « محلية». بعبارات اخرى هذه الطرق ومن اجل ايجاد ارضية لها وسط الجماهير السودانية كان عليها تبني شخصية الولي، والشيخ الصوفي الذي بامكانه الاتيان بالكرامات، تلك السمة التي كانت سائدة وقتذاك.٢

بدخول القوات التركية الغازية للبلاد في العام ١٨٢٠ فان التطور الاسلامي السوداني ان صح التعبير والذي دشنته وصول تعاليم الصوفية الجديدة، جاء فجاءة ليصطدم بمعضلة اتجاهات اسلمة جديدة اخذت الطابع الرسمي الذي تمثل في جلب العلماء الذين جاءوا بصحبة الحملة الغازية والتي ترتب عليها ظهور طبقة «رجال الدين او علماء السلطان».

بنهاية القرن الثامن عشر بدا تطور افكار الصوفية الجديدة في الدخول الى اراضي الفونج، اولا عبر الحجاج السودانيون الذين درسوا تحت اعلام

١ Abdulgalil.A.Salih. Muhammad b. Abdal-Karim al-Samman, ٢٠١٧, p٥١-.

٢ المصدر نفسه، ص٥٢.

الصوفية الجديدة في الحرمين. دخلت الخلوتية المنسوبة للشيخ مصطفى البكري السودان عبر السمانية، والتي تاسست في الحرمين بواسطة الشيخ محمد بن عبد الكريم السماني تلميذ البكري.

نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية في أواخر القرن السابع عشر، ولقد كانت الطرق التي ظهرت في هذه الفترة ذات اتجاه تجديدي مثل السمانية والختمية والإسماعيلية، ولقد اهتمت هذه الطرق اهتماما كبيرا بالدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمهم ومبادئهم.[1]

في كتابه «بحوث في تاريخ السودان» يكتب الدكتور محمد إبراهيم أبوسليم (١٩٢٧-٢٠٠٤)، «عرف السودانيون التصوف منذ أزمان بعيدة وقد بلغنا من خبره ماهو متصل بالطرق الكبيرة التي عرف المبشرون بها في السودان كالشاذلية والقادرية. ولما كان الجانب الأخير من عصر الفونج بلغت هاتان الطريقتان مبلغا من الضعف وأضحى ميسورا أن تظهر في معاقلهما طرق جديدة وأفدة كالسمانية والختمية. وقد وفدت هاتان الطريقتان من الحجاز وحملتا رافدا كثيفا من القوة والصحة لتأثرها بالتيارات الفكرية الإصلاحية، التي كانت تسود العالم الإسلامي وتتجمع خيوطها في مكة.[2]

يرى أبوسليم أن هذه المرحلة جاءت نتيجة لمؤثرات الحجاز القوية في أواخر القرن السابع عشر، ومن هنا ظهرت الطرق ذات الأتجاه التجديدي مثل: السمانية، والختمية، والإسماعيلية، والمجذوبية المجددة. وقد كان مؤسسوها من العلماء، وأعطوا اهتماما بالغا بالتبشير. وقد عنيت الختمية أساسا بالمدن والمجتمعات المستقرة. أما السمانية فقد وجهت الكثير من الجهد نحو مناطق الجزيرة والنيل الأبيض. والإسماعيلية وجهت كثيرا من عنايتها نحو نشر الإسلام في جبال النوبا. ثم وفدت التجانية التي استقر أحد دعاتها في منطقة بربر ومد نفوذها في قطاع من العلماء كان لهم شأن بعيد، بينما امتد جناح

١ طارق أحمد عثمان. الختمية في السودان. ٢٠١٧, .https://www.noor-book
-A٩٪٨A٪D٨٪D٩٪B٣٪D٨٪A٧٪٨A٪D٨٪D٩٪B٣٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪٨٨٪D٩-A٨٪D٨٪A٧٪AA٪D٨٪D٨٪٨٣٪com/٪D٩
pdf

٢ محمد إبراهيم أبوسليم. بحوث في تاريخ السودان. دار الجيل بيروت، ١٩٩٢، ص- ٢٧.

آخـر منهـا مـن حـوض تشـاد إلى دارفـور وكردفـان. [1]

تمكـن الشـيخ أحمـد الطيـب بفضـل علمـه وحكمتـه مـن اسـتقطاب العديـد مـن المريديـن، وتميـزت طريقتـه بالتنظيـم الدقيـق والكيـان المركـزي والمشـيخة الموحـدة. وقـد حـرر الشـيخ أحمـد الطيـب التصـوّف في السـودان مـن كثـير مـن أوجـه الغلـو والممارسـات الخاطئـة، وأولى الجانـب الفكـري والفلسـفي للتصـوّف عنايـة خاصـة.[2]

تلقـن الحـاج مـن السـودان الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير الطريقـة في المدينـة، ومـن ثـم اخذهـا الى السـودان في العـام ١٨٨٠م. وكان قـد حقـق نجاحـا في كسـب الـولاء لاسر ريئسـية وعريقـة التاسـيس، وانتـشرت الطريقـة بشـكل سريـع. وفـرع السـمانية في السـودان ضـم في نهايـة القـرن التاسـع عـشر المقاتـل الاصـولي محمـد أحمـد، مهـدي السـودان.

ومـن مجموعـات الصوفيـة الجديـدة الاخـرى والهامـة التـي دخلـت السـودان في هـذا الوقـت (القـرن الثامـن عـشر) والتـي ارتبطـت بـا أحمـد بـن ادريـس، اسـتاذ الصوفيـة الجديـدة الشـهير في الحرمـين وشـمال افريقيـا، المجذوبيـة. كان محمـد المجـذوب الصغـير، احـد تلاميـذه (١٧٩٦-١٨٣٣)، وهـو مـن الاسر السـودانية العريقـة ، وعنـد عودتـه الى السـودان كان المجـذوب والـذي اسـس طريقتـه كان نشـطا.

والطريقـة السـودانية الريئسـية الاخـرى والتـي اقتفـت اثـر أحمـد بـن ادريـس كانـت الختميـة، والتـي دخلـت السـودان في اوائـل القـرن التاسـع عـشر عـبر السـيد محمـد عثـمان الميرغنـي.

بوصـول هـذه الطريقـة او ماعـرف بالصوفيـة الجديـدة فـان الاسـلام السـوداني كان قـد دخـل مرحلـة جديـدة في نهايـة القـرن الثامـن عـشر. ان الاسـلوب الجديـد هـو ان هـولاء الاسـاتذة كان اكثـر تمسـكا والتزامـا بتعاليـم الاسـلام، اكثـر ممـا كان هـو كان عليـه الزعـماء الدينيـين.٣

---

١ المصدر نفسه ص٢٥.

٢ /١٠١٥٣٣٩٧٧٣٩٥٤٢٨٥٦/posts/٦٠٧٨٦٩٤٢٨٥٥/https://www.facebook.com

٣ John O. Voll. Islam Contiunity and Change in the Modern World. Routledge, ٢٠١٨. ترجمة عبد الجليل عبد

وقـد تمثلـت هـذه الموجـة في كل مـن السـمانية والتـى دخلـت الى السـودا في العـام ١٧٦٦، والطريقـة الختميـة والتـي يرجـع دخولهـا في العـام ١٨١٦م والطريقـة التجانيـة التـي يرجـح انهـا دخلـت في العـام ١٨٣٨ه، مظهـراً مـن مظاهـر الإصـلاح الدينـي الـذي أجتـاح الولايـات الجنوبيـة مـن الدولـة العثمانيـة.

قبـل الدخـول في تفاصيـل مدرسـة الشـيخ أحمـد الطيـب التجديديـة وتنـاول اراءه وتعاليميـه ضمـن ماعـرف بالصوفيـة- الجديـدة، كان لابـد لنـا مـن القـاء شي مـن الضـوء عـلى السـابق مـن الطـرق في السـودان قبـل ظهـور المذكـور مـن الطـرق اعـلاه.

تعـد الطريقـة القادريـة والطريقـة الشـاذلية صاحبتا الانتشـار الأول في السـودان. القادريـة جـاء انتشـارها عـن طريـق الشـيخ تـاج الديـن البهـاري الـذي قـدم السـودان في العـام ١٥٧٧م كـما ذهـب إلى ذلـك عـدد مـن المؤرخـين. فيـما كان الشـيخ الفقيـه حمـد أبـو دنانـة هـو مـن نـشر تعاليـم ومبـادئ المدرسـة الشـاذلية في البـلاد.

لاشـك ان التجديـد والاصـلاح همـا مـن الضروريـات التـي تفـرض نفسـها في جميـع الميادين والمجـالات كلـما تقـادم الزمـن ومـرت الايـام، فتـوالي الاحـداث وتعاقـب الأجيـال يـورث عـددا مـن المفاهيـم المغلوطـة والممارسـات الفاسـدة التـي تسـتوجب تدخـل مـن يُقـوم الإعوجـاج ويصحـح المفاهيـم١.

جـاء في لسـان العـرب: " الجـدّة هـي نقيـص البـلى، ويقـال شيء جديـد، وتجـدد الـشيء صـار جديـداً وهـو نقيـض الخلـق، وجـدّ الثـوب يجِـدّ (بالكـسر) صـار جديـداً، والجديـد مـا لا عهـد لـك به٢قـال الجوهَـريُّ: «جَـدَّ الـشيءُ يَجِـدُّ بالكـسر جِـدَّةً، صَـارَ جَدِيـداً، وهـو نَقِيـضُ الخَلَـق»(٣). وقـال أيضـاً: «وتَجَـدَّدَ الـشيءُ صَـارَ جَدِيـداً، وأجَـدَّهُ واسْـتَجدَّهُ، وجَـدَّدَهُ: أي صَـيَّرَه جَدِيـداً»(٤). وقـال

الله صالح

١ محمد مهدي منصور. التجديد في الفكر الصوفي.٢٠١٠ ص٣

٢ https://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/miscellaneous/harakt_altajdid_walistenhad/page/lesson2.htm

٣ انظر: الصحاح له (٢/٤٥٤) مادة (جدد).

٤ نفس المصدر السابق (٢/٤٥٤) المادة نفسها، وانظر أيضاً لسان العرب (٢/٢٠٢)، ومعجم متن اللغة (١/٤٨٥).

الأزهـريُّ: وقـال اللَّيـثُ :»الجـدُّ: نقيـضُ الهَـزْلِ ، يُقـالُ: جَـدَّ فـلانٌ في أمـرِه إذا كان ذا حقيقـةٍ وَمَضاءٍ...وأجَـدَّ ثوبـاً واسْـتَجدَّه...والجَدِيَدَانِ ، والأجَـدَّانِ: اللَّيـل والنَّهـار»(١).

والسـؤال الـذي يطـرح نفسـه مـن هـو المجـدد ؟. تذهـب بعـد التعريفـات في هـذا الاتجـاه لتقـول أن المجـدد الصـوفي هـو الرجـل العـالم العامـل الـذي وهبـه الله عـز وجـل النـور الكاشـف للظلـمات والشـبهات، ومنحـه الفقـه في ديـن الله، وتأويـل المتشـابهات، وفـك رمـوز الخفيـات مـن آيـات القـرآن، وحديـث رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وهـو الفـرد الـذي تتنـزل عليـه الفيوضـات والإلهامـات مـن العلـوم اللدنيـة، زيـادة عـلى ماحصّلـه مـن العلـوم الكسـبية والاجتهاديـة. وهـو العبـد الذي أتـاه الله رحمـة في قلبـه بعبـاد الله، حتـى قـام ببـذل مالديـه ليعيـد إلى الأذهـان مـا أنـدرس مـن آداب وأحـوال سـلوك السـلف الصالـح رضي الله عنهـم٢.

يحـاول الكتـاب الإجابـة عـلى مجموعـة مـن الأسـئلة منهـا هـل كان الشـيخ أحمـد الطيـب ابـن البشـير مجـددا للتصـوف الإسـلامي في السـودان. وهـل كان التصـوف الإسـلامي في السـودان في حاجـة إلي التجديـد؟ ماهـي ابـرز ملامـح التجديـد عنـد الشـيخ أحمـد الطيـب؟ ثـم مـا اثـر هـذا التجديـد في حركـة التصـوف السـوداني؟ ماهــي الشــواهد والأدلــة عــلى وجــود نزعتــه التجديديــة؟ وأخــيرا هــل مــن إسـتمرارية لهـذه النزعـة التجديديـة أم أنهـا انتهـت برحيلـه.

وعـن التعريـف بـه تكتـب سـيرته لتقـول هـو الشـيخ أحمـد الطيـب ابـن مولانـا البـشر وكان مـن الأوليـاء الصديقـن ، وهـو ابـن الـولي المشـهور، العـارف بـالله تعـالى سـيدي الشـيخ محمـد وكان ﵁ مـن خـواص العـارف بـالله تعـالى سـيدي الشـيخ حسـن ولـد حسـونة ﵁ وممـن ورث حالـه وهـو صاحـب الجامـع الباقـي إلى يومنـا هـذا (بـأم مـرح) وهـو ابـن سرور وكان مـن تلامذة سـيدي الشـيخ حسـن ولـد حسـونة، ينتهـي نسـبه عنـد سـيدنا العبـاس بـن عبـد المطلـب عـم رسـول الله.

ولـد رضي الله عنـه في (أم مرحـي) عنـد السـفح الغـربي لجبـل (السـلطان) الـذي يطـل عـلى نهـر النيـل مـن ضفتـه الغربيـة عـلى نحـو خمسـين كيلـو مـتراً شـمال أم

١ انظر: تهذيب اللغة (٤٦٢/١٠) ، مادة (جدد).

٢ فوزي محمد العبيد. المنهج الصوفي والحياة العصرية.

درمـان في العـام ١٧٤٢م.

وهـو مؤسـس لـلاسرة الطيبيـة هـذه الأسرة التـي وصفـت بـأنً لهـا الوراثـة الروحيـة والزمنيـة كـما أبـان ذلـك الأسـتاذ محمـد شريـف نـور الدائـم (١٨٤١- ١٩٠٧) في إحـدى قصائـده الشـهيرة حينـما قـال:

ولى عشرُ أجدادٍ على العلم والتقى ومن فوقهم كانوا على الملك والقهرِ١

ابتـدأ قـراءة القـرآن بمسـجد جـده الشـيخ محمـد ولـد سرور في (أمرحـي)، وبعـده أنتقـل إلى مسـجد الفقيـه ولـد أنـس العوضـابي بالجزيـرة (إسـلانج) أقـام أيامـاً قلائـل ثـم ارتحـل إلى مسـجد الفقيـه أحمدالفـزاري الفـرضي (بـأم طلحـة) فانتهـى بحفـظ القـرآن عليـه في أيـسر مـدة بروايـة أبي خفـص عمـر الـدوري وهو في الثالثـة عـشر مـن عمـره. وبعـد أن أتـم حفـظ القـرآن الكريـم رجـع إلى أم مرحـي حيـث مسـجد جـده الشـيخ محمـد بـن سرور، وعنـد وصولـه انتقـل إلى ملازمـة دروس علـماء زمانـه فقـرأ عليهـم: العشـماوية والعزيـة ثـم نظـم بـن عـاشر وبعـض شروحـه وبعـض شروح العزيـة وحواشـيها مثـل حاشـية الصفتـي، ثـم رسـالة أبي يزيـد القـيراواني وبعـض شروحهـا مثـل شرح أبي الحسـن ثـم أقـرب المسـالك وشرحـه وكلاهمـا للإمـام الدرديـر، إلى أن حصـل وتنبـل، واشـتهر بمعرفـة العلـم مـن بـين أقرانـه، ثـم تعلـق خاطـره بقـراءة مختـصر أبي الضيـاء الشـيخ خليـل بـن إسـحاق المالكـي رحمـه الله تعـالى، فـرآه مكتوبـاً عـلى قلبـه بمـداد مـن نـور أبيـض وعليـه بهـرام الكبـير. فاسـتغنى بذلـك عـن قراءتـه عـلى الأشـياخ.. ثـم كتـم سره عـن الظهـور، واختـار الخلـوة في الآصـال والبكـور، ولازم العـالم العلامـة الفقيـه سـعيد ولـد بـدري، وغـيره٢. كان سـيدي الشـيخ أحمـد الطيـب يقـوم الليـل ذكـراً خاشـعاً، أحيانـاً بتـلاوة القـرآن وتدبـر معانيـه وأحيانـاً بالصـلاة عـلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وكان ورده فيهـا اثنـي عـشر الفـاً في كل ليلـه.٣

سـلك الطريقـة السـمانية عـلي القطـب السـيد محمـد عبـد الكريـم السـمان (١٧١٧-١٧٧٥)، والـذي امـضى معـه سـبع سـنوات تلقـى خلالهـا علمـي الاصـول والوصـول.

١ عبد الجليل عبد الله صالح. السمانية، مصدر سابق ص- ٧٧.

٢ http://www.tabatalmahmoud.com/vb/archive/index.php/t-66.

٣ عبد الجليل صالح. مصدر سابق.

كتب الدكتور قمر الدولةزين العابدين في مقدمة رسالته التي خص بها حكم الشيخ أحمد الطيب بن البشير (٢٠٠٣) مبينا أن :» الإسهام في إحياء التراث الإسلامي بصفة عامة، والعناية بالتراث في السودان بصفة خاصة، تقويما وتقيما. ومصداق ذلك شروعي في تقديم المفكر المجدد أحمد الطيب بن البشير، كرائد من رواد الفكر الإسلامي في السودان الشرقي، فعَل حركة البعث الديني والإحياء الروحي في أخريات القرن الثاني عشر و أوائل القرن الثالث عشر الهجريين، وبيان أثره الذي لا يجحد في حياتنا الفكرية حيث القي بظلاله على حياتنا الاجتماعية والدينية والسياسية، ولا يخفى على من فتح الله عين بصيرته، أن القوة المكتنزة في منهج التصفية الجادة، في حراكها الاجتماعي، وتناميها الخلقي، تنتخب من مجموعها شخصية ذات بُعد آسر تحول ذلك السكون الذي أبدته قوة معنوية، تسعى لغايتها مكللة بالعز والظفر، تنشد الانقلاب على الواقع المحبط، وتحويله إلى حركة دفاقة، تعيد للدين نضارته وجدته، وتحيي سنته ووقاره، وبين يدي أمثلة حية كالشيخ أحمد الطيب بن البشير (١١٥٥ ه -١٢٣٩ ه) وأحمدبن إدريس الفاسي (١٢٧٢ ه - ١٢٥٣ ه) وأحمدالتجاني (١١٥٠ ه - ١٢٣٠ ه) وقد أسهمت هذه القيادات في بروز حركات إصلاح ديني كحركة عثمان بن فوديو (١١٦٩ ه - ١٢٣٣ ه) ظهرت على أثرها دولة صكتو ثم جاء على الاثر عمر بن سعيد الفوتي (١٢١٠ ه- ١٢٥٣ ه) في السنغال الأدنى حتى بلغ جبال فولتا جالون، فقد كان الأول على النهج القادري، والثاني على النهج القادري التجاني، ثم أعقبت هذه الحركة السنوسية في شمال إفريقيا التي قادها محمد بن على السنوسي الكبير (١٢٠٢ ه - ١٢٧٦ ه)، ثم الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام محمد أحمد بن عبد الله المهدي (١٢٥٩ ه- ١٢٩٩ ه) في السودان الشرقي. فقد كانت هاتان الحركتان الأخيرتان ذواتى طابع مهدوي إصلاحي، أما الأولى فقد كانت على النهج القادري الإدريسي، والثانية فقد كانت النهج القادري السماني الذي رفع لواءه أحمد الطيب بن البشير[١].

ولقائل أن يقول لماذا لم يظهر هذا الأثر في بواكير اتجاهات المؤسسين؟ والإجابة بسيطة، أن الاتجاهات التربوية في مرحلة البناء غيرها في مرحلة

١ قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية ٢٠٠٣م ص- ب

التمكين، فلكل مرحلة رجالها ومواقفها، والسر الذي لا يخطر على بال:، أن الحراك الروحي في إطار التزكية الروحية يكون عقلا جمعيا، ينتخب أنقى واتقى قلب رجل وارث على القدم المحمدي اقدر على التغير واملك لأدواته بما ورثه من قيم ربانية، وأخلاق مصطفوية، بعد مجاهدة النفس، صدقا مع الحق، ثم صدقا مع الخلق ينوب عن النبي صلى الله عليه وسلم في أمته مدعوا من الحق حالا ومقالا، مأذونا له فيه، ليس بصاحب دعوى ولا هوى بدايته محرقة ونهايته مشرقة ، والحكم على حركته الجادة بنهاياتها لا ببداياتهتا١ .

وقد جاء في كتب أهل الإختصاص من الباحثين في مجال التجديد والمجديدين بأن من شروط وصفات المجدد، أن يعم نفعه أهل زمانه.٢ وذلك لان المجدد رجل مرحلة زمنية، تمتد قرنا من الزمن، فلا بد إذن من أن يكون منارة يستضئ بها الناس، ويسترشدون بهداها، حتى مبعث المجدد الجديد على الأقل، وهذا يقتضي أن يعم علم المجدد ونفعه أهل عصره، وان تترك جهوده الإصلاحية أثرا بينا في فكر الناس وسلوكهم، وغالبا ما يتحقق ذلك عبر من يربيهم من تلامذة، وأصحاب أوفياء، يقومون بمواصلة مسيرته الإصلاحية، وينشرون كتبه وأفكاره، ويؤسسون مدارس فكرية ترسم خطاه في الإصلاح والتجديد.٣

وقد أشار السيوطي إلى هذا الشرط حين قال:

وأن يكون جامعا لكل فن وأن يعم علمه أهل الزمن٤

ذهب عدد من المؤرخين والباحثين السودانيين وغيرهم من الأجانب إلي أن ظهور الشيخ أحمد الطيب بن البشير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قد احدث تحولا كبيرا في مسيرة التصوف الإسلامي في السودان. وفي هذا الصدد تذهب الباحثة فدوى عبد الرحمن علي طه (٤٦:٢٠٠٢) لتقول:» أضفى أحمد الطيب روحا جديدة على الصوفية السودانية، أدت إلى التأكيد من

١ المصدر نفسه - ص- ت

٢

٣ عدنان محمد امامة. التجديد في الفكر الاسلامي. دار ابن الجوزي، بيروت، ٢٠٠١، ص-٤٨.

٤ المصدر نفسه ص- ٤٧.

جديد، ليس فقط على النواحي العلمية مثل الذكر والمديح بل أيضا على فلسفة الصوفية. أحس الحاجة إلى الإصلاح وبدا في إيجادصلات مع قيادي شيوخ زمانه، ناشدا إغرائهم بالاتحاد تحت قيادته لإحياء البلاد[1]. ونقول لقد مضى التصوف في طريقه المنهجي من دوره الساذج في مجال الزهد في متاع الحياة والعزلة، متطورا إلي التصوف، حين أصبح علما للباطن، يتناول الأحكام الشرعية والعبادات من ناحية أثارها في قلوب المتعبدين، مختلفا عن علم الظاهر الذي كان بعض الفقهاء يقفون عنده، أو جامعا علم الظاهر والباطن، باعتبار أن الحقيقة واحدة، وان كان لها وجهان فيما نسميه بالباطن المتحقق في الظاهر. ثم تطور أخيرا إلي فلسفة صوفية في طريق الذوق الذي يوصل إلي المعرفة، ويستعان به على تحقيق السعادة. ولانجد في الواقع صورة لعصر النضج الصوفي الفلسفي بعد هذه المرحلة من التطور سوى مانجده لدى أحمد الطيب، الذي قدم لنا في تراثه نموذجا طيبا للتصوف المفلسف أو للفكر الصوفي الفلسفي وسط زحام التيارات الأخرى في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.[2]

وتوالى الدكتور حسن مكي أحمد في التطرق إلى شخصيات أخرى ساهمت بشكل كبير في الارتقاء بالفكر التجديدي الإصلاحي في السودان برمته، مثل الشيخ «أحمد الطيب البشير ١٨٢٥[3]» الصوفي السوداني الذي أصبح مؤسساً لأكبر مؤسسة صوفية في تاريخ السودان، والشيخ «الميرغني الكبير ١٨٢٣م»، و«السيد أحمدالتجاني ١٨١٥م». وعلى الرغم من اختلاف مشاربهم وبيئاتهم؛ فقد شكّل هؤلاء الثلاثة بالإضافة إلى ابن إدريس الفاسي النواة الحقيقة للحراك التجديدي والإصلاحي في بلاد السودان بقسميه الشمالي والجنوبي[4].

وعند الدكتور حسن مكي أيضا وحول إسهامات الشيخ أحمد الطيب الفكرية في المجتمع الإسلامي والصوفي في السودان الرأي التالي:» السيد أحمد

١ فدوى عبد الرحمن علي طه. الطرق الصوفية في السودان. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير وحدة الترجمة كلية الآداب – جامعة الخرطوم– ٢٠٠٢ – ص– ٤٦

٢ عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان.دار الفكر العربي. ١٩٦٩.ص ٦٨

٣ التاريخ الصحيح لوفاة الشيخ أحمد الطيب هو العام ١٨٢٣م

٤ علي آل طالب. مؤتمر اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث. متاح على الرابط http://www.kalema.net/v1/?rpt=909&art

الـطيب البشـير ،أول من قـعد قـواعـد الـعرفـان والـفكر الـصوفـي فـي الـسودان. المولود ١١٥٥هـ- ١٧٤٢ والمتـوفى ١٢٣٩هـ- ١٨٢٤م تقريبـا، وأنـا أكتـب مـن الذاكـرة ولعـل الجغرافيـا الروحيـة لـكل السـودانيين تأثـرت بالمـزاج الطيبـي بفكـره العرفـاني وبشـعره وبتجلياتـه ومـع تراكـم المـدد المعـرفي لابنائـه وأحفـاده وتلامذتـه اصبحـت الطريقـة السـمانية صاحبـة أكـبر مكتبـة عرفانيـة عـلى امتـداد السـودان شـعرا ونثـرا وكـما.[١]

نتيجـة لعـودة الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير، تطـور الفكـر الصـوفي تطـوراً ملحوظـاً، فقـد اسـتطاع أن يربـط التصـوف في السـودان بالتصـوف في العـالم العـربي الإسـلامي كـما اسـتطاع أن يؤثـر ليـس فقـط في مفهـوم التصـوف، بـل حتـى في لغـة التصـوف وبقيـة علـوم الديـن باللغـة العربيـة الفصحـى، متأثـراً في كتاباتـه ببعـض أعـلام التصـوف الإسـلامي في العـالم الإسـلامي، آخـذاً مـن كل المـدارس الصوفيـة التـي ظهـرت في ذلـك الوقـت. هكـذا نجـد أن أثـر الشـيخ أحمـد الطيـب وطريقتـه السـمّانية عـلى الفكـر الصـوفي في السـودان كان كبـيراً، إذ أنـه سـما بذلـك الفكـر وخـرج بـه مـن النطـاق المحـلي واللغـة العاميـة، ليربطـه بالتصـوف الإسـلامي مسـتعملاً في ذلـك اللغـة الفصحـى، ويتضـح لنـا ذلـك فيـما قيـل في ذلـك المقـام: (أمـا الطريـق، فقـد عفـى رسـمه ولم يبـق في الحقيقـة غـير اسـمه، وأفلـت بـدوره، وتهـدم سـوره، وانقطـع سـنده، وارتفـع مـدده، واختلـت أركانـه، وتبدلـت أعيانـه، إلا أنـه وبمجـئ الشـيخ أحمـد الطيـب، فقـد تبـدل الحـال وغمـر بـه وادي الإرشـاد بعـد أن أجـدب واعتـدل بـه ركـن الطريقـة بعـد أن احـدودب)، وكان لعودتـه أثـر واضـح في تغيـير مجـرى التيـار الصـوفي[٢].

أسـهمت الطريقـة السـمّانية التـي جـاء بهـا أحمـد الطيـب في تجديـد الطريقـة القادريـة البهاريـة، التـي نشرهـا تـاج الديـن البهـاري في الدولـة السـنارية، وتلاميـذه أمثـال الشـيخ محمـد الهميـم، والشـيخ بانقـا الضريـر، والشـيخ حجـازي بـن معـين، والشـيخ شـاع الديـن ابـن التويـم، والشـيخ عجيـب المانجلـك، ولحـق

---

١ حسن مكي. الفكر الاسلامي السوداني.

٢ رابعة محمد عثمان –تاريخ الطريقة السمانية وانتشارها في السودان (١٧٦٦–١٨٩٨م)–كلية التربية – جامعة الخرطوم – قسم التاريخ- ١٩٩٦.

بهـولاء فـوج آخـر أمثـال عبـد الله ابـن دفـع الله العركـي[1] .

وعـن خصائـص ومميـزات الطريقـة السـمانية عـبر رائدهـا الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البـشر يكتـب الدكتـور أنـس العاقـب في اطروحتـه لنيـل درجـة دكتـوراة والي حملـت العنـوان:: « الخصائـصُ اللحنيـةُ والإيقاعيـةُ لموسـيقَى الطـرقِ الصوفيـةِ في السـودانْ الطريقـة السـمانية أنموذجـاً»٢٠٠٦ .» مايـلي:

١ - جـاءت الطريقـة السـمانية تحمـل فكـراً إصلاحيـاً وقـف نـداً للطـرق التـي سـبقته وخاصـة الطريقـة القادريـة التـي شـهدت في القـرن الثامـن عـشر انقسـامات كثـيرة أضعفتهـا وأصبحـت تلـك الأفـرع مسـتقلة بنفسـها تمامـاً.

٢ - أتــت الطريقــة الســمانية وقدمــت فكرهــا وتعاليمهــا بأشــكال مبســطة في الأوراد والأذكار وفي المعاملــة الطيبــة .

٣ - الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير بشـخصيته الصوفيـة الرفيعـة التـي لم يدانيـه في مقامهـا أحـد، أنموذجـاً للمفكـر والمصلـح والمؤلـف والمرشـد.

٤ - اهلتــه ثقافتــه الإســلامية العاليــة في مجــالي الشريعــة والحقيقــة لأن يبســط فكـرة الطريقـة السـمانية بـكل الوسـائل الإقناعيـة فجـذب إليـه أعـدادا لا حـصر لهـا مـن المريديـن والشـيوخ الذيـن تركـوا الطـرق التـي ينتمـون إليهـا وسـلكوا عليـه الطريقـة السـمانية.

٥ - تمكـن الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير بسـعة أفقـه وفهمـه للواقـع السـوداني أن يسـودن الطريقـة السـمانية ويجعلهـا جاذبـة ومتاحـة لـكل النـاس فـكان أول مـا دعـى إليـه هـو حريـة البيعـة مـن طريقـة لأخـرى وتنـاول الأوراد مـن مشـيخات الطـرق السـمانية وواقعهـا المحـلي.

٦ - كان الشيخ أحمد الطيب البشير يسعى إلى وحدة الفكر الديني.

٧ - كان الشــيخ أحمــد الطيــب البشــير واحــد زمانــه مكانــة بــين ألكمــل مــن

١ قمر الدولة زين العابدين. أحمدالطيببنالبشيرقدساللهسره (1155 هـ- 1239 هـ- 1832 م) آراؤهالكلاميةوحكمةالعرفانية. رسالةدكتوارةغيرمنشورة - جامعةأمدرمان. -1742الإسلامية 2003 م

المرشـدين (ولا أدل عـلى ذلـك أنـه لم يحـدث قـط ... أن تخـرج عـلى أي شـيخ سـابق عـدد مـن المشـايخ مثـل العـدد الـذي تخـرج عـلى يديـه رضـوان الله عليـه، لا مـن حيـث الكثـرة فحسـب ، ولكـن مـن حيـث الرفعـة والسـمو والأثـر والتأثـير فقـد كان الشـيخ منهـم أمـة وحـدة ... أمثـال سـيدي الشـيخ القـرشي أو سـيدي الشـيخ التـوم أو سـيدي الشـيخ البصـير ... هـذا فضـلاً عـن أبنائـه مـن صلبـه...).

٨ - وتجـدر الإشـارة إلى أن الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير لم يسـتخدم الشـطح الـذي كان سـائدا في تقاليـد الطريقـة القادريـة ولكنـه اسـتعان بطرائقهـا في الذكـر والشـفاء مـع أن الشـطح قـد اشـتهرت بـه طريقـة اليعقوبـاب التي أسسـت مشـيخة للطريقـة السـمانية في منطقـة العـمارة بالغـرب مـن سـنار وكان في الأصـل مركـزاً للطريقـة القادريـة.١

كان الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير رائـد الطريقـة السـمّانية باحثـاً عـن العلـم، فبعـد أن أكمـل دراسـة القـرآن، وقـراءة مختـصر خليـل، لم يسـلك الطريقـة القادريـة عـلى يـد أقـرب شـيخ منـه، بـل بـدأ يبحـث وينقـب عـن شـيخ ممـن اشـتهروا بالعلـم، وحتـى عندمـا التقـى بالشـيخ عبـد الباقـي النيـل، لم يسـلك الطريـق عـلى يديـه، بـل لجـأ إلى السـؤال والاستفسـار عـن بعـض أمـور وفلسـفة التصـوف التـي لم يجـد لهـا جوابـاً عنـد الشـيخ (النيـل) عبـد الباقـي وذلـك لأن مشـايخ القادريـة لم يعتنـوا بمثـل تلـك الأسـئلة كثـيراً في السـودان، لـذا نجـده انتقـل ببـصره خـارج حـدود مجتمعـه الضيـق فسـمع بالشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـمّان وبطريقتـه السـمّانية، فانتقـل إليـه وصحبـه لمـدة سـبع سـنوات أخـذ فيهـا الكثـير مـن علـم شـيخه وفلسـفته وآرائـه. بعـد أن عـاد الشـيخ أحمـد الطيـب إلى السـودان، عـاد وهـو يحمـل معـه فكـر وفلسـفة الشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـمّان، ليجـد أن التصـوف في السـودان لم يـزل كـما تركـه، يغلـب عليـه الطابـع المحـلي.٢

ويمكـن القـول أن الجـذور الفكريـة للعقـل الصـوفي السـوداني ، تعـود إلي السـيد أحمـد بـن إدريـس (١٧٥٠ - ١٨٣٧) والـذي تتلمـذ عليـه رواد الطريقـة الختميـة

---

١ أنس العاقب حامد. الخصائصُ اللحنيةُ والإيقاعيةُ لموسيقَى الطرقِ الصوفيةِ في السودانْالطريقة السمانية أنموذجاً﴾ أطروحة دكتوراه. جامعةُ السودانِ للعلومِ والتكنولوجيا كليةُ الدراساتِ العُليا. 2006.ص 88/89.

٢ قمر الدولة. مرجع سابق.

والإدريسية والرشيدية والصالحية والسيد عبد الكريم السمان والمولود بسوريا[1] والذي تتلمذ عليه مؤسس الطريقة السمانية ، السيد أحمدالطيب البشير والسيد أحمدالتجاني المولود ١١٥٠ هـ - بالجزائر والمتوفى في ١٨١٥ ومن الغريب أن هؤلاء الثلاثة ، اجتمعوا في الحجاز وأخذ بعضهم من بعض ، ودرسوا مختصر خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد وابن عربي ودالية البوصيري ..

وللإجابة على السؤال عن ابرز ملامح التجديد عند الشيخ أحمد الطيب ومصادرها فأنني سوف اكتفي بأخذ سفره القيم والذي وصف بأنه عمدة أعماله الفكرية - كتاب الحكم - بالتعليق والبحث وذلك مما ورد عن أراء المؤرخين والباحثين علاوة على أراء من عاصر الشيخ أحمد الطيب م المشايخ واراهم في هذا الاتجاه.

ولقدكان دأبي إذا استغلق عليَّ فهم سفرحصلت عليه، أن اتركه زمنا ثم أعود إليه ولاأياس منه البتة. ولقدوقع لي ذلك عدة مرات. منها ماحدث لي مع "كتاب الحكم" للشيخ أحمدالطيب السماني. وقدأهدى إلي الكتاب فأخذته وكلي شوق للنظر فيه، فلماجلست إليه وجدته دون فهمه خرق القتاد، فلم استيئس منه، فتركته حينا ثم رجعت إليه وكان قدتم لي النظر في كتاب " الإحياء والرسالة القشيرية"، فيسرلي ذلك فهم مصطلح أهل التصوف، وشدّماكان عجبي عندماوجدت . نفسي مطيق اشرح غامضة وكشف مبهمةداعيك عن فهمه [2].

و قد أرسل الأستاذ المترجم قدس سره كتاب حكمه إلى الفقيه أحمدولد عيسى المذكور، فلما قرأ منه هذه الحكمة، و هي قوله: (أول المقامات في طريق أهل الله: التوبة لله، و التزام طاعة الله بخوف الله، و الصبر على مراد الله، و الزهد فيما سوى الله) قال: لله در الشيخ من إمام عارف، كنا نظن قبل هذا أن الزهد انتهاء المقامات. ثم كتب على ظهر كتاب الشيخ كتابا و أرسله إليه، و قال فيه من بعد كلام مضمونه الثناء على كتاب الحكم: إنه جمع فأوعى[3].

١ الصحيح أن الذي ولد بدمشق هو الشيخ مصطفى البكري أستاذ السيد السمان الذي ولد بالمدينة المنورة.

٢ الحسينالنوريوسف. بينشاعروناقدراسةفيكتابمعابيالطيبلعبدللهالطيب. 2009

٣ عبد المحمود نور الدائم. ازاهير الرياض.

وكتـاب الحكـم للشـيخ الطيـب منسـوج عـلى منـوال الصـوفي الكبـير ابـن عطـاء الله السـكندري في كتابـه بنفـس الاسـم مـع الاختـلاف في الأداءوالأسـلوب والاتجـاه. ولعـل أدق مانقـول عـن حكـم الطيـب أنهـا تصـل بـين الغـزالي وابـن عـربي، بينـما الحكـم العطائيـة غزاليـة الاتجـاه بوجـه عـام١.

فـما هـو رأي شـيخنا الطيـب في معنـي التوحيـد؟ انـه يـرى أن التوحيـد نوعـان: عـام وخـاص. أمـا العـام فهـو توحيـد العـوام وهـو لأهـل مرتبـة الإيـمان. أمـا توحيـد الخـواص فهـو مرتبـة لأهلالإحسـان. والفـرق بينهـما عنـده هـو أن (توحيـد العـوام يسـتدل فيـه بالأثـر عـلى المؤثـر، أمـا توحيـد الخـواص فيسـتدل فيـه بالمؤثـر عـلى الأثـر، فالأولمسـتلزم لنفـى الـشرك الجـلي والثـاني مسـتلزم لنفـي الـشرك الخفي.وحتـى توحيـد الخـواص عنـده لـه ثـلاث مراتـب. الأدنـى لعـوام الأوليـاء والوسـطى لخـواص الأوليـاء والعليـا لخـواص الخـواص، (وأدنـاه توحيـد الذات).ولابـد في مذهـب الطيـب كإمـام صـوفي مـن الدعـوة إلى ضرورة وجـود رائـد لـكل مريـد سـلك في طريـق، وإلا خـرج بعيـدا عـن حـضرة الله لان (السـلوك عـلى توحيـد الحـال طريـق المقربـين لا الإبـرار. فمـن سـلكه عـلى يـد خبـير عـارف كان مـن أهـل حـضرة الله). فإذاسـألنه عـن الفـارق بـين مسـيرة المقربـين وسـيرة الإبـرار، أجـاب، بـان المقربـين سـيرهم بالأرواحوأماالإبـرار فسـيرهم بالأشـباح. (والأولـون المقربـون سـائرون، لاينتهـي لهـم سـير، لأنهـم مشـاهدون للكـمالات الإلهيـة. أماالآخـرون فينتهـي سـيرهم لأنهـم في أطـوار النفـوس الثـلاث في طريقتنـا القادريـة، بخـلاف طريقتنـا الخلوتيـة البكريـة)، أمـا النفـس المطمئنـة عنـده فهـي النفـس الزاكيـة الكاملـة سـيرها مـع الله، في الله، عـن الله، بـالله، وعالمها هـو الحقيقة المحمديـة، عـالم اللاهـوت، وعـالم الوحـدة، في الكثـرة، والكثـرة في الوحـدة ولهـا الفنـاء الـذي هـو محـو الصفـات البشريـة ومقامهـا البقـاء بـالله تعـالى٢.

"الوجـود كلـه ظلمـة، والى الحـق فيـه، فمـن رأى الوجـود، ولم يشـهد وحـدة وجـوده، فقـد أشرك بـه".

"الوجـود"، وهـو عبـارة عـن كل ماسـوى المعبـود، وهـو الوجـود الحـادث

١ عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان. دار الفكر العربي. ١٩٦٩.
٢ المصدر نفسه ص- ٨٧

"كلـه ظلمـة"، لاوجـود لـه مـن ذاتـه، ولا قيـام لـه بذاتـه، وإنـما هـو عـدم في كل أحوالـه: المـاضي، والحـال، والمسـتقبل، وذلـك بالنسـبة إلى الوجـود الحقيقـي. فافهـم ولاتتوهـم. قـال سـيدي أبـو مديـن رحمـه الله ونفعـن بعلومـه:

أنا وجودي بوجوده ايش غير الله موجود

دلني على ذلك شهوده ايش غير الله مشهود

"وإنـما أنـاره تجلي الحـق فيـه"، اعنـي إنـما أنـار هـذا الوجـود الحـادث ظهـور الحـق فيه .

قـال سـيدي ابـن عطـاء الله رحمـه الله: الكـون كلـه ظلمـة وإنـما أنـاره ظهـور الحـق فيـه بأسـمائه وصفاتـه وأفعالـه، ولـو لا ذلـك لأظلـم.

ثـم يتحـدث الشـيخ أحمـد الطيب عـن الحقيقـة المحمدية في كتابـه المذكـور (الحكم) ناقـلا عـن عـن شـيخه السـيد السـمان قولـه: «أن الحقيقـة المحمديـة لهـا ظهـور في كل عـالم بـما يليـق بـه، فليس ظهـوره صـلى الله عليـه وسـلم في عـالم الأجسـام، كظهـوره في عـالم الأرواح، وليـس ظهـوره في عـالم الأرواح كظهـوره في عـالم المعنـى، فـإن عـالم المعنـى ألطـف مـن عـالم الأرواح وأوسـع، وليـس ظهـوره في الأرض، كظهـوره في السـماء، وليـس ظهـوره في السـماء كظهـوره عـن يمـين العـرش، وليـس ظهـوره عـن يمـين العـرش، كظهـوره عنـد الله حيـث لا أيـن ولا كيـف، فـكل مقـام أعـلى يكـون ظهـوره فيـه أكمـل وأتـم ممـا دونـه، ولـكل ظهـور جلالـة وهيبـة يقبلهـا المحـل (وتـزداد هـذه الجلالـة والهيبـة، كلـما ازداد المقـام علـوا عـن سـابقه) حتـى تتناهـى إلى محـل لا يسـتطيع أن يقـوى عليـه أحـد مـن الأنبيـاء والملائكـة والأوليـاء. وذلـك معنـى قولـه صـلى الله عليـه وسـلم: «لي مـع الله وقـت لا يسـعني فيـه ملـك مقـرب، ولا نبـي مرسـل.

وذلـك معنـى قولـه صـلى الله عليـه وسـلم: لي مـع الله وقـت لايسـعني فيـه ملـك مقـرب، ولا نبـي مرسـل. فارفـع همتـك يـا أخـي لـتراه في مظاهـره العليـا، بمعانيـه الكـبرى، فإنـما هـو هـو، فاهـم الإشـارة، وأوصيـك ياصفـي بـدوام ملاحظـة صورتـه ومعنـاه، وان تكلفـت ذلـك أولاالأمـر تكلفـا، فعـن قريـب تأتلـف روحـك بـه

فيحـضرك صـلى الله وسـلم عيانـا: تخـبره، وتحدثـه، وتسـأله. وتخاطبـه. فتفـوز بدرجـة الصحابـة، وتلحـق بهـم.، أن شـاء الله.»١.

كـما يذهـب الشـيخ أحمـد الطيـب في ذات الكتـاب المذكـور مبديـا معلقـا عـلى فكرة الإنسـان الكامـل: «تقـوم حقيقتـه عـلى النظـر إلى النـوع الإنسـاني الـذي بـرز عينـا في صـورة ادم، « فخلـق بدنـه مـن الأرض، وروحـه مـن المـلأ الأعـلى، ولهـذا يقـال هـو العـالم الصغـير، وهـو نسـخة العـالم الكبـير ... ومحمـد سـيد ولـد ادم، وأفضـل الخلـق وأكرمهـم عليـه، ومـن هنـا قـال مـن قـال أن الله خلـق مـن اجلـه العـالم ... فـإذا كان الإنسـان هـو خاتـم المخلوقـات وأخرهـا وهـو الجامـع لمـا فيهـا، وفاضلـه هـو فاضـل المخلوقـات مطلقـا، ومحمـد إنسـان هـذا العـين، وقطـب هـذه الرحـى وأقسـام هـذا الجمـع؛ كأنـه غايـة الغايـات في المخلوقـات، فـما ينكـر انـه لأجلـه خلقـت جميعهـا، وانـه لـو لاه لمـا خلقـت، فـإذا فُسر هـذا الـكلام ونحـو، بـما يـدل عليـه الكتـاب والسـنة قبـل ذلـك ...هـذا ماقالـه ابـن تيمـة الداعيـة السـلفي.

اسـتأذنا السـمان:» وأوصيـك ياصفـي بـدوام ملاحظـة صورتـه، ومعنـاه وان تكلفـت ذلـك أول الأمـر؛ فعـن قريـب تتألـف روحـك بـه فيحـضرك صـلى الله عليـه وسـلم عيانـا، تجـده وتحدثـه وتسـأله وتخاطبـه، فتفـوز بدرجـة الصحابـة وتلحـق بهـم (الصحبـة الروحيـة لا الزمانيـة).

وتـرى هـذا القـول في قمتـه يبلـغ عنـد أحمـد الطيـب في صلاتـه المسـماة باللاهوتيـة « اللهـم صـلى عـلى سـيدنا محمـد لاهـوت الوصـال، وعـين الكـمال ...... النبـي الـذي هيئتـه نـور فـوق نـور، ورائحتـه مسـك ونـد وورد وعنـبر وكافـور، وريقـه شـفاء لـكل عليلـة ومعلـول؛ صـلاة تشـوقنا إليـه، وتهيمنـا عليـه، صـل اللهـم وسـلم عليـه كـما تحـب أن يُصـلى ويسـلم عليـه _ ويـزداد أحمـد الطيـب تولهـا بالـذات المحمديـة، راجيـا الإصطـلام فيهـا في عاطفـة جياشـة مواصـلا فيهـا _ اللهـم أفننـا في محبتـه وعشـقه، واسـقنا مـن كاسـأت خمرتـه، وارزقنـا يامولانـا في الداريـن صحبتـه؛ وأحيينـا عـلى إتبـاع سـنته؛ وامتنـا عـلى ملتـه؛ واجعلنـا مـن رفقائـه، وشـفعه فينـا كـما يحـب أن يشـفع فينـا، واجعلنـا مـن خيـار المصلـين والمسـلمين عليـه والحمـد لله رب العالمـين اللهـم ابلـغ روح سـيدنا محمـد منـي تحيـة وسـلاما».

١ أحمد الطيب بن البشير. كتاب الحكم المسمى بالنفس الرحماني في الطور الإنساني. مكتبة القاهرة – ٢٠٠٦– ٣٨–٣٩

وفي كتاب حكمه يقول الشيخ أحمد الطيب أن أول المقامات في طريق الله: التوبة لله، والتزام طاعة الله بخوف الله، والصبر على مراد الله، والزهد فيما سوى الله. أما التوبة في نظر الإمام الطيب ، فهي ثبوت الواحدانية له، وافتقار المذنب إليه والندم على ما مضى خوفا من وقوع عقوبة. والذنوب عنده نوعان ظاهرة كالغيبة والنميمة والكذب والزنا، وترك الصلاة والربا. وباطنة كالكبر والعجب والحسد والرياء والحقد والبخل والطمع. أما التزام طاعة الله فهي الامتثال للأوامر واجتناب النواهي ، أما الصبر على مراد فهو يعني مجال ما يحب العبد ويكره مع الله، الذي إليه المصير.

وعن علامات المريد نجده يؤكد أن مايجب أن يتصف به (المريد) أن يكون:

* أكله فاقة.

* ونومه غلبة.

* وكلامه ضرورة.

وتتجلَى قوة الهمة في حمل المريد إلي منتهى قصده، وهو معرفة ربه، كأنه يراه، فإذا تمكنت منه هذه المعرفة، فقد وصل إلى عين النعمة التي عناها الشيخ أحمد الطيب قدَس الله سره. والصبر عند الشيخ أحمد الطيب "احتمال المكاره في سبيل الغايات" والصبر عنده مقامات والصبر على مراد الله هو أول المقامات، ويليه الصبر على مراد الله ثم أن لا يكون للمريد مراد مع الله" ـ يعني الفناء في الإرادة الربانية، بحيث لا تبقى له إرادة مع إرادة الله ـ وصبر فيما يحب العبد ويكره أدبا مع الله"، وثمرة الصبر هو الرضا بالقضاء".فمن شهد تأثيره في الأشياء من الله كان قادرا على كل شي بالله، فان كان صاحب حال صادقة مع الله تلاشى، ووصل إلى منتهى العلا، لكن هذا المشهد لا يدوم لأنه صفة للحي القيوم». ويعني هذا التأثير الجاري على يد عبد من عبيده منةً من الله عليه من عالم التصريف، ولكنه تصريف جزئي، ودوام الحال من المحال. فلا يرى الأشياء إلا بالله، كما هي عليه في الحقيقة، وهو مشهد من مشاهد التعريف، والحائز له حائز للمعرفة الكاملة، وهو عند أحمد الطيب من العلم الذي أشار إليه

المصطفى صلى الله عليه وسلم (ما أن حملتهم إنما الله حملهم) وهو من دلائل الجمع والوصول.، وتلك الإشارة كانت لبعض أصحابه، لأنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله علما أمره بإفشائه وعلما خيره فيه، وعلما أمره بكتمه، وهذا أول كلام حفظته في هذه الطريقة».يقول الشيخ أحمد الطيب مبينا حقيقة تلازم الشريعة والحقيقة:» اعلم أيها الناظر بالعقل النوراني، في العلم الرباني، والسر العرفاني، أن الحقيقة مشاهد، والشريعة مجاهدة، وكلتاهما يشهد لهما الكتاب والسنة. إلا أن أدلة الحقيقة قليلة في كتاب الله وسنة رسوله (ص)، لأنها لخواص خواص عباده قال تعالى مربيا لحبيبه بالحقيقة وشاهدها: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ «[1] وقال لأصحابه: " ..... فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ [2]. فنفى بذلك فعل الإجرام واثبت الفعل إليه من غير إبهام .... وقال تعالي: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ"[3].ويقول الشيخ أحمد الطيب:» لابد من مراعاة الشريعة والحقيقة حيث يروى حديث عن النبي (ص) (الشريعة مقالي والطريقة فعالي والحقيقة حالي).

ولذا نجد أن الشيخ أحمد الطيب في هذه الحكمة الرابعة والثلاثين قد بيّنً معالم الطريق للسالك تفصيلا لهذا الأصل الكبير الخطير « ما أحب رجل يعرف بظهور الكرامات منه، وانقياد الخلائق عليه، إلا ذهب دينه، وفسد في مولاه يقينه، ادفن نفسك في التراب، واذكره امتثالا وحبا بنية الأسباب، تنل مواهب الوهاب»، قال الشيخ في شرحها قلت به عنه: « هذه الحكمة نافعة لكل مراد ومريد خائفين من الانقطاع عن الله، لان السير إليه مع الالتفات لسواه حجاب شديد قطعه بعيد، لكل مريد ومراد، فكل قلب نظر تعالى إليه فوجد فيه غيره من المخلوقات اعرض عنه، لان تعالى كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك. فحقيقة الكرامة عند أحمد الطيب حينئذ هي الاستقامة، فيجب أن لا يلتفت السالك إلى شي من حظوظ نفسه، وإنما يذهب بكليته إلي مراد ربه بلا التفات، فلا يلوي على شي سوى تجريد إخلاصه من الالتفات

١ سورة الأنفال الآية ١٧
٢ سورة الأنفال الآية ١٧
٣ سورة السجدة الآية ٢٧

إلى رؤية الخلق، وشهوات النفس الخفية، ويقول سيدي أحمد الطيب: « الكرامة العليا أن تغيب عن نفسك والأكوان بشهود الله، ربما برزت لك الكرامة وأنت لم تر الحق أمامها».

وكذلك نجد أن الشيخ أحمد الطيب وفي كتاب حكمه عن قول الصوفيه، مفسرا قولهم «ما اتخذ الله وَلِيًّا جَاهِلا» وقول صلى الله عليه وسلم: «ماأتخذ الله وليا جاهلا، ولو اتخذه لعلمه»، أي علمه معرفته الكبرى التي يعلمها لمن يشاء من عباده. واعلم أن الولي الأمي معجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام، وإذا فتح الله بالعلوم اللدنية عليه فان ذلك أعظم في منة الله منه في الولي العالم قبل إعطاء الولاية بالعلوم الظاهرة، ولقد علم الله تعالى جميع العلوم لنبينا عليه الصلاة والسلام وهو أمي، وذلك من عجائب قدرة الله تعالى. وأبونا ادم عليه السلام علمه الله تعالى الأسماء كلها من غير سابقة علم تعلم.

وعن الحجب عن الله يقول: «ما حجبك عن الحق إلا شدة قهره لك ، وقربه منك، أن أشهدك قرب ذاته منك، اوجب لك الفناء في ذاته عنك». إنما حجبك عن الحق، أيها العبد المقبل عليه أمران مرجعهما إليه، وهما حجاب القهر وحجاب القرب فحجاب القهر حاصل من الأمور القهرية، وهي مصائب الدنيا التي تكون في النفس والمال والولد، وغير ذلك من ما لايحصى ولا يعد، وقد يكون القهر بالشهوات المسلطة على الإنسان، فانه تعالى لو قهرك بشهوة نحو زوجك حجبك عنه، إذ يشتغل باطنك بها دونه تعالى، هذا حالك مع الشهوة، فكيف حالك مع المصيبة، بل المصائب. والحجاب الثاني حجاب القرب. قال تعالى ونحن اقرب إليه من حبل الوريد، وقربه تعالى منك بخمسة أشياء: العلم، السمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، فمن الإشارة الدالة على البشارة، تأمل قدرته تعالى، كيف توهمت أنها لك في جميع أفعالك، وآنت في الحقيقة لست بفاعل. ولا أطيق التصريح بأكثر من ذلك.

وعن الجذب يقول الشيخ أحمد الطيب أن الجذب الإلهي يكون أولا جذبا من الكفر إلى الإسلام، ثم بعد ذلك يكون على ثلاثة أقسام: جذب اصغر، و أوسط واكبر. فالجذب الأصغر انجذاب المسلم من ظلمة المعاصي إلى نور

الطاعة، والجذب الأوسط انجذاب المسلم من محبة ماسوى الله تعالى، إلى محبة الله، وهو الزهد في الأغيار. والجذب الأكبر انجذاب المؤمن من رؤية الأغيار إلى مشاهدة الملك الجبار في جميع الأحوال.

ومدرسة الشيخ أحمد الطيب هي مدرسة العلم والعلماء بامتياز أخرجت لنا علماء ربانين وفقهاء متمكنين وحكماء عارفين وأبطال مجاهدين وأدباء وشعراء مخضرمين. انتهجوا نهج المجدد المؤسس للطريقة وساروا على سيرته ونشروا ارثه جامعين في دعوتهم بين الشريعة والحقيقة ومقربين أنوار الطريقة إلي الخليقة.

وللشيخ أحمد الطيب عدد كبيرا من التلاميذ الذين أخذوا عنه، ولازموه زمنا، ثم ساروا سيره، وقاموا بجهود كبيرة لنشر تعاليمه في داخل السودان وخارجه. أشهرهم داخل السودان: الشيخ أحمد البصير عبد الرازق الحلاوي - الشيخ محمد توم ودبانقا - الشيخ القرشي ود الزين - الشيخ دينق والذي أمره بأن يلحق ويقيم مع الشيخ التوم - الفقيه بدوي ولد أبي صفيه - الشيخ ودطه - الشيخ الصليحابي أمر بالتوجه للحبشة للإرشاد - الشيخ حسيب الكوباوي المغربي - الشيخ عبد الله الصابونابي – الشيخ الأمين ود أم حقين، وغيرهم الكثير ممن صاروا أعلاماً ونجوماً يُهتدى بهم. اكتسب الشيخ أحمد الطيب أنصاراً في وسط السودان بين الجوامعة والكواهلة والحلاويين. وكذلك كسب قلوب طائفة من القادرية مثل اليعقوباب[١]. وخارج السودان الشيخ شيخون الوزي (مصر)، والشيخ بشر الحافي (إثيوبيا). ولقد كان لهولاء التلاميذ الدور المشهود في نشر تعاليم الطريقة عبر وسائل متعددة تمثلت في تأسيس افرع للطريقة شملت جميع بقاع القطر السوداني.

عبد الجليل عبد الله صالح
الباحة - بلجرشي
٧-١١-٢٠١٧م

---

١ حسن مكي.رواد التجديد السودان، وإفريقيا جنوب الصحراء في مائتي السنةالأخيرة د ا رسة مقارنة بين عثمان دان فودي في صكتو والشيخ أحمد التجاني والميرغني الكبير وأحمد الطيب البشير في ديار الفونج بدون تاريخ.



الباب الأول

الطرق الصوفية قبل وصول السمانية

دخول الإسلام إلى السودان كان يختلف عن البلاد العربية الأخرى، فبرز إسلام له مميزاته وظروفه الخاصة فالدخول السلمي للإسلام والتسرب البطئ له خلال سبعة قرون وهي فترة معاهدة البقط التي كانت بين المسلمين وبلاد النوبة في السودان، كل هذا أدى إلى نوع من التعايش السلمي بين الإسلام والموروثات المحلية، فاتسم المناخ بالتسامح لم تشهده كثير من المناطق التي عبر بها الإسلام مثل الشام والعراق ومصر، ثم جاء دور الطرق الصوفية الذين نشروا الإسلام بالطرق المبسطة بالإضافة إلى بساطتهم وزهدهم، وهذه البساطة هي التي شقت للإسلام دروبه للانخراط في الحركة التاريخية السودانية.

عموما وجد التصوف قبولا عند السودانيين إذا أن الكثير من قطاعات الشعب السوداني انخرطوا من معينه وما القباب التي تنتشر في كثير من المناطق وما القباب التي تنتشر في كثير من مناطق السودان إلا دليلا على القبول الذي وجده التصوف في السودان. ويعد السودان في مقدمة الدول الإفريقية التي عرفت التصوف لاسيما أقطار إفريقيا الإسلامية[1].

١ نصر الدين سليمان علي فضل. دراسات فكرية في التصوف بالسودان أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السودان. دار عزة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٧، ص ٧٠

ومـن المهـم الإشـارة إلى إن السـمة العامـة للحركـة الصوفيـة في السـودان قبـل تأسـيس الطـرق الصوفيـة وانتشـار الطـرق المركزيـة الكـبرى هـي التصـوف الفـردي ، ولقـد ظهـر هـذا التيـار مـن المتصوفـة كنزعـة زهديـه لم تتأثـر بطريقـة صوفيـة بعينهـا وإنـما بالبيئـة التـي عـاش فيهـا المتصوفـة إبـان عهـد الفونـج. لكـن هـذا التيـار الفـردي لم يكتـب لـه الاسـتمرار أعقبـة تيـار صـوفي عمـلي أصبـح مسـيطرا عـلى التيـار الصـوفي حتـى عصرنـا الحـالي يتمثـل في الطـرق الصوفيـة التـي تمركـزت في السـودان وأصبحـت ذات كيـان دينـي معـترف بـه مـن قبـل السـلطة وعامـة النـاس لأنهـم عملـوا عـلى تعميـق مبـادئ الإسـلام بطريقـة مبسـطة وميسرة بإلـزام المريديـن إتبـاع منهـج تعبـدي وخلقـي مـع الدوامـة عـلى الأذكار.

المجتمـع السـوداني قـوي الحاسـة الدينيـة، ويغلـب عليـه التسـامح، وهـو متصـوف بامتيـاز، ولا يختلـف اثنـان في أن الطـرق الصوفيـة قـد شـكلت وجـدان معظـم أهلـه، إذ يتسـم الإسـلام في السـودان بصبغـة صوفيـة خاصـة. إن أغلبيـة المسـلمين في السـودان ينتمـون إلى جماعـات صوفيـة، بـل وتتـوارث هـذا الانتـماء ابنـا عـن أب، فهنـاك قـرب للصوفيـة مـن وجـدان السـوداني خاصـة، وأن الإسـلام أنـسرب في هـذا الوجـدان، ومـا كان ليسـتكين في وجـدان أهـل السـودان لـولا تعاليـم الفقهـاء المتصوفـة الأول، ولم يكـن سـبيل هـؤلاء الرجال في نـشر الدين إكراهـا. إن التاريـخ يوثـق دور الصوفية في نشر الإسـلام بالسـودان، ومنـه إلى العمق الأفريقـي، فالإسـلام في السـودان هـو في جوهـره، وعمومـه صـوفي، ولذلـك تمثـل الصوفيـة عمـق الوجـدان السـوداني.١ ولولا الصوفيـة لمـا تمكـن الإسـلام مـن اخـتراق السـودان وأفريقيـا، و ويقـول الدكتـور عبد القـادر محمود في كتابـه الطوائف الصوفيـة في السـودان إن التصـوف ألغـى العصبـة القبليـة العنيفـة، وأزال كل تمايـز . ويقـول المفكـر الإسـلامي الصـادق المهـدي في كتابـه مسـتقبل الإسـلام في السـودان إن غالبيـة العلـماء المسـلمين الذيـن توجهـوا إلى السـودان لنـشر الإسـلام، وثقافتـه كانـوا يأتـون عـبر مـصر أمثـال محمـود العركـي، أمـا مشـايخ الطـرق فقـد أتـى معظمهـم عـبر الحجـاز، والمغـرب أمثـال عبـد الـكافي العـربي

١ صحيفة الدستور المصرية.المجتمع السوداني تشكله صبغة صوفية خاصة تعمق وجدانه. ١٣ يونيو ٢٠١٦م –على الرابط http:// www.dostor.org/1092542

والشيخ حسن والشيخ التلمساني المغربي أستاذ الشيخ محمد عيسى سوار الذهب والشيخ تاج الدين البهاري القادم أصلا من العراق للسودان عبر الحجاز، وقد أسهموا جميعا في إرساء قواعد الإسلام في السودان . ويضيف لقد أفضت جهود العلماء، والمشايخ إلى منجزات كثيرة أهمها نشر الإسلام في السودان سلميا، وإقامة قنوات قاعدية للتعليم الديني، والإرشاد، وتنظيم النظم الاجتماعية السودانية بإتاحة مواعين لاستيعاب القبائل المتعددة، وإقامة تجمعات سكانية عامرة كانت هي البدايات لكثير من المدن السودانية، والتصدي للحكام نصحا، وتوسطا . وأشار إلى أن المجتمع السوداني قوي الحاسة الدينية، وهو مجتمع يغلب عليه التسامح في تلوين العلاقات بين الناس . وكان اعتماد المتصوفة في نجاحهم وسموهم على ما يتمتعون به من علم وخلق ديني وسلطان روحي وكرامات· واعتقاد الناس بان مخالفة الولي·· تعود على الناس باللعنة والخراب وذلك للاعتقاد الجازم في بركة الشيخ الصوفي مما اكسب شيوخ الصوفية المكانة الروحية والسلطان العظيم لدى عامة الناس.وإزاء الاحترام والتأييد الذي وجده المتصوفة من عامة الناس والسلطات الحاكمة وجدوا كثيرا من العون المادي والسياسي فاستغلوا تلك المكانة في دورهم الديني ووظيفتهم الإرشادية. وقد انتشرت الطرق الصوفية تحت غطاء الدولة عند نشأتها مما احدث ذلك نوعا من الاندماج الروحي الديني ، وعموما فان العلاقة بين الحركة الصوفية والدولة أخذت اتجاهين:

الأول: وهو الصاعد من الحركة الصوفية إلى السلطة السياسية تطلعا لاستقطابها ، وتحفل تراجم كتاب الطبقات بكثير من هذه العلاقات التي تربط الحاكم بالشيخ الصوفي.

الثاني: وهو الاتى من السلطة الحاكمة المتمثلة في سلاطين وملوك الفونج الذين سعوا في احتواء شيوخ الصوفية إلى الحد الذي كانوا يستشيرون شيوخ الصوفية في شئون الدولة الكبرى .

بجانب هذه العلاقة بين الصوفية والسلطة الحاكمة نلمح أيضا العلاقة

بين المتصوفة والفقهاء فبرغم ذلك الخلاف السائد بينهم على نطاق العالم الإسلامي إلا إننا لم نلمحه بصوره واسعة في بدايات نشأة الصوفية في السودان ، فقد قامت العلاقة بين المتصوفة والفقهاء على دعامتين:

١-النفوذ الروحي الذي كان يمارسه المتصوفة على الملوك.

٢- النفوذ الاجتماعي وذلك بالقيام بمصالح المسلمين.

إضافة إلى ما سبق فقد جمع المتصوفة بين الفقه والتصوف وكتاب الطبقات يعطينا نماذج لذلك بالشيخ محمود العركي الذي عندما أتى إلى السودان وجد الرجل يطلق زوجته وتتزوج بآخر دون إكمال العدة فعلم الناس العدة وفقههم في دينهم. وقد لعبت الطرق الصوفية بالسودان دورا هاما ومؤثرا في الثقافة الإسلامية السائدة في البلاد ماضيا وحاضرا ، وكانت لها تأثيرات اجتماعية واضحة أبرزها الاندماج الاجتماعي الذي يقوم على أساس الولاء للطريقة وليس النسب ، إضافة إلى ما سبق فقد ساهمت الطرق الصوفية في إنشاء العديد من المدن السودانية فقد كانت الكرامات التي تنسب إلى الشيخ والولي تجعل الناس يهاجرون إلى مكان اقامتة والتمركز حوله مثال لهذا مدن مثل الدامر في شمال السودان ، مدني فو وسط السودان، الأبيض غرب السودان....الخ.

لقد صادف تشجيع سلاطين الفونج لقدوم العلماء و رجال الصوفية من البقاع المختلفة، فترة الركود الفكرية التي ألمت بالشرق العربي عندما كرس علماء المسلمين جهودهم لدراسة العلوم النقلية مكتفين باختصارها و كتابة الشروح و الحواشي لها. و زامنت تلك الجهود أيضاً غلبة الطرق الصوفية و هيمنتها على حياة المسلمين الاجتماعية و الدينية. و امتد آثر ذلك على العلماء السودانيين الذين حصروا جهودهم على العلوم النقلية قراءةً و دراسةً و تعليماً دون اجتهاد خلاق، و قد تخطى بعضهم هذه المرحلة فساهم في شرح المختصرات و كتابة الحواشي لها. على نهج رصفائهم في بقية أجزاء العالم الإسلامي، لكن قلة منهم اهتمت بالتأليف كجهد فكري خلاق كما أن من اهتم منهم بالتصوف كان الجانب العلمي أغلب على مساهماته[١].

١محمد آدم عبد الرحمن مملكة الفونج و دورها في نشر العلوم الإسلامية في السودان
http://sudapedia.com/ar/content/22#footnote4

فقهـاء الصوفيـة: سـعى دعـاة التصـوف، كالعلـماء مـن قبلهـم في نـشر العقيـدة الإسـلامية و تعميـق تعاليمهـا. و كان أسـلوبهم تغلـب عليـه البسـاطة،إذ يعتمـدون عـلى التلقـين و قـراءة الأوراد. و كان ورعهـم و زهدهـم ومـا يتمتعـون بـه مـن احـترام و مسـاعدة للفقـير و إعانـة للمظلـوم خـير عـون في ذلـك. و بكلـمات أخرى كانـت وظيفتهـم تجمـع بـين الإرشـاد الدينـي و الهدايـة و الروحيـة و العون في شـتى صـوره. كل هـذا حبـب النـاس إليهـم. و لا شـك أن المكانـة السـامية التـي تبؤاوهـا في المجتمـع كانـت تعكـس حاجـة المجتمـع لأمثالهـم و نتيجـة لهـذا كلـه ترسـم بعـض العلـماء خطاهـم فجمعـوا بـين الفقـه و التصـوف. و لعـل في سـير الشـيخ دفـع الله بـن الشـيخ أبـو إدريـس و الشـيخ شرف الديـن بـن عـلي ود بـري و الشـيخ مضـوي بـن مـدني مـا يدلـل عـلى ذلـك. و تدريجيـاً تلاحمـت وظيفـة الفقيـه مـع الداعيـة الصـوفي. كـما جمـع العلـماء أو المعلمـون بـين التصـوف و تدريـس الفقـه. بهـذا التلاقـح بـين النهجـين الفقهـي و الصـوفي وضعـت النـواة الأولى للخصائـص المميـزة للثقافـة الدينيـة في السـودان. و لعـل انتشـار القبـاب و الأضرحـة، و ما سرده ودضيـف الله في طبقاتـه أصـدق دليـل عـلى هـذا التميـز عمليـاً. و تمتـع أولائـك المشـايخ بنفـوذٍ واسـعٍ في مملكـة سـنار، فأُقطِعـوا الإقطاعيـات الواسـعة، و لم يـرد لهـم طلـب عنـد الحـكام و الملـوك و مـن اسـتجار بهـم فهـو آمـن غضـب السـلطان، ممـا شـجع أولائـك المشـايخ عـلى الإقامـة و نـشر الديـن و الثقافـة الإسـلاميتين في سـلطنة سـنار[1]. يقتـضي الحديـث عـن الوضـع الصـوفي في السـودان الإشـارة إلى دور الأسر والبيوتـات الدينيـة في تكويـن السـودان الثقـافي بشـقيه العلمـي والصـوفي. ويمكـن القـول أن التصـوف في السـودان ارتكـز في انتشـاره إلى حـد كبـير عـلى جهـود هـذه الأسر ونفوذهـا التـي اسـتمدتها مـن انتمائهـا إلي البيـت النبـوي، أو الأصـل العـربي، أو مـن ذيـوع كراماتهـا، ودورهـا في تأسـيس المؤسسـات الدينيـة مـن خـلاوي وزوايـا ومسـاجد ومعاهـد علـم، ولذلـك كان مجـرد الانتـماء إلي واحـدة مـن هـذه الأسر كافيـا لذيـوع اسـم صاحبـه صوفيـا أو فقيهـا، وبالتـالي لانتشـار مايدعـو إليـه مـن تعاليـم.

[1] المصدر نفسه

على ازدياد نفوذ هذه الأسر أنها جمعت في كثير من الحالات بين العلم الفقهي والصوفي، ونشطت في تأسيس الخلاوى لتحفيظ القران، ومنادي القراءة والكتابة، ومبادئ الدين، والمساجد لتدريس العلم، يقوم به أبناؤها أو من يعهدون إليهم بهذه المهمة من الفقهاء أو المعلمين أو الصوفية، أو ممن جمعوا بين الفقه والتصوف والعلم الديني. وفي كتاب ود ضيف أمثلة كثيرة عن اسر توارثت هذه المهنة، وقامت بادوار مهمة في نشر العلم الديني.

الطريقة القادرية

تمثل كل من الطريقة القادرية والشاذلية أوائل الطرق الصوفية وصولا الى السودان.

الطريقة القادرية والتي يطلق عليها أحيانا بالجيلانية من أكثر الطرق الصوفية انتشارا في العالم الإسلامي.ومؤسس الطريقة هو الشيخ عبدا لقادر الجيلانى (١٠٧٧-١١٦٦م) ببغداد. وعلى الرغم من أن الطريقة القادرية ترجع في الأثر إلى الشيخ عبدا لقادر الجيلانى إلا أنه لم يثبت ما يشير إلى انه من قام بتسميتها بهذا الاسم ولكن من المرجح أن يكون تلاميذه ومريديه هم من أطلق اسم القادرية على الطريقة.وقد انتشرت الأفكار القادرية في العالم الإسلامي عن طريق تلاميذه الذي أشهرهم على الإطلاق الشيخ تاج الدين البهاري الذي أسهم في نشر الطريق القادرية في السودان .وأكثر ما يميز الطريقة القادرية هي عدم مركزية الطريقة بمعنى أن زعماء الطرق القادرية في مختلف الإرجاء لا يدينون بالولاء المباشر لمركز الطريقة بالعراق بل انه حتى على نطاق القطر الواحد لا توجد مركزية للطريقة حيث أن كل فرع للطريقة له استقلاليته الكاملة والمنفردة، وفى ذلك يرى كثير من الباحثين أن لا مركزية الطريقة هي السبب المباشر في انتشار الطريقة القادرية بصوره واسعة على نطاق العالم الإسلامي.ووجدت الطريقة القادرية طريقها إلى السودان بوفود الشيخ تاج الدين البهاريإلى السودان، وكما جاء في كتاب الطبقات* انه ولد ببغداد وقدم إلى السودان عن طريق الحجاز في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي أول ملك الشيخ عجيب ملك العبدلاب، بدعوة وجهت له من

وجهاء وتجار القوم في ذلك الوقت والذين التقوا به في الحجاز منهم الشيخ داوود عبد الجليل والذي أقام معه الشيخ تاج الدين فيارتجى وتزوج فيها وأقام سبع سنوات في السودان أول قدومه إلى السودان. ونشط الشيخ تاج الدين البهاري بمجرد قدومه في تسليك الطريق القادري ولقيت دعوته رواجا كبيرا وأول من تتلمذ على يديه هو الشيخ محمد الأمين عبد الصادق المشهور بالهميم والذي يعتبر مؤسس الطريقة القادرية في السودان، والذي حظي بمكانة عظيمة لدى عامة الناس ولدى ملوك الفونج حتى انه يقال عندما يدخل ستار عاصمة مملكة الفونج شافعا للناس كانت طلباته تجاب على الفور. واستطاعت القادرية أن تنتشر في السودان لبساطة دعوتها ولدعم الدولة لها في ذلك التاريخ ولعدم مركزيتها حيث انه ما وجد سيخا اشتهر إلا وتحلق الناس حوله وسعوا إلى تخليده وإحياء طريقته بعد موته وبمرور الزمن تتضاعف أعدادهم وتسمى الطريقة باسم الشيخ المؤسس والمتوفى. ويبدو أن الشيخ تاج الدين البهاري أراد أن يكون للطريقة القادرية مركزا موحدا لعموم السودان ويتضح ذلك من قوله: « بأنه جاء من بغداد لأجل هذا الولد خلفته فيمكاني مثل ما بتعاينو لي عاينو ليه». والولد المعنى هنا هو الشيخ الهميم. إلا أن ذلك لم يتحقق إذ تعددت المراكز القادرية في السودان المستقلة بذاتها بعيدا عن الشيخ الهميم وأصبح لكل شيخ فرع قادري ينسب إليه ، ويمكن أن نرجع ذلك إلى عديد العوامل منها:

١ - عوامل تاريخية تتعلق بالطريقة التي دخلت بها القادرية إلى السودان أدت إلى خلافات بين المتصوفة أنفسهم إذ أن المكانة الدينية والاجتماعية والسياسية التي وجدها الشيخ الهميم جعلت آخرين يسلكون الطريق القادري بعد خروج البهاري من السودان على ايدى شيوخ آخرين من تلاميذ الشيخ عبد القادر الجيلانى مثل الشيخ عبدا لله العركى ، مما افقد الطريقة الزعامة الروحية الموحدة.

٢ -الشعبية التي تتمتع بها الطريقة القادرية من خلال وسائلها الدعوية البسطة غير المعقدة جعلها تنتشر أواسط الناس بكل سهولة.

٣- المرونة التي تتمتع بها الطريقة القادرية عما سواها من الطرق الصوفية الأخرى .

٤-كل الذين سلكوا الطريق القادري على يد الشيخ البهاري كانوا من أصحاب السلطة الزمنية والروحية في المجتمع السوداني ،فالشيخ عجيب كان ملك العبدلاب والشيخ بانقا من الأسرة الحاكمة في دولة الفونج وهم من أوائل من سلك الطريق القادري في السودان بعد الشيخ الهميم، لذلك كان من الصعب أن يفرض على هؤلاء الانقياد تحت إمرة مركزية للطريقة القادرية لما يتمتعون به من مكانة عظيمة في مجتمعاتهم.
٥-بالإضافة لما سبق هنالك ظروف اقتضت قيام مثل هذه الفروع القادرية بداخل المجتمعات المحلية وذلك للتصدي لنفوذ الطرق التي دخلت السودان في تاريخ لاحق والتي يطلق عليها اسم طرق الإحياء والتجديد* وذلك للحد من نفوذ هذه الطرق في المناطق التي تنتشر فيها الطريقة القادرية مثال ذلك مركز طيبة الشيخ عبد الباقيالذي يرى الباحثين انه قام للتصدي لنفوذ الطريقة السمانية التي بدأت تنتشر في الجزيرة.
٦- ضعف البنية المركزية للطريقة القادرية لعدم وجود شيخ مسيطر يكون مرجعية للطريقة القادرية في كافة السودان كما هو الحال بالنسبة لبعض الطرق الأخرى كالختمية مثلا.
٧- السمعة الروحية التي يتمتع بها الشيخ الصوفي ومقدرته على الآتيان بالكرامات التي تجعل الأتباع يلتفون من حوله وخلق مجموعة جديدة داخل الطريقة الأم لا تلبث أن تنمو لتصبح طريقة مرتبطة بالمؤسس الأول.أهم مراكز الطريقة القادرية في السودان:
مركز الصادقاب:يعتبر من أوائل الفروع المؤسسة للطريقة القادرية في السودان ،مؤسسه الشيخ محمد الأمين عبد الصادق بن مالك المشهور بالهميم وهو أول من سلك الطريق القادري من السودانيين على يد الشيخ تاج الدين البهاري. وسمى بالصادقاب نسبة إلى مؤسسة ويوجد مسيد.
مركز اليعقوباب:مؤسس هذا الفرع القادري هو الشيخ بانقا الضرير وهو من تلاميذ الشيخ البهاري. وسمى بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ يعقوب بن بانقا الضرير.

ومن رواد الطريقة القادرية في السودان الشيخ إدريس ود الأرباب الذي

ذكـر ود ضيـف الله عنـه انـه اخـذ هـذه الطريقـة مـن الرسـول عليـه السـلام، أو مـن رجـل قـدم إليـه بالخطـوة مـن المغـرب. ثـم وصفـه بحجـة الصوفيـة، ومرشـد السـالكين، وقطـب العارفـين، وعلـم المهتديـن، مظهـر شـمس المعـرف بعـد غروبهـا، الواصـل إلي الله والموصـل إليـه.

وانتـشرت الطريقـة القادريـة عـلى يـد الشـيخ حسـن ود حسـونة الـذي ارشـد جماعـة مـن المريديـن، وانتـشرت كراماتـه في مناطـق المسـلمية وأبي دليـق والحلـة المعروفـة باسـمه. كـما اشـتهر بالذكـر والخلـوة وإرشـاد المريديـن[1].

ومـن أشـهر فـروع القادريـة، العركيـون أول مـن أدخـل فقـه العدة في السـودان، هـم أنجـم في سـماء البـلاد لـن تغـار، الشـيخ محمـود العركـي والشـيخ عبـد الله العركـي والشـيخ دفـع الله المصوبـن: حملـوا لـواء العلـم والـتراث الصـوفي[2].

وللشـيخ عبـد الله بـن دفـع الله العركـي دور كبـير في نـشر تعاليـم القادريـة. وقـد اشـتهر أمـره، وتـولى القضـاء في عهـد الشـيخ عجيـب. ويذكـر ود ضيـف الله أن البهـاري طلـب منـه أن ينضـم إلى طريقتـه فرفـض ذلـك بادئـي الأمـر إيثـار لعلمـه الفقهـي عـلى الباطـن، ولكنـه عندمـا رأي مكانـة مريديـه سـافر إلى الحجـاز، ثـم عـاد إلى السـودان مرشـدا للنـاس في علمـي الظاهـر والباطـن. وسـلّك جماعـة منهـم أخـوه أبـو إدريـس العركـي الـذي وصفـه ود ضيـف الله بشـيخ الإسـلام. ومنهـم الشـيخ حمـد النيـل والشـيخ الأغـر الـذي ورث عنـه جبتـه ورايتـه وجبـة حبيـب الله العجمـي وكوفيتـه، واحـل شـيخه في تدريـس الفقـه والعلـوم، وتربيـة المريديـن، ثـم سـلم الرايـة والـككارة لدفـع الله العركـي الـذي اشـتهر بـين علـماء عـصره، ونـال تقديرهـم، وعـرف عنـه اشـتغاله بتدريـس العلـم والقـران وإرشـاد المريديـن وتربيتهـم[3].

---

١ يحيى محمد إبراهيم. مدرسة احمد بن إدريس أثرها في السودان. دار الجيل بيروت، ١٩٩٣ ص٣١٤

٢ عبد الرحمن أحمد عثمان. المنهج الصوفي في نشر الإسلام في أفريقيا. الموتمر الدولي لانتشار الإسلام في أفريقيا، الكتاب الخامس. جامعة أفريقيا العالمية، وزارة الارشاد والاوقاف، ٢٠٠٦، ص١٨.

٣ المصدر نفسه ص٣١٤

الطريقة الشاذلية

وعرف السودان الطريقة الشاذلية على يد الفقيه حمد بن أبي دنانة. وقد تركت هذه أثرا واضحا في الحياة السودانية. ومن مشاهير أتباعها الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن الذي كان قادريا بأوراد الشاذلية، وتأثر بأقوالهم وأفعالهم ولبس فاخر الثياب، بعكس بعض شيوخ القادرية الذين لبسوا الخرق، وبالغوا في المجاهدات. ويشير ترمنجهام إلي انه سافر للحج، واخذ الشيخ عن الشيخ أحمد التنبك وفوق ذلك كان متصلا بالناس، وصار ملاذهم في ساعات الشدة، ولم يمنعه اشتغاله بمراسم التصوف من ذلك، كما صار مهابا عند السلاطين، ومقبول الشفاعة[١].

وعرف الشيخ بزهده وورعه وقراءته لدلائل الخيرات. ويذكر ود ضيف الله أن سائر أذكاره بالإضافة إلى مؤلفات الشاذلية وأورادها ومنجيات ابن عطاء، نبويات كانت تدرس في مسجد الحلفاية.

وانتشرت الطريقة الشاذلية في منطقة الدامر وعلى نهر عطبرة وسواكن على يد الشيخ حمد بن المجذوب وأولاده. ويشير ود ضيف الله إلى انه اخذ عن الشيخ على الدرواي، ودرس جميع الفنون والفتاوي والإحكام والسلوك في طريق القوم ولازم دلائل الخيرات.

والصوفية في السودان سواء أكانوا من أرباب الطرق، أو ممن مارسوا التصوف الفردي ركزوا نشاطهم على الأوراد والأذكار وإحياء الموالد، وتلقين المريدين، وشاعت بينهم أوراد الشاذلية والقادرية، وتحدث بعضهم عن المجاهدات والكرامات، وعرفوا مؤلفات ابن عربي والشعراني. وبالإضافة إلي ذلك أسسوا الخلاوي والمساجد، ونشروا العلم الديني، وارتبطوا بالعامة، فارتفعت مكانتهم عندهم فروجوا كراماتهم، وهابهم السلاطين والأمراء، واقفوا عليهم الاقطاعات، وتقربوا إليهم، وتوسطوا بينهم عند المنازعات، وتدخلوا ضد الضرائب الباهظة والعشور على الأهالي في بعض الأحوال. واشتهر بعضهم بالكرم فاخذوا من الأغنياء للفقراء، ووزعوا مايجمعونه من

١ يحيى محمد إبراهيم. مدرسة احمد بن إدريس أثرها في السودان. دار الجيل بيروت، ١٩٩٣ ص٣١٥

مـال في ديـار المسـلمين[1].

وإذا نظرنـا إلى مـا تركـه هـولاء مـن اثـر فكـري في البـلاد عـلى امتـداد فـترة الفونـج لا نجـد فكـرا يكـون في جملتـه فلسـفة صوفيـة متكاملـة أو منهجـا شـاملا متصـلا بالمنابـع الأصليـة للتصـوف، ويبحـث في مسـائله مـن مقامـات وأحـوال ومجاهـدات ورياضيـات، ومـن أراء في الوحـدة والحلـول والـذوق والفنـاء والتجليـات والشـهود والمعرفـة.

ولكنـا مـن جهـة أخـرى نجـد مؤلفـات قليلـة أورد ود ضيـف الله أسـماءها، منها كتـاب صفـة الفقـير لمحمـد ولـد هـدوي، يـدل مـا وصلنـا مـن نـماذج عنـه انـه كان أديبـا وشـاعرا ولغويـا، ويـدل عـلى ذلـك رثـاؤه للشـيخ الزيـن صغـيرون، ومدحـه لإبراهيـم بـن الزيـن. ولعبـد الرحمـن بـن جابـر كتـاب ترشـيد المريديـن لم ننـق عليـه، ولكـن شـهرة مؤلفـه في الفقـه والتصـوف، ونمـوذج إجازتـه لأحـد تلاميـذه يؤكـد انـه كان عالمـا. وهنـاك كتـاب لسـوداني قرظـه عـالم أزهـري، وقـال عنـه:» هـذه عبـارة وليٍّ«. وفي كاتـب الشـونة ان لـود ضيـف الله شرح عـلى ابـن عطـاء الله. ولإسـماعيل الدقـلاشي مؤلـف في طريـق الله يعكـس المسـتوى الطيـب الـذي بلغـه التأليـف في عـصر الفونـج، وفيـه يتنـاول موضوعـات في آداب الطريقـة، وآداب التلميـذ مـع شـيخه، وأنـواع الطـرق والرؤيـا، وأقسـام المعرفـة، أنـواع الرياضـة الصوفيـة والمقامـات وعلاماتهـا والكرامـات ومـا إليهـا، كـما يعتـبر كتـاب الطبقـات لـو ضيـف الله نفسـه نموذجـا طيبـا يعكـس حـال التأليـف في أواخـر عـصر الفونـج[2].

ولعـل قلـة هـذا المحصـول الفكـري عـلى امتـداد ثلاثـة قـرون تـدل عـلى أن الطـرق الصوفيـة في السـودان ابتعـدت عـن المعـين الأصـلي، ولم تخلـق فكـرا صوفيـا مميـزا.

وكيفـما كان الأمـر فـان الـتراث الدينـي الـذي سـاد البـلاد طـول عـصر الممالـك الإسـلامية وبعـده ينحـدر مـن الصوفيـة وثقلهـا التاريخـي، ومـن الطـرق الصوفيـة التـي انتهـت إلى أهـل السـودان وبحضارتهـا وكراماتهـا وصلاحهـا وزهدهـا.

١ المصدر نفسه ص ٣١٧
٢ المصدر نفسه ص ٣١٩

وإذا عرفنا أن هذا النشاط الصوفي بشقيه العلمي والفكري ارتكز في الأغلب على الطريقتين القادرية والشاذلية فأنهما كانتا تعانيان في أواخر عصر الفونج ضعفا في عطائهما الفكري وتأثيرهما الاجتماعي بسبب فقدان مركزية القيادة، وما ترتب على ذلك من انتشار طرق متفرعة بقياداتها وأتباعها دون رابطة تنظيمية، سوي رابطة المحبة ووحدة السند والمشرب، وظل الحال على هذا حتى وفدت الطرق المجددة المتأثرة بالتيارات الفكرية والإصلاحية التي شهدها العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر. ومن بين هذه الطرق السمانية والمجذوبية والأحمدية والادريسية ثم الاسماعلية فيما بعد١.

١ المصدر نفسه ص ٣٢٠



الباب الثاني

التجديد والمجددون

من الظواهر الطبيعية الظاهرة، أن لكل كائن حي دورة حياة، تسمى المنحنى الطبيعي، يبدأ المنحنى من القاع صاعدا، تدفعه في مراحله الأولى طاقاته الفتية الشابة الحية، وقواه الفاعلة، وروحه المتفائلة المنطلقة الطموح، هكذا حتى يبلغ القمة، ولكن سرعان ما تبدأ قواه في الضعف، وتتناقص سرعة انطلاقه ليسير بعجلة اقل تسارعا، ثم ما يلب ثان يعيش مرحلة ثبات ثم سُبات ثم ينحدر هابطا.١

لاشك ان التجديد والاصلاح هما من الضروريات التي تفرض نفسها في جميع الميادين والمجالات كلما تقادم الزمن ومرت الايام، فتوالي الاحداث وتعاقب الأجيال يورث عددا من المفاهيم المغلوطة والممارسات الفاسدة التي تستوجب تدخل من يُقوم الإعوجاج ويصحح المفاهيم٢.

تظهر أهمية هذه المهمة التجديدية وتزداد بحسب المجال أو الميدان الذي يحتاج لهذا التدخل الإصلاحي، والأكيد ان امور الدين والشريعة هي من

١ أزهري التجاني عوض السيد. المسار التربوي للحركة الإسلامية. منشورات مكتب الدعوة. بدون تاريخ، ص-٢٩.

٢ محمد مهدي منصور. التجديد في الفكر الصوفي.٢٠١٠ ص٣

أهم هذه الميادين، لكونها عصمة أمر المؤمن، وعلى أساسها تبنيي سائر أموره الأخرى، دنيوية كانت أم أخروية، فتخصيص العلوم الشرعية بهذه النظرة التجديدية هي من أولى المهمات المفروضة والواجبة على علماء الأمة المجتهدين المؤهلين، حتى يبقى تدين الأمة سالما من كل إنحراف أو زيغ أو ضلال متعمد أو غير متعمد[1].

وحينما نتحدث عن الدين وأهمية تجديده وتحصينه: فالأمر يخص الدين على اختلاف أقسامه ومراتبه، وبناء على ان درجة الإحسان هي أعلى درجاته ومراتبه، كان لزاما أن يُوجه اليها الإهتمام بشكل اكبر، لما لها من أهمية عظمى، ولكونها تمثل لب الدين وروحه، ولتأثيرها المباشر على سائر المراتب والدرجات الأخرى: إذ لاريب أن من أخلص في تدينه والتزامه، منتهجا نهج التزكية والتربية الروحية النقي الصافي: يصل بحول الله وفضله الي درجة الأحسان المعبرً عنها في حديث جبريل الشهير بقول النبي صلى الله عليه وسلم :(أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فيوفقه الله ويرسخ في باطنه حقيقة المراقبة ، مراقبة الله عز وجل في خلواته وجلواته، فهذا الفرد لايمكن الا ان يكونا مؤمنا ربانيا صالحا مصلحا، لا يصدر عنه إجمالا الإ مايوافق الشرع الشريف، والفطرة السليمة، فيسهل عليه بفضل الله الإلتزام بسائر فروع الدين وأصوله ، نتيجة تأهيله الداخلي وتنويره الباطني، وهذا هو أساس التصوف وهدفه، صفاءٌ في صفاء في صفاء[2].
وعن مفهوم التجديد وتعريفه فقد جاء في لسان العرب: " الجدّة هي نقيص البلى، ويقال شيء جديد، وتجدد الشيء صار جديداً وهو نقيض الخلق، وجدّ الثوب يجِدُّ (بالكسر) صار جديداً، والجديد ما لا عهد لك به[3]قال الجَوهَريُّ: «جَدَّ الشيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّةً ، صَارَ جَدِيداً ، وهو نَقِيضُ الخَلَقِ»(٤). وقال أيضاً : «وتَجَدَّدَ الشيءُ صَارَ جَدِيداً ، وأَجَدَّهُ واسْتَجدَّهُ ، وجَدَّدَهُ : أي صَيَّرَه جَدِيداً»(٥). وقال الأزهريُّ: وقال اللَّيثُ :»الجدُّ: نقيضُ الهَزْلِ ، يُقالُ: جَدَّ

١ المصدر نفسه ٣
٢ المصدر نفسه ٤
٣ https://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/miscellaneous/harakt_altajdid_walistenhad/page/lesson2.htm
٤ انظر: الصحاح له (٤٥٤/٢) مادة (جدد).
٥ نفس المصدر السابق (٤٥٤/٢) المادة نفسها ، وانظر أيضاً لسان العرب (٢٠٢/٢) ، ومعجم متن اللغة (٤٨٥/١).

فــلانٌ في أمــره إذا كان ذا حقيقــةٍ وَمَضاءٍ...وأجَــدَّ ثوبــاً واسْــتَجدَّه...والجَدِيَدَانِ ، والأجَــدَّانِ: اللَّيــل والنَّهــار»(١).

وقــال ابــن فــارس:» سُــمِّي كلُّ شــيءٍ لم تــأت عليــه الأيَّــامُ جَدِيــداً ، ولذلــك يُسـمَّى اللَّيـلُ والنَّهـارُ الجديدَيـنِ والأجَدَّيـنِ ، لأنَّ كُل واحـدٍ منهـما إذا جـاءَ ، فهـو جديــدٌ»(٢).

قلــتُ: ممــا سـبق يتبـين أنَّ التجديـد في اللغـة يـدور حـول البعـث والإعـادة ، وإحيـاء مـا أنـدرس ، والله أعلـم. ويقـول وحيـد الديـن خـان:» إنَّ تجديـد الديـن لا يعنــي اخــتراع إضافــة لديــن الله، وإنــما يعنــي تطهــير الديــن الإلهــي مــن الغبــار الــذي يتراكــم عليــه ، وتقديمــه في صورتــه الأصليــة النقيــة الناصعــة»٣. ممــا تقــدم نجــد أن التجديــد يعنــي إعــادة ترميــم الــشيء البــالي (نقيــض البــالي)، وليـس خلـق شيء لم يكـن موجـوداً (نقيـض الخلـق) وبهـذا المعنـى فـإن التجديـد في مجـال الفكـر أو في مجـال الأشـياء عـلى السـواء هـو أن تعيـد الفكـرة أو الـشيء الـذي بـلي أو قـدم أو تراكمـت عليـه مـن السـمات والمظاهر مـا طمـس جوهـره، وان تعيده إلى حالتـه الأولى يـوم كان أول مـرة، فتجـدد الـشيء أن تعيـده جديداًكذلـك الفكـر. وعليــه فــإن اختيــار كلمــة التجديــد لاســتخدامها عــلى مــا نحــن فيــه في موضــوع التجديـد في الفكـر والأسـلوب والقـراءة للنـص المقـدس يـأتي منطبقـاً عـلى المطلب، حيـث إن الإمـام لم يكـن ليدعـي انـه اختلـق فكـراً جديـداً أو طـرح أيديولوجيـة أو عقيــدة جديــدة، بــل هــو نفــض الغبــار عــن القديــم.

فالتجديـد لغـة: يعنـي وجـود شي كان عـلى حالـة مـا، ثـم طـرا عليـه مـا غـيَره وأبــلاه، فــإذا أعيــد إلى مثــل حالتــه الأولى التــي كان عليهــا قبــل أن يصيبــه البــلى والتغــير كان ذلــك تجديــدا»٤

يعتــبر مفهــوم التجديــد مــن أكثــر المفاهيــم التــي تنازعتهــا التيــارات الثقافيــة والفكريــة المختلفــة، وقــد انعكــس هــذا التنــازع عــلى المفهــوم ذاتــه

١ انظر: تهذيب اللغة (٤٦٢/١٠) ، مادة (جدد).
٢ انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٠٩/١).المادة نفسها.
٣ **عَبدُ الْعَزِيزِ مُختَار إبرَاهِيم** العَصْرَانِيُوْنَ وَ مَفْهُوْمِ تَجْدِيْدِ الدِّيْنِ **كُلِّيَةُ التَّربيةِ والآدَابِ/قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الإسلامية جَامِعَةِ تَبُوك** الطبعة الثانية وآخر تعديل في ١٤٣٣/١/٢٢
٤ عدنان محمد إمامة. التجديد في الفكر الإسلامي. رسالة دكتوراة منشورة –كلية الإمام الأوزاعي – بيروت– ٢٠٠١

مـن حيـث معنـاه ودلالاتـه، وواقعيًـا يصـل الباحثـون لُمسـلَّمة هـي أن التجديـد -عـلى المسـتوى النظامـي والحركـي- قـد تُخفـق أهـم جهـوده نظـرًا لعـدم وضـوح التأصيـل الفكـري والمنهجـي لعمليـة التجديـد في تأكيـد واضـح عـلى أهميـة الربـط بـين النظريـة والفاعليـة في مجـال التجديـد الحضـاري. والتجديـد في اللغـة العربيـة مـن أصـل الفعـل «تجـدد» أي صـار جديـدًا، جـدده أي صـيّره جديـدًا وكذلـك أجـدّه واسـتجده، وكذلـك سُـمِّي كل شيء لم تـأت عليـه الأيـام جديـدًا، ومـن خـلال هـذه المعـاني اللغويـة يمكـن القـول: إن التجديـد في الأصـل معنـاه اللغـوي يبعـث في الذهـن تصـورًا تجتمـع فيـه ثلاثـة معـانٍ متصلـة:

أ- أن الـشيء المجـدد قـد كان في أول الأمـر موجـودًا وقائـمًا وللنـاس بـه عهـد.

ب- أن هـذا الـشيء أتـت عليـه الأيـام فأصابـه البـلى وصـار قديـمًا.

جـ- أن ذلـك الـشيء قـد أعيـد إلى مثـل الحالـة التـي كان عليها قبـل أن يبـلى ويخلق.

ولقـد اسـتخدمت كلمـة جديـد - وليـس لفـظ التجديـد- في القـرآن الكريـم بمعنـى البعـث والإحيـاء والإعـادة -غالبًـا للخلـق-، وكذلـك أشـارت السـنة النبويـة لمفهـوم التجديـد مـن خـلال المعـاني السـابقة المتصلـة: الخلـق- الضعـف أو الموت-الإعـادة والإحيـاء. ويعتـبر حديـث التجديـد [عـن أبي هريـرة (رضي الله عنـه) قـال: قـال رسـول الله- (صـلى الله عليـه وسـلم): «إن الله يبعـث لهـذه الأمـة عـلى رأس كل مائـة سـنة مـن يجـدد دينهـا» رواه أبـو داود]: مـن أهـم الإشـارات إلى مفهـوم التجديـد في السـنة النبويـة، وقـد تعلقـت بهـذا الحديـث مجموعـة مـن الأفـكار أهمهـا:

إنّ أهـم معـالم الإصـلاح والتجديـد الفكـري في مجـال التصـوف السـني الصحيح تتمثـل في النقـاط التاليـة :(أولا) : تأكيـد وتجديـد مبـدأ ارتبـاط التصـوف بالكتـاب والسـنة :مـن المعلـوم أن هـذا المبـدأ مـن المبـادئ التـي أكدهـا أئمـة التصـوف وعلـماؤه المحققـون منـذ أقـدم العصـور ، ولكـن شـابه - كغـيره مـن المبـادئ الإسـلامية - كثـير مـن الضمـور والانـزواء في أذهـان المهتمـين بهـذا الجانـب ، سـواء كانـوا مـن كانـوا مـن أدعيـاء التصـوف وجهلـة المتصوفـة ، أو مـن أعدائـه المتتبعـين لسـقطات هـؤلاء وأخطائهـم بغيـة تسـخيرها لمحاربـة التصـوف ، لـذا فإنّ التمسـك بالكتـاب والسـنة شرط أسـاسي في التصـوف ، والعارفـون بـالله هـم أشـد النـاس

تمسكا بأحكام الشرع ، ومن ادعى التصوف مع إخلاله بالشرع فهو دعيٌّ في هذا الطريق لم يشتم شيئا من رائحة التحقيق ، قال الإمام الجنيد رحمه الله : « من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة « أهـ ،(ثانيا) : التأكيد على أهمية التصوف كمنهج أصيل للإصلاح والتربية :يرتبط هذا البند بالبند السابق ، ارتباط المقدمة بالنتيجة ، من جهة ، أو ارتباط الغاية بالوسيلة ، من جهة أخرى. فإذا كان التصوف مبنيا على الكتاب والسنة ،فمن الطبيعي والمنطقي أن يستفيد الإنسان المسلم من الطاقات الهائلة والوسائل التربوية المتعددة التي يزخر بها ميدان التصوف ، وأن يوظفها في سيره الدائم لإصلاح نفسه ومجتمعه ، كوسيلة أساسية ومنهج تربوي يهدف إلى إصلاح النفس البشرية وتحققها بالمواصفات الإيمانية السامية التي ورد الحث عليها في نصوص الكتاب والسنة ، وهذه الخبرات التربوية التي يتمتع بها أئمة التصوف ينبغي أن يستفاد منها في بلورة مناهج تربوية سليمة لإصلاح المجتمعات الإنسانية عامة والإسلامية خاصة ، وضرورة الاستفادة من مناهج التصوف السمحة في مجال الدعوة الإسلامية بالتحلي بالحكمة والتزامالموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والدعوة إلى وحدة العمل الإسلامي ورفض كل أنواع الغلو والتعصب والتطرف الديني تمسكاً بروح التسامح الإسلامي ، مع استلهام قيم ومبادئ التصوف الإسلامي في مناهج التربية والتعليم حتى ينشأ جيل مسلم مشبع بروح التدين والالتزام ، وقد كان للتصوف السبق في نشر الإسلام في كل ربوع إفريقيا ، فإنّها لم يصلها المجاهدون بسيوفهم من المسلمين حتى ينقلوا إليها الإسلام ، وإنما نقل الإسلام إلى إفريقيا السادة الصوفية بأخلاقهم وصفاتهم التي هزموا بها الباطل ، ونصروا بها الحق ، وأسسوا به دولا وإمارات إسلامية في تلك المناطق ، وحافظوا على الفقه الشرعي ، وحافظوا أيضا على العقيدة ، عقيدة أهل السنة والجماعة في تلك البلاد. فليس التصوف بالكسل ، أو بالتواكل كما يتوهم الناس عن أهل التصوف ، إن سير المسلم الراغب في الوصول إلى الله تعالي يعتمد على الالتزام الصارم بتعاليم الإسلام ، حسبما يوجهه الشيخ المرشد الذي هو القائد الروحي ويرعاه بعنايته في تنقله فيمقامات العبودية ، وأول ما يبدأ به الشيخ مع الراغب في الوصول إلى الله تعالى تصحيح الإيمان ، ثم

تصحيح العمل ، ثم معرفة حقيقة مقامات اليقين التي هي الإسلام والإيمان والإحسان بجميع ما يتفرع منها من أمهات المنازل التسعة وهي :التوبة ، وحقيقة التوبة ، وهي التوبة من التوبة بالتجرد من رؤيتها {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} ، والاستقامة : وحقيقة الاستقامة إحكام مقام التأسي والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال والأحوال { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، والتقوى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} ، وهي أن تجعل بينك وبين ما يقطع عن الله تعالى وقاية من الأعمال الصالحة ، والصدق : وهو نسبة الفعل إلى فاعله الحقيقي ، وحقيقته إفراد الوجهة إلي الله تعالي ، قال تعالى : {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} ، والإخلاص : وهو إخلاص العمل لله وحده ، وشهود القيومية الربانية : {اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ، وشهود المعية الإلهية : شهوداً يبدأ بالمراقبة وينتهي بالمشاهدة ، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً ، ومنزل المعرفة بالله : قال الله تعالى :{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» الحديد} ، وقال عزّ وجلّ :{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ،وهذه المقامات كلها تبدأ أحوالاً ثمّ تصير مقامات بعد الرسوخ فيها - ويجب البدء بالتعليم في سلوكها- كما في قول الله تعالى : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد : ١٩] ، والتعليم المشار إليه هنا هو تقويم العقائد بأدلتها النقلية والعقلية ، ثم ينتقل إلى معرفة كيفية العبادة التي فرضها الله على العباد ، وهي حقه عليهم ، وهي لا تصح بدون علم ، ثم ينتقل إلى خطة السير إلى الله بالفكر والتأمل وذلك بمحاسبة النفس على الأنفاس وضبط جميع الحواس ، ومن خلال ربط هذه المقامات الروحية بما تستند إليه من أدلة الكتاب والسنة ، ثم بيان آلية تطبيقها في الواقع الإنساني وقد أجمع العارفون على أنه بإتقان هذه الأحوال ينصلح حال القلب ويسلم من جميع المفسدات ، ومجموع هذه الأعمال - التي هي عبارة عن تطبيق قواعد السير هذه - هو التقوى التي هي جماع كل خير ، وحقيقتها في مقام السير والسلوك العمل بالشريعة ابتداء من معرفة العقيدة وتصحيحها بحسب أدلتها النقلية

وبراهينها العقلية ،(ثالثا) : تصحيح التصورات الخاطئة عن التصوف لدى الآخرين :من المعلوم أن التصوف الإسلامي قد تعرض لكثير من الاتهامات على امتداد تاريخه الطويل ، منذ أن عرف بهذا الاسم ، في القرون الأولى ، ثم تراكمت هذه الاتهامات ، نتيجة لعوامل متعددة ، بعضها ناتج عن ممارسات بعض المنتسبين إلى التصوف ، وبعضها من تحامل خصومهم ، أو من جهلهم بحقيقة التصوف ومقومات بنائه ومرتكزاته الشرعية ، لذا ينبغي تصحيح التصورات الخاطئة لدى غير المنتسبين إلى التصوف ، وبيان وجه الصواب والخطأ في هذه التصورات ، سالكين في سبيل ذلك طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب : أن السادة الصوفية هم خواص أهل السنة والجماعة ، وأنهم اختصوا بهذا الاسم فرارا من أهل البدعة ، بدليل أن الذين كتبوا في المقالات والخلافيات والملل والنحل ، لم يقل أحد من المعتبرين منهم إن الصوفية فرقة مختلفة عن أهل السنة ، لأن عقيدة الصوفية هي عقيدة أهل السنة ، والأدلة التي استندوا إليها هي نفس الأدلة عند المحدثين والفقهاء ، وباقي طوائف أهل السنة كلهم بالتبع لهؤلاء ، وأن جميع طوائف الاتحادية والحلولية والإباحية والباطنية والمادية طوائف ليست من الصوفية في شيء ، والصوفية منهم برآء كما أنّ الإسلام منهم برآء١ ،(رابعا) : تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى بعض المتصوفة :وذلك نظرا للواقع المشاهد من أن كثيرا من الانتقادات والتصورات الخاطئة عن التصوف التي يطلقها خصوم التصوف ، تأتي نتيجة لممارسات يقوم بها بعض المتصوفة أو المنتسبين إلى ميدان التصوف ، فيتخذها المنتقدون وسيلة للتشهير ، بعد أن يعمموها على جميع الصوفية ، المحقين منهم والمبطلين ، على السواء ، من هنا ينبغي بذل الجهد الصادق في تصحيح هذه الأخطاء والمفاهيم الخاطئة لدى المتصوفة ، سواء كانت هذه المفاهيم محدثة من قبل المنحرفين ، أو أن لها أصلا صحيحا وتعرضت للتحريف من قبل الجهال والمبدِّلين ٢.

التجديد يتمثل في عملية إضافة جديدة لاتكر علي القديم بالهدم أو البطلان

١ مجدي بن محمد بن علي. التجديد في علم التزكية والتصوف . رسالة منشورة على الرابط http://dar-eslah.com/index.php/messages/group-a/67#.WabmWrIjG1s

٢ المصدر نفسه

بـل تُضيـف الجديـد الـذي يحتاجـه العـصر وموقفهـا مـن القديـم مبنـي عـلي فكـرة القائـم بواجـب الوقـت، وان السـابقين قـد قامـوا بواجـب وقتهـم بنـاءا عـلي مقتضيـات حياتهـم وأزمانهـم وأنهـم حققـوا نجاحـات، وأن لـك عـصر واجـب يختلـف عـن واجـب العصـور السـابقة، ولذلـك فمـع احترامنـا للمـوروث إلا أننـا لا نقـف عنـده ولا نقـف ضـده، بـل نحترمـه ونضيـف إليـه ونعيـد صياغـة مناهجـه بصـورة تتسـق مـع مـا أضفنـاه مـن مناهـج جديـدة أيضـا وهـذا مبنـي عـلي فكـرة التفريـق بـين المسـائل والمناهـج. فالمسـائل جمـع مسـألة وهـي مـا عرفنـاه في دراسـة النحـو بالجملـة المفيـدة. وفي العربيـة تكـون مكونـة مـن مبتـدأ وخـبر أو مـن فعـل وفاعـل. والمتأمـل في الجملـة الاسـمية والجملـة الفعليـة يجـد أنهـا جزأيـن: موضوع نتكلـم عنـه وشيء نسـنده إلي ذلـك الموضـوع. ولذلـك نـرى علـماء النحـو يتكلمـون عـن المسـند إليـه والمسـند والإسـناد. والمسـائل كثـيرة بعـدد تعبـيرات البـشر ولكـن عندمـا يقـوم الإنسـان بعمليـة الإسـناد، فانـه يتخـذ منهجـا معينـا أو مجموعـة مـن المناهـج حتـى يحكـم عـلي المسـند إليـه الحكـم المناسـب١ .

وعطفـا عـلى مامـضى مـن قـول فـإنً التجديـد في التصـوف لا يعنـي التجديـد في مبادئـه وثوابته،وإنـما يعنـي تجديـد فهـم النـاس للتصـوف، وتجديـد المعنـى القائـم بالقلـوب مما يتعلـق بالعبـادة وتصفيتهـا ممـا يتعلـق بالنفـوس والقلـوب وتزكيتهـا. لأن العبـادة أسـاس كبـير في مجـال التصوف.وتجديـد فهـم النـاس للتصوف،وتجديـد تنـاول النـاس للتصوف،وتجديـد علاقـة النـاس بهـذا الجانـب العظيـم في حيـاة المسـلم مـن حيـث فهـم هـذا الجانـب فهـما صحيحا،منحيـث علاقـة الإنسـان المهتـم بهـذا الجانـب بالآخريـن، هـذا النـوع مـن الانعكاسـات التـي يحدثهـا التمسـك بالتصـوف في النفـس هـو التجديـد.٢

من هو المجدد؟

والسـؤال الـذي يطـرح نفسـه مـن هـو المجـدد . تذهـب بعـد التعريفـات في هـذا الاتجـاه لتقـول أن المجـدد الصـوفي هـو الرجـل العـالم العامـل الـذي وهبـه الله عـز وجـل النـور الكاشـف للظلـمات والشـبهات، ومنحـه الفقـه في ديـن الله، وتأويـل

١ علي جمعة. الاصلاح و التجديد. https://www.draligomaa.com/index.php/٪D٨

٢ ٢٦٧٤٥٩٠٩٣٤٤١٤٢١/https://arar.facebook.com/mauqi.alsiyada/posts

المتشابهات، وفك رموز الخفيات من آيات القرآن، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الفرد الذي تتنزل عليه الفيوضات والإلهامات من العلوم اللدنية، زيادة على ماحصّله من العلوم الكسبية والاجتهادية. وهو العبد الذي أتاه الله رحمة في قلبه بعباد الله، حتى قام ببذل مالديه ليعيد إلى الأذهان ما أندرس من آداب وأحوال سلوك السلف الصالح رضي الله عنهم[1].

ويكون عنده القدرة على التجديد لأنه يكون هو المجدد لزمانه وعصره يكون عنده علم بالكتاب وبالسنة وبما يصلح به عصره وزمانه ويجبر ما كسر منها ويسوقها إلى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويعود بها إلى ما كانت عليه من عز ومجد ويحيي بها معنى الإسلام والإيمان والإحسان وكل مراتب الكمال، وطبعا يكون معه الحجة والبرهان والدليل على ذلك.

و مهمة المجدد أن يزيل مما يحرص على تجديده ماليس منه، فالمجدد الصوفي هو الذي يزيل من الصوفية ماليس منها من الزيادات والإضافات والمفاهيم والانزلاقات والشطحات وهي كثيرة[2].

صفات العالم المجدد

أبان المهتمين بامر التجديد عددا من الصفات للمجدد منها: أن علمه يتجاوز كل الحدود والمسافات.. ويفيد عامة المسلمين وطلبة العلم في عصره. الشرط الأول أن يكون له خارطة بالواقع وعلم دقيق ويعاني تجربة حية، هذه شروط ينبغي توافرها ومن الممكن أن يكون المجدد فردا أو جماعة أو هيئات أو مؤسسات، التجديد لا ينبغي أن يكون أسيرا للماضي، ويجب على المجدد أن يكون له خطاب فحواه الإجابة على تحديات العصر فحينما يرى هذا التشظي بين الجماعات العاملة فيجب عليه العودة إلى خطاب الرحمة.

---

١ فوزي محمد العبيد. المنهج الصوفي والحياة العصرية.

٢ محمد فاروق النبهان. من هو المجدد الصوفي. متوفر على الرابط http://www.dr-mfalnbhan.com/٪D٩٪٨١٪D٩٪٨٨٪D٩٪B٥٪D٨٪٨٤٪D٩٪A٧٪AF-٪D٨٪AF٪D٨٪AC٪D٨٪D٨٪٨٥٪D٩٪٨٤٪D٩٪A٧٪D٨٪٨A/

إذا أردنـا أن نَعُـدّ المجدديـن في هـذه الأمـة لا نجـد إلا القليـل نسـتطيع أن نعدّهـم، وتحتـار الأمـة فيهـم وقـد لا تجتمـع عليهـم بالإجماع الكامـل، فأيـن هـم ومـن هـم وكيـف لنـا أن نعرفهـم؟ إذاً فهـذا المجـدد مميـز مـن الله سـبحانه وتعـالى ومـن الرسـول صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم، ومـاذا يُفهـم مـن كلمـة يبعـث؟ مـا هـو البعـث؟ يبعـث فيهـا مـن يحيهـا، إذاً لا يُحيـي الأمـم إلا أنبياؤهـا أو أشباههم فهـم الذيـن يتـم الإحيـاء بهـم، فبهـم حيـاة القلـوب والقوالـب والنهضـة والعـودة بهـذه الأمـة إلى ماضيهـا وعزهـا ومجدهـا، عهـد النبـوة والرسـالة، إذاً يبعثـه ليبعـث روح معـاني هـذا الديـن العظيـم بالنبـي العظيـم صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم. فحقيقـة المجـدد أن يجـدد وجـود النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم الـذي جـاء بالديـن في القلـوب وفي الأمـة، فالأمـة لا تفقـد الديـن إنـما تفقـد معـاني النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم وحـال النبـوة، فالتجديـد تجديـد حـال ومقـام وهيبـة ومحبـة وتعظيـم النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم في القلـوب والقوالب...فـإن تـم إيجـاد حـال النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم في الأمـة ستَـحيا بنبيهـا صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم لله سـبحانه وتعـالى، ولذلـك نتجـدد نحـن في الديـن بالنبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم بالمجدِّد..فكلمـة جديـد ربـما وردت في القـرآن مـا يقـارب السـبع مـرات ودائـما يـأتي وراءهـا كلمـة (خلقـاً) مـا الأمـر ولمَ؟ إذا أراد الله عـز وجـل أن يجـدد دينـاً في أمـة أو في أمـم بعـث الأنبيـاء إمـا برسـالة جديـدة أو بنفس الرسـالة يحييهـا بحياتـه، وهكـذا بعـد النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم يبعـث الله عـز وجـل أشـباه النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم لإحيـاء الديـن بالنبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وسـلم فيهـم فهـذا هـو التجديـد ومعنـاه.

ومـن صفاتـه هـو الرجـل الـذي وصـل في كـمال إتباعـه لسـيدنا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مقامـا لايقـدر معـه أن يلتفـت عـن رسـول الله عليـه أتـم الصلوات والتسـليمات طرفـة عـين ولا اقـل ولا أن يخالفـه في أي شي مهـما كان صغـيرا.

وهـو عبـد مـن عبـاد الله المخصوصـين لذاتـه، والمفرديـن لحضرتـه جـل شـانه، وقـد أتـاه الله رحمـة مـن عنـده تسـع النـاس في عـصره، فهـو يعطـي كل واحـد

منهـم نصيبـه في هـذه الرحمـة التـي وهبهـا الله لـه.

وهـو رجـل ورث عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم علـوم الشريعـة وعلـوم الطريقـة وعلـوم الحقيقة.

وهـو رجـل جعلـه الله خبـيرا بمعـاني تجليـات الحـق تبـارك وتعـالى، وعليـما بـإسراره وغيبوبـة القدسـية، فـلا يبيـح منهـا شـيئا إلا لأهلهـا بقـدر طاقتهـم[1].

شروط المجدد

وضـع أهـل الاختصـاص في مجـال التجديـد شروطـا وصفاتـا للمجـدد التـي ينبغـي أن تتوفـر فيـه حتـى يعـد مـن المجدديـن، بالتأمـل في تعريـف التجديـد والمجـالات التـي يتناولهـا عمـل المجدديـن، ومايلـزم عـن ذلـك مـن شروط وصفـات منهـا مايـلي:

١- أن يكون المجدد معروفا بصفاء العقيدة وسلامة المنهج.

٢- أن يكون عالما لا بل مجتهدا.

٣- أن يشمل تجديده ميداني الفكر والسلوك في المجتمع.

٤- أن يعم نفعه أهل زمانه.[2]

وذلـك لان المجـدد رجـل مرحلـة زمنيـة، تمتـد قرنـا مـن الزمـن، فـلا بـد إذن من أن يكـون منـارة يسـتضيء بهـا النـاس، ويسترشـدون بهداهـا، حتـى مبعـث المجـدد الجديـد عـلى الأقـل، وهـذا يقتـضي أن يعـم علـم المجـدد ونفعـه أهـل عـصره، وان تـترك جهـوده الإصلاحيـة أثـرا بينـا في فكـر النـاس وسـلوكهم، وغالبـا مـا يتحقـق ذلـك عـبر مـن يربيهـم مـن تلامـذة، وأصحـاب أوفيـاء، يقومـون بمواصلة مسـيرته الإصلاحيـة، وينـشرون كتبـه وأفـكاره، ويؤسسـون مـدارس فكريـة تترسـم خطـاه في الإصـلاح والتجديـد، وقـد أشـار السـيوطي إلى هـذا الـشرط حـين قـال:

---

١ فوزي محمد العبيد. المنهج الصوفي والحياة العصرية.

٢ عدنان محمد امامة. التجديد في الفكر الاسلامي. دار ابن الجوزي، بيروت، ٢٠٠١، ص-٤٨.

وان يكون جامعا لكل فن   وان يعم علمه أهل الزمن[1]

وقد ورد أن لا بد للمجدِّد أن يكون أعلم الخلق بالمملكة الإنسانية والذات والنفس البشرية وهذا لكمال درجته وعلوّ رفعته وجمعه مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كأنه هو فيما أراد، يرى بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ويرى النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم به، يرى بعين الله سبحانه وتعالى ما لا يُرى فكما يبعثه الله للتجديد ليبعث روح المحبة والهيبة وروح المعاني لهذا الدين فلا بد لكل مجدِّد أن يأتي بشيء جديد لم يأتِ من قبله من العلوم والمعاني والمفهوم الصحيح، فيجب أن يكون هذا المجدِّد قَطَع كل مراتب الكمال والولاية وعنده من علوم النبوة والولاية ما لا يكن عند غيره من الناس ولذلك يكون هو المرجع للكل وعنده حل المشكلات التي ما وُجِد لها حل فيكون خزينة علوم زمانه ومحيط المعرفة النورانية المحمدية الربانية الإلهية، فكل من يقوم بنهضة دينية هو من المجددين الذين يأتون قبل المجدِّد الذي وَعَد به النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ..

وهل يمكن أن يكون هناك مجددين قبل المجدد الأكبر الذي وعد به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على رأس كل مئة سنة يبعث الله مَن يجدد لهذه الأمة دينها، فكل فرد من أمة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم مجدد على قدره وبحاله وبما هو عليه، فعلى كل فرد من هذه الأمة أن يجدد كل يوم فيه لله عز وجل من نفسه وعقله وقلبه وروحه، فصاحب التجديد هو صاحب الإرادة والعزيمة، وصاحب التجديد يأمن من النقصان ويكون في الزيادة على الدوام، وما فُقِد التجديد في المجتمع إلا بعد أن فُقِد التجديد من الفرد نفسه، فسنة الله عز وجل إما أن يبعث مجدداً يجدد سواء نبياً أو رسولاً أو عارفاً ربانياً، أو يجدد الخلق والأقوام (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ)إبراهيم/ ١٩.

وإن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل هذه السنّة في هذه الأمة كرامة لنبيها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأن يبعث على رأس كل مئة

[1] المصدر نفسه ص- ٤٧.

عام من يجدد لها دينها، فلمحبته بهذه الأمة أمة حبيبه كان ذلك، ولو نظرت إلى الأمم السابقة ما كانت بهم هذه السنّة دون الأنبياء. وكل تجديد يأتي موافقاً للعصر الذي يأتي المجدد فيه، فالمجدد ينتقل كالنبي بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ولذلك لا بد على كل مئة عام ببعث من يجدد للأمة هذه الأمور التي فقدتها من قلبها وقالبها من أحوال ومعانٍ عليها يقوم الدين كله، يجب أن تُرَد إلى القواعد الصحيحة التي منها يتم الانطلاق نحو الكمال في كل شيء وبها يعود الدين كما هو على زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ومن أهم ما يقوم به المجدد وكل مجدد بشكل عام هو أن يجعل حال الأمة في زمنها كما كانت عليه على زمان النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بأن يُظهر المتميزين بهذه الأمة ويدعو لذلك ويصنع الرجال بالحال والمقال ويحيي الكتاب بمعانيه ومفهومه وإشاراته ويحيي سنّة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم التي ماتت بالقلوب ويَرُدّ الكل إلى دائرة وحضرة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم التي تقوم بالله عز وجل، فالمجدد يأتي ليُظهر رجالا بالله عز وجل وبالنبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبالقرآن، فما من دعوة تجديد إلا ويكون هدفها أن تعيد الأمة إلى ما كانت عليه من كمال بكل شيء فكل مجدد يهيئ عصره ببصيرته وبصره بالله سبحانه وتعالى..

وكل ذرة بالكون تمر بطور التجديد في كل وقت، وحركة التجديد ليس لها انتهاء فالتجديد أمر يسير بالخلق نحو الكمال في الخلق والتخليق وبالإبداع والتحقيق فلولا أن كل خلية بجسم الإنسان تتجدد لما عُدّ الإنسان حيا، فالميت فقط هو الذي تتوقف خلاياه وبنيته عن التجديد، فالتجديد حال لا بد منه في كل شيء. فالأكوان كلها وكل ما فيها في تجديد مستمر فليس الأمس كاليوم وليس اليوم كالغد وهكذا فالرسل والأنبياء والأولياء والصديقين والصالحين كل هؤلاء مجددين ومن لم تكن فيه همة التجديد فهو البعيد عن الله سبحانه وتعالى وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعن كتاب الله عز وجل وسنّة حبيبه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فهَمُّ

هـذه الأمـة يجـب أن يكـون عـلى عاتـق كل مسـلم، فـأي مسـلم لا يكـون في قلبـه همّ النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم عـلى أمتـه فهـو بعيـد عـن النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم، فهَـمّ النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم كان أمتـه، فيجـب أن يكـون هـمّ كل مسـلم أمـة النبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم كرامـة لله عـز وجـل وللنبـي صـلى الله عليـه وعـلى آلـه وصحبـه وسـلم[1]. ولعـل أروع تعبـير يفصـح عـن عمليـة التجديـد هـو مـا قالـه الشـهيد المرتـضى المطهـري:» أن الديـن يصـاب بأعـراض كأي حقيقـة مـن الحقائـق، وهـو كالمـاء الـذي ينبـع مـن العـين الصافيـة، بيـد انـه يتلـون بمجـرد جريانـه في الأنهـار، بحيـث يجـب تطهـيره وتعقيمـه مـن الملوثـات«[2]. بـل أن جيـل الإصـلاح والتغيـير في كلِّ عـصر منـذ القـرن الخامـس الهجـري وحتـى أيامنـا هـذى في نهايـات القـرن العشريـن كان نتاجـاً لمنهجيـة الطريقـة الصوفيـة في التغيـير الاجتماعـي، والتـي تتفـق كل الطـرق الصوفيـة عـلى تنـوع مشـاربها بأنـه تغيـير يبـدأ مـن داخـل النفـس الإنسـانية، ضرورة. وليـس مـن العسـير أن نسـوق مـن الأدلـة والبراهـين مـا يقـف حجـةً لثبـات هـذه الفرضيـة إلاّ أن السـياق هنـا لا يسـمح. وربـما كان القـول ذا سـعة في هـذا الموضـوع في رسـالة (طريقـة المجتمـع) مـن هـذه السلسـلة وقصـدي مـن الإشـارة إلى هـذا الأمـر في سـياق الدوافـع لكتابـة هـذه السلسـة أن ألفـت النظـر إلى:-

إن واحـداً مـن أهـم المثـارات للكتابـة في الطريقـة الصوفيـة هـو إثبـات أنهـا طريقـة متحركـة وليسـت سـاكنة، إيجابيـة وليسـت سـلبية، أنهـا تسـتصحب منهجا تربويـاً راشـداً مـن خصائصـه أن يوظـف الطاقـات البشريـة توظيفـاً مثاليـاً. تتحقـق مـن خلالـه الأهـداف والغايـات التـي جعلتهـا الطـرق الصوفيـة مقاصـد لهـا في النفـس والمجتمـع.

يـري الدكتـور والمـؤرخ السـوداني حسـن مكـي (١٩٥٠) أن كل مـن يريـد أن يكـون مجـددا بدايـة لابـد لـه أن يكـون لـه مـشروع. الأمـر الثـاني لابـد أن تكـون نيتـه خالصـة لله سـبحانه وتعـالى. إلا يقتـصر عـلى الكسـب الحـلال ويعيـش لنفسـه

---

١ https://www.facebook.com/islamwattan٢/posts/٤٨٤٠٧٦٠٤١٦٦١٨٢٧

٢ ماجد الغرباوي. إشكاليات التجديد. دار الهادي ٢٠٠١، ص- ٧

إنـما يجـب أن يعيـش لـه١١ المـشروع وان يعيـش للأمـة. إن وقـع المـشروع أن تتقبلـه الأمـة أو أن يتقبلـه قـدر مقـدر مـن الأمـة وعليـه فـإذا مـا تقبلـت هـذه الأمـة عمـل صاحـب هـذا المـشروع ونـال حظـا مقـدرا مـن القبـول فقـد وقـع التجديـد سـواءا كان عسـكريا كـما كان عنـد صـلاح الديـن الأيـوبي أو كان أحيـاءا لعلـوم الديـن كـما فعـل الإمـام الغـزالي في إحيـاء علـوم الديـن أو كان حفظـا لـتراث الأمـة والحديـث كـما فعـل الأئمـة المعروفـين١

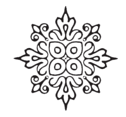
ومـن شروط المجـدد كـما جـاءت عنـد أهـل الاختصـاص: أن يكـون المجـدد أيضـاً جامعـاً مـن كل علـم بقـدر ، أي عالمـاً بعلـوم الشريعـة المختلفـة ، كعلـم الحديـث وأصولـه ، والفقـه وأصولـه ، والتفسـير وعلـم الناسـخ والمنسـوخ ، وعلوم الآلـة مـن اللغـة العربيـة ومعانيهـا ، يقـول العلامـة السـيوطي: « وأن يكـون جامعـاً لـكل فـنٍ»٢. وختامـا ومـن شروط التجديـد كـما ورد في رؤيـة الشـيخ المختـار الكبـير و كـما يؤكـد عزيـز بطـران هـو مهمـة صعبـة لا تحـدث إلا مـرة عـلى رأس كل قـرن... المجـدد لا يجـب أن يدعـي القيـام بهـذا الـدور أو يصـف نفسـه بالمجـدد، فعلـماء عـصره هـم مـن سـيطلقون عليـه هـذا اللقـب تلقائيـا، إذا كانـت تتوفـر فيـه شروطـه، فاختيـار المجـدد إذا يكـون بإجمـاع مـن أئمـة وعلـماء عـصره٣.

١ https://www.youtube.com/watch?v=8RV9t-ewgOA&t=9s

حسن مكي: كلمة ’’الإصلاح‘‘ و‘‘التجديد‘‘

٢ عَبدُ الْعَزِيزِ مُختَار إِبرَاهِيم العَصْرَانِيُوْنَ وَ مَفْهُوْمِ تَجْدِيْدِ الدِّيْنِكُلِّيةُ التَّربيةِ والآدَابِ/قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الإسلامية جَامِعةِ تبُوك الطبعة الثانية وآخر تعديل في ١٤٣٣/١/٢٢

٣ http://mourassiloun.com/www/node/١٤٩٦٤



الباب الثالث

مدرسة الشيخ أحمد الطيب وأثرها في السودان

في أواخر السلطنة الزرقاء في ذلك الوقت ، دخلت السودان طريقتان ، كانتا في قمة شهرتهما ، هما الطريقة السمّانية علي يد الشيخ الطيب ود البشير والطريقة الختمية علي يد السيد محمد عثمان الختم١ . لقد كانت السمّانية مظهراً من مظاهر الإصلاح الديني الذي أجتاح الولايات الجنوبية من الدولة العثمانية. ولقد اشتهر البيت السمّاني بالعلم والتقوى والأدب٢. اعتمدت السمّانية عند دخولها السودان على تقديم المثال وطرح الأنموذج كأسلوب من أساليب الدعوة والتبشير، فقدم مشائخ السمّانية أنفسهم باعتبارهم علماء دين ورجال تصوف، وأصحاب منهاج في التربية والإصلاح الاجتماعي والتغيير على أسس إسلامية، وكان الشيخ أحمد الطيب يتمتع بكل المزايا التي تجعله مؤهلاً للقيام بجميع هذه الأدوار الرائدة وذلك بجانب صغر سنه وفتوته وشبابه الذي صاحب اضطلاعه بمهمة الإرشاد الروحي وتزعم دعوة إصلاحية، وهذا عنصر مهم وكبير، وإذا وضعنا في تصورنا أنه ربما كان أحمد الطيب البشير ليس هو أول من أخذ طريقة صوفية غير سودانية وجلبها إلى البلاد من أفراد أسرته، وهذا يعطي انطباعاً عن دوافع أحمد الطيب لإنشاء

---

١ مهدي حامد أحمد محمد. المراكز الدينية في السلطنة الزرقاء ودورها في نشر الإسلام مجلة بخت الرضا العلمية العدد الرابع عشر ٢٠١٥م

٢ طارق أحمد عثمان. تاريخ الختمية. دار الجيل. ١٩٩٩-ص-١٦.

طريقتـه، ولربـما كان واحـداً مـن هـذه الدوافـع هـو التأثـر بمـن سـبقه مـن أسرتـه، والالتـزام بطريقـة غـير معروفـة تقريبـاً لـدى الأوسـاط السـودانية، لم يكـن السـيد أحمـد الطيـب مجـرد داعيـة صـوفي منغمسـاً في حيـاة دينيـة، بـل جمـع بالإضافـة إلى ذلـك صلاتـه غـير المحـدودة مـع زعـماء سـلطنة سـنار الذيـن أكرمـوه وأحسـنوا تقديـره[1].

تحقـق للسـمانية وراثـة الكثـير مـن نفـوذ القادريـة، وغـدت طريقـة الشـعب، لكونهـا جـاءت كتطويـر للقادريـة، ودفعـت بدمـاء حـارة في شرايـين القـوم، وحـاصرت ترهـل الاستمسـاك بـورد الأسـاس، وشـحذت أفـق النـاس للتعـرض للنفحـات والتطلـع إلى التجديـد، وتهيـأ بذلـك الوعـي الجمعـي انتظـاراً لمجـيء المنقـذ الـذي يمـلأ الأرض عـدلاً[2].

لقـد تقبـل السـودانيون مشـائخ السـمانية لمـا ظهـر عليهـم مـن العلـم والاهتـمام بـه، خاصـة فيـما يتعلـق بالقـرآن وعلـوم الشريعـة الأخـرى، وتعتـبر معظـم مراكـز السـمانية التـي نشـأت في السـودان ذات دور إيجـابي في تعليـم القـرآن والعلـوم الإسـلامية الأخـرى، وفي كل مركـز (تقريبـاً) توجـد خلـوة لتحفيـظ القـرآن، وقـد لاحظنـا أن أهـم المراكـز التـي اهتمـت بالعلـم الدينـي وتدريسـه وتزايـد عـدد طلابهـا قديـما وحديثـاً، مركـز الطريقـة في أم مرحـي[3]. يمكـن القـول أن الطريقـة السـمانية مثلهـا مثـل أي طريقـة صوفيـة أخـرى، تدعـو إلي التقشـف والزهـد فيـما سـوى الله كـما تـري أن الوصـول إلى الله لا يتـم إلا بواسـطة سـلوك الطريقـة وتوجيهـات الشـيخ المرشـد، ولهـا أيضـا مثـل بقيـة الطـرق الصوفيـة رواتـب وأدعيـة وأحـزاب وصلـوات خاصـة بهـا تسـاعد المريـد عـلى سـلوك الطريقـة[4].

يـرى حسـن مكـي في سـياق مقارنتـه بـين الطريقـة السـمانية والختميـة بـأن السـمانية طريقـة سـودانية إذ أن الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير هـو سـليل أسرة سـودانية معروفـة، كتـب مكـي يقـول: «ولكـن تميـزت السـمانية بأنهـا طريقـة

١ طارق أحمد عثمان.الطريقة السمانية في السودان. مطابع السودان- ٢٠٠٩-ص ١٣٣

٢ https://akhirlahza-sd.com/٥١٤٤/ عبد الله الشيخ. انبثاق. صحيفة أخر صيحة، ١٠- ديسمبر ٢٠١٨م. على الرابط

٣ المصدر نفسه ص - ١٣٥

٤ كمال بابكر عبد الرحمن. الطريقة السمانية في السودان. ١٩٧٦ ص- ٢٣١

سـودانية صميمـة، أحمـد الطيـب هـو سـليل أسرة وعائلـة معروفـة ومتدينـة، وقـد منحهـا الله منحـة ربانيـة قلـت بـين الأسر والعائـلات السـودانية، وتمثلـت هـذه المنحـة في القـدرة عـلى التعبـير اللغـوي الفصيـح وغـرض الأشـعار وكتابـة المؤلفـات والتصانيـف، علـماً بـأن هـذا كان شـأن الميرغنـي والتجـاني إلا أن السـمّانية بـرز مـن خلالهـا أعظـم شـعراء السـودان[1]». ورجـال الطريقـة السـمانية ألفـوا عـشرات المؤلفـات ، وأضحـت آثارهـم العلميـة منهجـا للتزكيـة . وطريقـا للسـلوك ومـوردا لدقائـق الحقائـق[2] .

الصوفيـة ظهـرت بحثـاً عـن البعـد الإنسـاني في الديـن ، بالنسـبة للطريقـة السـمانية نجـد فيهـا الإحسـاس بالـذات حيـث أن أى شـيخ سـماني مـن الممكـن أن يقـوم بتكويـن مركـز لنفسـه ، وهـى ليسـت طريقـة مغلقـة ، الطريقـة السـمانية مختلفـة فالشـخص يأخـذ الأوراد للترقـي الدينـي ويمكـن أن يُكـون مركـز قائـم بذاتـه حسـب فهمـه هـو للديـن ، والـذي يربطـه بالطريقـة هـي الأوراد السـمانية[3] .

يذكـر الدكتـور طـارق أحمـد عثـمان في كتابـه «الطريقـة السـمّانية في السـودان» أن السـمّانية باتـت طريقـة مفتوحـة منـذ الجيـل الثـاني مـن تاريـخ قدومهـا مـن الحجاز، يكتـب عثـمان ليقـول: «السـمّانية طريقـة سـودانية مفتوحـة منـذ الجيـل الثـاني وقـد بـرز خلفـاء اشـتهروا ونالـوا منزلـة حسـنة في المجتمـع مـن خـارج أسرة الشـيخ أحمـد الطيـب مـن هـؤلاء مثـلا: الشـيخ محمـد وقيـع الله بمنطقـة الزريبـة بغـرب السـودان والشـيخ الشريـف الخاتـم بكركـوج بالنيـل الأزرق، والشـيخ شـاطوط بـود مـدني، والشـيخ محمـد تـوم بوسـط السـودان وتلميـذه الشـيخ بريـر الجعـلي بالنيـل الأبيـض[4]. ولكـن أيضـا هـي مـن أوفـر الطـرق أدبـا ومؤلفـات ومـن شـاء فلينظـر إلى عبـد المحمـود نـور الدائـم وذريتـه، والشـيخ قريـب الله وذريتـه[5].

---

١ أنظر طارق أحمد عثمان. الطريقة السمانية في السودان. ٢٠٠٩- ص-١٠

٢ **سالم موسي.**ا لمنهج الصوفي في نشر الإسلام في إفريقيا. مقال منشور علي الرابط http:// topic-alrawdaalshareefa.ahlamontada.net/t٤٦

٣ مركز الخاتم عدلان. ندوة علاقة السياسة بالدين. ١٠-٤-٢٠١١ على الرابط http://sudaneseonline.com/ ٦=rn&١٣١٨٦٢٣٨٨٧=msg&٣٥٠=٢bb.cgi?seq=print&board/cgi-bin/sdb

٤ المصدر نفسه ص-١٠

٥ المصدر نفسه ص-١٠

الشيخ أحمد الطيب بن البشير ١٧٤٢ - ١٨٢٤م

يعتبر الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه من أجلّ العارفين المحققين الذين ذاع صيتهم في بلاد السودان خاصة والبلاد الإسلامية عامة .وهو أول من ادخل الطريقة السمّانية إلى السودان[١]

اسمه

هو الشيخ أحمد الطيب ابن مولانا البشير وكان من الأولياء الصديقين، وهو ابن مالك وكان من عباد الله الصالحين، وهو ابن الولي المشهور، العارف بالله تعالى سيدي الشيخ محمد وكان ﷺ من خواص العارف بالله تعالى سيدي الشيخ حسن ولد حسونة ﷺ وممن ورث حاله وهو صاحب الجامع الباقي إلى يومنا هذا (بأم مرح) وهو ابن سرور وكان من تلامذة سيدي الشيخ حسن ولد حسونة ﷺ أيضاً وهو ابن الحاج غناوة بن سرور بن حمد بن إدريس بن رباط بن ضياب بن منصور بن جموع بن غانم بن حميدان بن صبح بن مسمار بن سرار بن كروم بن أبي الديس بن قضاعة بن حرقان واسمه عبد الله بن مسروق بن أحمد اليماني ابن إبراهيم الجعلي ابن إدريس بن قيس بن يمن الخزرجي نسبة إلى أمه من الخزرج ابن عدنان بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ياطل بن ذي الكلاع الحميري نسبة إلى أمه من حمير ابن سعد الأنصاري ابن الفضل بن العباس عم سيد الناس ﷺ[٢].

ألقابه وكناه

شُهر الشيخ أحمد الطيب خلال فترة حياته بعدة ألقاب ذات مدلولات رمزية كان منها: جبل الإكسير - السلطان - الغوث - راجل أم مرح.

---

١ http://www.mohameddawood.com/Article/view.aspx?ID=٩٨٧&Section=%D٩%D٨%B٩%٢٠%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٤%D٩%٨٧

٢ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض. ص- 13

أسرته

ينتمي الشيخ أحمد الطيب إلى أسرة الشيخ محمد سرور هو من خواص تلاميذ الشيخ حسن ود حسونة. لقد وصف عبد المجيد عابدين هذه الأسرة بأنها أسرة دينية عريقة أسهمت بنصيب موفور في بث القيم الروحية ونشر الثقافة الإسلامية في السودان، وخلَفت على مرَ الأجيال أثارا علمية وأدبية معروفة. ونبع فيها عدد من العلماء والشعراء صانوا مجد الأجداد وتلقَوا خلفاً عن سلفاً راية العلم في جد وإخلاص[1]. هذه الأسرة الطيبية وصفت بـأنً لها الوراثة الروحية والزمنية كما أبان ذلك الأستاذ محمد شريف نور الدائم (١٨٤١-١٩٠٧) في إحدى قصائده الشهيرة حينما قال:

ولى عشرُ أجدادٍ على العلم والتقى

ومن فوقهم كانوا على الملك والقهرِ

مولده

ولد رضي الله عنه في (أم مرحي) عند السفح الغربي لجبل (السلطان) الذي يطل على نهر النيل من ضفته الغربية على نحو خمسين كيلو متراً شمال أم درمان وذلك في العام ١١٥٥ من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف. والحق متجل في ذلك العام باسمه (قادر) وفي ذلك إشارة لا يطلع عليها إلا الأكابر. نشأ في حجر عناية والده.

أوصافه

أما أوصافه فقد جاء ذكرها حفيده الشيخ عبد المحمود نورالدائم حينما قال: فقد كان ﷺ، جميل الصورة، طويل القامة، أصفر اللون، أبلج الوجنتين، باين العَنَقِ، ضخم العظام، مفلج الأسنان، واسع الصدر، أقنى

١ حسان بشير حسان. رثاء الأب بين العباسي وأبنيه. ورقة منشورة في مجلة جامعة بحري السنة الثانية- العدد الرابع- ديسمبر ٢٠١٣. ص- ١٢.

الأنـف، مـدوَّر الوجـه، كأنـه قنديـل مـن نـور، كحيـل الطـرف، لحيتـه مـا بـين الخفـة والكثافـة، وكان ﵁ يخضبهـا بالحنـاء، طويـل الزنديـن والقدمـين والأصابـع، عـلى هامتـه أثـر أصابـع رسـول الله ﷺ يراهـا كل مـن رآه[1].

أخلاقه وآدابه

عـن أخلاقـه ﵁ فهـي كـما ذكرنـا عـن الشـيخ محمـد المجـذوب ولـد قمـر الديـن ﵁ في فصـل الثنـاء أنها كأخلاق رسـول الله ﷺ.

كان معروفـا عـن الشـيخ أحمـد الطيـب أنـه لا يمـدح الطائـع في طاعتـه حتـى لا يغـتر، ولا يـذم العـاصي عـلى عصيانـه حتـى يفـر، كان مسـامحا حتـى مـع أعدائـه، فلـم يؤثـر عنـه أنـه كان يدعـو عـلى خصومـه، كان يبـاشر خدمـة أهلـه، وإذا بنـى بيتـا لإحـدى زوجاتـه فإنـه يبـاشر العمـل مـع البنائـين ولا يسـتنكف، ومـن أقوالـه: (مـن لم يكـن لـه بطـش بيـده لم يكـن لـه حـظ في الرجولـة.)[2]

مـن آدابـه رضي الله عنـه أنـه مـا رؤي يومـا مـادا رجليـه بـين النـاس، وكان جلوسـه عـلى نوعـين إمـا أن يضـع فخـذه عـلى رجلـه الأخـرى أو يتربـع في جلسـته، ولا يزيـد عليهـا طـال المجلـس أو قـصر، كان محبـا للفقـراء والمسـاكين بـاذلا لهـم ماعنـده.[3]

كان أحمـد الطيـب زاهـدا ومـن أمـارات زهـده أنـه أنفـق كل مـا كتبـه لـه حـكام الفونـج مـن الضيـاع والأراضي الزراعيـة. وقـد ذكـر حفيـده «راجـل طابـت» الشـيخ عبدالمحمـود بـن سـيدي نورالدائـم إبـن الشـيخ أحمـد الطيـب في كتابـه أزاهـير الريـاض: (وكتـب لـه وثيقـة بمضمـون ذلـك عليهـا أختامهـم وأختـام كـبراء رجـال الدولـة فأخـذ منهـم تلـك الكتابـة جـبرا لخواطرهـم ثـم انفـرد بهـا ومزقهـا وقـال إن الأرض يرثهـا مـن يشـاء مـن عبـاده والعاقبـة للمتقين..وقـد

١ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض. ص- ٢٠٩

٢ اسعد العباسي. سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره{https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط استشارة ٥-٤-٢٠١٩م

٣ اسعد العباسي. سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره{https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط استشارة ٥-٤-٢٠١٩م

إجتهـد أولاده مـن بعـده في البحـث عـن تلـك الوثيقـة فلـم يعثـروا بهـا وكأنـه لم يبلغهـم تمزيقهـا وتفرقـت الأطيـان بالنـاس ولم يكـن لهـم شيء..أمـا أمرحـي الصعيديـة فلـم يـأذن أحـدا مـن أولاده أو أقاربـه بالرجـوع إليهـا خوفـا أن يملكـوا أطيانهـا التـي وهبتهـا لـه الملـوك). وجديـر هنـا أن نقـف عـلى بـادرة الوفـاء التـي وضعهـا حفيـد الشـيخ أحمـد الطيـب الشـاعر «محمـد سـعيد العبـاسي بـن محمـد شريـف بـن نـور الدائـم بـن أحمـد الطيـب بـن البشـير» في قصيدتـه «سـنار بـين القديـم والحديـث» حيـث ذكـر أن لملـوك سـنار ديـون عـلى رقابهـم فقـد أقطعـوا جـده الشـيخ أحمـد الطيـب أراض كثـيرة وكانـت لـه عندهـم منزلـة لا تدانـى[1]

حول ماساقه بعض العامة عن مولد جده الشيخ محمد سرور

سرور بـن الحـاج غنـاوة وهـو جـد جـده وقـد كان لـسرور ولايـة زمنيـة مـن قبـل دولـة الفونـج الإسـلامية في سـنار وكان قيـما عـلى أمرحـي ومـا جاورهـا وقـد توارثـت هـذه الأسرة هـذه الولايـة في أعقابهـا القريبـة، وتبـدأ قصـة ميـلاد هـذه الأسرة بـزواج سرور بـن غنـاوة الجموعـي مـن فتـاة كريمـة هـي عائشـة بنـت مالك وينتهـي نسـبها إلى الأمـير شـايق بـن الملـك منصـور بـن جمـوع الأكـبر غـير أن الله لم يرزقهـما بالولـد حتـى وقـت زيارتـه للشريـف حسـن ولـد حسـونة ولـد موسـى الأندلـسي المغـربي وهـو رجـل أشـتهر بالصـلاح الـذي دعـا لـه بالبركـة والذريـة الصالحـة بعـد أن أكـرم وفادتـه وأنزلـه منـزل الكـرام وبعـد العـودة وفي أول طهـر مـس زوجتـه كتـب الله لهـما ولـدا فبـشر بـه شـيخه ود حسـونة والـذي أشـار إليـه أن يسـميه محمـدا ومـن عجائـب القـدر أن شـيخه حسـن ود حسـونة نفسـه لم يعقـب ولـدا ولله في خلقـه شـؤون.[2]

دارت أسـاطير حـول ولادة محمـد بـن سرور وقـد نفى ذلـك الشـيخ عبدالمحمود حفيـد سـيدي القطـب أحمـد الطيـب الـذي قـال إنهـا مـن خزعبـلات العامـة

---

١ اسعد العباسي. {سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره}/https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط استشارة ٥-٤-٢٠١٩م

٢ اسعد العباسي. {سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره} /https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط است اسعد العباسي. {سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره} -https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط استشارة ٥-٤-٢٠١٩م شارة ٥-٤-٢٠١٩م

وأباطيلهم التي لا يطابقها نقل ولا يعضدها عقل. على أن وجدان أسرة محمد ولد سرور ظل وفيا لدعوة حسن ولد حسونة المباركة الذي جعل محمد في مقام إبنه وقد ترجم صاحب الطبقات عن محمد ولد سرور قائلا: تبناه الشيخ حسن ود حسونة وقرأ القرآن في مسجده وأرشده وخط له مسجده بأمرحي بيده وكان صائم النهار قائم الليل وكانت عنده دنيا عريضة وأولاد ذكور وإناث طيبون صالحين وعمر طويلا. ويقول صاحب الطبقات أن جميع أبناء الشيخ محمد ولد سرور قد توفوا قبل والدهم عدا مالك الذي ورثه ومات عن عشرين ومائة عام.[١]

التكوين الفكري للشيخ أحمد الطيب

ابتدأ قراءة القرآن بمسجد جده الشيخ محمد ولد سرور في (أمرحي)، وبعده أنتقل إلى مسجد الفقيه ولد أنس العوضابي بالجزيرة (إسلانج) أقام أياماً قلائل ثم ارتحل إلى مسجد الفقيه أحمدالفزاري الفرضي (بأم طلحة) فانتهى بحفظ القرآن عليه في أيسر مدة برواية أبي خفص عمر الدوري وهو في الثالثة عشر من عمره. وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم رجع إلى أم مرحي حيث مسجد جده الشيخ محمد بن سرور، وعند وصوله انتقل إلى ملازمة دروس علماء زمانه فقرأ عليهم: العشماوية والعزية ثم نظم بن عاشر وبعض شروحه وبعض شروح العزية وحواشيها مثل حاشية الصفتي، ثم رسالة أبي يزيد القيراواني وبعض شروحها مثل شرح أبي الحسن ثم أقرب المسالك وشرحه وكلاهما للإمام الدردير، إلى أن حصل وتنبل، واشتهر بمعرفة العلم من بين أقرانه، ثم تعلق خاطره بقراءة مختصر أبي الضياء الشيخ خليل بن إسحاق المالكي رحمه الله تعالى، فرآه مكتوباً على قلبه بمداد من نور أبيض وعليه بهرام الكبير. فاستغنى بذلك عن قراءته على الأشياخ.. ثم كتم سره عن الظهور، واختار الخلوة في الآصال والبكور، ولازم العالم العلامة الفقيه سعيد ولد بدري، وغيره[٢]. كان سيدي الشيخ أحمد الطيب يقوم الليل ذكراً خاشعاً، أحياناً بتلاوة القرآن وتدبر معانيه وأحياناً بالصلاة على رسول الله

١ الطاهر محمد علي. الأدب الصوفي في السودان، رسالة ماجستير جامعة أم درمان الإسلامية، ص١٣٦

٢ http://www.tabatalmahmoud.com/vb/archive/index.php/t-٦٦.html

صلى الله عليه وسلم وكان ورده فيها اثني عشر الفاً في كل ليله.

الرحلة إلى الحج

لما تجاوز عمر سيدي الشيخ أحمد الطيب السادس عشر بسنةٍ أو سنتين اتجه لقضاء مناسك الحج. ولما قضى حجه اتصل بعلماء الحقيقة والشريعة كالشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد السلام الريس الزمزمي، وسمع الحديث من الشيخ محمد بن عقيلة وغيرهم.

في المدينة المنورة

بعد وصوله المدينة المنورة التقى الشيخ بدرةِ عقد جيد الزمان سيدي محمد بن عبد الكريم السمّان شيخ الطريقة السمّانية وقد أنزله معه بداره المعروفة بالزاوية السمّانية، وكانا كثيراً ما يتصاحبان في طريقهما للروضة الشريفة لزيارة سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وكانا بعد عودتهما يواصلان عبادتهما فتوثقت عُرى المحبةِ بينهما، وأدرك كل منهما مقدار اهتمام الآخر بالعبادة، ومن ثم تتلمذ الشيخ أحمد الطيب على السمّان وسلك على يديه الطريقة السمّانية وتلقى منه العهد، وانتظم لمدة سبع سنوات معه يطلب العلم منه ويتلقى الإرشاد والتوجيه في داره التي كان يقيم فيها معه والتي كانت هي أصلا داراً لسيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه وكان يصحبه كل عام لأداء الحج خلال تلك السنوات التي كان يقيم فيها معه.

لبس الخرقة

ثم إن القطب سيدي الشيخ محمد السمّان قدس الله سره أمره من بعد التلقين بخدمته وملازمة حضرته بحيث لا يفوته مجلس من مجالسه ولا درس من دروسه في التفاسير والأحاديث والتصوف وغير ذلك فلازمه رضي الله عنه سبع سنين كأنها من لذتها طرفة عين بحسن نية وصفاء سريرة ونور بصيرة مع إتباع الشرع والزهد في الدنيا والإقبال على حضرة المولى والمحافظة على الآداب والأوراد والأذكار ومراقبة الحق تعالى ومشاهدته في أوقات الليل والنهار وغير ذلك مما أشار به إليه أستاذه فأفاض عليه رضي الله تعالى عنه

في تلـك السـنين بـما لا تسعه الدفاتـر ولا تحيـط بـه الخواطـر، وقـد فـك لـه معـاني طلاسـم أسرار الأفعـال والأسـماء والصفـات والـذات ومـنَّ عليـه بتعليـم الاسـم الكبـير الأعظـم الـذي قامـت بـه الأرضـون والسـموات وأسـقاه مـن مدامـه وجمـع لـه الكـمالات المعنويـة والحسية في مقامـه ولمـا أوصلـه إلى هنـا وبسلسـاله هنا ألبسـه الخرقـة القادريـة وأطلعـه مـن طريـق الكشـف عـلى مـا انطـوت عليـه مـن الأسرار والعلـوم والأنـوار فلـما تـم لـه السـلوك في هـذه الطريقـة نقلـه إلى النقشـبندية ثـم إلى الخلوتيـة ثـم إلى الأنفاسـية ثـم إلى الموافقـة الاسـمائية ثـم طريقـه الأسـماء مـن الاسـم الله إلى الصبـور فجمـع لـه فيهـا معرفـة الحـق تعـالى والعـالم إلى نفـخ الصـور ثـم مـن بعـد هـذا فتـح لـه الترقـى في الكـمالات الإلهيـة التـي يكـون السـير فيهـا بـالأرواح لا بالأشـباح وهـذا السـير هـو غايـة الغايـات ونهايـة النهايـات ويكـون صاحبـه مهيـأ لترغيـب الغيـب وقـرب القـرب جامعـاً لأسرار النبيـين والمرسـلين.

كان عـلى الشـيخ أحمـد الطيـب أن يجـد لـه شـيخاً مرشـداً، فوقـع اختيـاره عـلى الشـيخ عبـد الباقـي ابـن عـلي الكاهـلي الشـهير (بالنيـل)، وهـو تلميـذ الشـيخ عبـد الله ولـد العجـوز، غـير أن تلقينـه عـلى يـد الشـيخ النيـل لم يتـم، إذ توقـف الشـيخ عـن تلقينـه، ويقـال أن ذلـك قـد حـدث بإشـارة باطنيـة مـن الشـيخ حسـن ولـد حسـونة، بعـد أن تمـت الرابطـة بينـه وبـين الشـيخ أحمـد الطيـب، وذلـك عنـد رده عـلى سـؤال الشـيخ النيـل إن كانـت هنـاك علاقـة مـا تربطـه بالشـيخ حسـن بقولـه انـه جـدي[1]. وفيـما اعتقـد أن الشـيخ أحمـد الطيـب قصـد الرابطـة المعنويـة، إذ أن جـده الشـيخ محمـد ولـد سرور كان مـن خـواص الشـيخ حسـن ولـد حسـونة ولم تكـن هنـاك أي رابطـة رحميـة تربـط بـين الاثنـين، وممـا يذكـره الشـيخ عبـد المحمـود نـور الدائـم أنـه ومنـذ تلـك اللحظـة عـرف كل مـن الشـيخ النيـل والشـيخ أحمـد الطيـب أنـه لا شـيخ للأخـير في السـودان، ألا الشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـمّاني بالمدينـة المنـورة. وفي اعتقـادي أن الشـيخ أحمـد الطيـب لم يكـن يرغـب أساسـاً في سـلوك الطريقـة القادريـة البهاريـة التـي كانـت سـائدة في السـودان، وذلـك لبعـد سـندها وتشـعبها وكثـرة خلفائهـا واضمحلالهـا وتدهورهـا. ولقـد كان عـلى الشـيخ أحمـد الطيـب، إن كان يريـد الشـهرة والسـيطرة عـلى الزعامـة الصوفيـة في السـودان أن يبحـث لـه عـن طريقـة صوفيـة جديـدة، وفكـر صـوفي يكـون حديـث في المجتمـع السـوداني. فـكان لابـد لـه مـن التطلـع في أرجـاء العـالم الإسـلامي

١ المرجع السابق: ٦١

خارج حدود مجتمعه الضيق وما كان الشيخ أحمد الطيب ليجد طريقة أخرى في ذلك الوقت غير الطريقة السمانية. التي كانت من أواخر الطرق الصوفية التي ظهرت في تلك الفترة، وقد كان شيخها وزعيمها ومؤسسها على قيد الحياة، إذن فهي طريقة حديثة سندها قريب وموردها غزير، كما أنها في نفس الوقت كانت تحمل الكثير من أوراد الطريقة القادرية والتي كانت سائدة في السودان آنذاك[1].

١-السند القادري

عن سند الشيخ في الطريقة القادرية كتب حفيده الشيخ عبد المحمود نور الدائم في كتابه أزاهير الرياض: «وأما سند الشيخ في هذه الطريقة القادرية فإنه أخذها ولبس خرقتها من بحر العرفان، وقطب الزمان سيدي الشيخ محمد بن عبد الكريم المدني القرشي الشهير بالسمان وعنا به في كل آن، بالمدينة المنورة عام ثلاثة وسبعين بعد المائة والألف، وهو أخذ الطريقة ولبس الخرقة من صاحب الكرامات والمورد الهني، سيدي الشيخ محمد طاهر المدني.[2]

٢- السند الخلوتي

وأما سند الشيخ في هذه الطريقة الميمونة والذخيرة المخزونة فإنه أخذها من قطب دائرة الأكوان المربي بنظرات سيد ولد عدنان سيدي الشيخ محمد بن عبد الكريم المدني القرشي الشهير بالسمان، وهو قد أخذها على من لا زال نهر فيضه على القلوب يجري، شيخ مصر والحجاز والشام السيد مصطفى بن كمال الدين البكري[3]

كانت الطريقة السمانية التي عاد بها الشيخ أحمد الطيب إلي السودان، ذات جذور قادرية، أكثر من أن تكون خلوتية، وفي اعتقادي إن السبب وراء ذلك يرجع إلي الشيخ أحمد الطيب نفسه الذي تشبع بالفكر القادري، بحكم معايشته له في السودان، قبل اتصاله بشيخه محمد عبد الكريم السمان بالمدينة.

---

١ كمال بابكر عبد الرحمن. الطريقة السمانية في السودان. رسالة ماجستير غير منشورة —كلية التربية– قسمالتاريخ– جامعة الخرطوم. ١٩٧٦ ص– ٣٧

٢ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض ص– ٦٩

٣ المصدر نفسه ص – ٨٤

كما أن الشيخ أحمد الطيب عندما فكر في العودة إلي بلاده طلب من شيخه السمان أن يجيزه في الطريقة السمانية بالسند القادري، وذلك لعلم الشيخ أحمد الطيب مدى تقبل المواطنين في السودان وإقبالهم على الفكر القادري، مما يساعد على نشر الطريقة السمانية فيه[1]. يورد الدكتور قيصر موسى الزين في كتابه «الفكر الديني في السودان في القرن العشرين» أن السمانية تعتبر فرعاً متطوراً عن القادرية وتتميز باهتمامها بالجانب الفكري والصوفي الصفوي في عبارته كتب يقول: «ويمكن اعتبار الطريقة السمانية فرعا متطورا عن القادرية ومستقلا عنها في الوقت عينه. ويمكن القول بأن القادرية تتميز بالشعبية والانفتاح على الثقافات الإفريقية - خاصة فيما يتعلق بالذكر الحركي- بينما تتميز السمانية بالاهتمام بجانب الفكر الصوفي الصفوي، وبالكتابة والتحرير في هذا المجال»[2].

التبشير بالقطبانية

ثم إن الأستاذ رضي الله عنه لما تحقق بما ذكر اعتقده الكثير من أهل مدينة الرسول وظهرت على يديه كرامات وشربت محبته العقول وعظم شأنه من بين الرجال الفحول وصار شيخه ينوه بكماله وعلاه ووصاله إلى حضرة مولاه الرجال الفحول وتحققه بمقام الإرشاد وإمداد العباد ومما أتفق له رضي الله عنه مع شيخه من العجايب هو أن الشيخ محمد السمان قدس الله سره قد كان ذات يوم جالساً وتلامذته حوله فمر بهم الخضر عليه السلام فهرعوا إليه جميعاً للتبرك به والنظر إليه إلا الشيخ رضي الله عنه قال له أستاذه كيف تتخلف عن اللحوق بالخضر عليه السلام دون إخوانك فقال له لا أعلم لي غيرك خضرا فأعجب الشيخ قوة يقينه به وحسن أدبه معه وإرشاده فأفاض عليه في الحال بما تقصر عنه الآمال وبشره بالقطبانية الكبرى عند تمام السبعين سنة من عمره بقوله على رأس السبعين من عمرك ستصير قدمك على رقبة كل ولي لله تعالى ولقد صدق رضي الله عنه فإنه عند السبعين قد دخل القطبانية

١ كمال بابكر عبد الرحمن. الطريقة السمانية في السودان. جامعة الخرطوم- كلية التربية- قسم التاريخ- ١٩٧٦- ص- ٢٣٢

٢ قيصر موسى الزين. الفكر الديني في السودان في القرن العشرين. مركز التنوير المعرفي- سلسلة حوارات التنوير. ٢٠١٠. ص- ٢٨

الكبرى وهي الغوثيه وصار له التصريف[1].

الرجوع إلي السودان

وبالقدر نفسه ساهم العلماء والدعاة السودانيون في نشر الإسلام لاسيما أولئك الذين أتيحت لهم فرصة تلقي العلم والمعارف الدينية في الأزهر والحجاز والقيروان وتمبكتو وجامعة القرويين وبلاد الشام وغيرها من مناطق الإشعاع العلمي فيما كان يعرف « ديار الإسلام». ومن ابرز أمثلة هؤلاء إبراهيم وعبد الرحمن وإسماعيل وعبد الرحيم أبناء جابر الذين كانوا أول من حصل على الشهادة العالمية من «الأزهر» (ضيف الله، ١٩٧٤)، وأحمد الطيب بن البشير الذي طلب العلم في المدينة المنورة سبع سنوات ثم عاد إلى السودان وظل يعمل في حقل الدعوة لأكثر من ستين عاما (نور الدائم، ١٩٧٣،ص١٠)، ومحمد المجذوب بن جلال الدين الذي تلقى العلم في مكة المكرمة والمدينة المنورة (Al-Karsani ١٩٨٥ p-١٥) وغيرهم[2].

وبعد أن تكاملت ملكات أحمد الطيب في الإرشاد، بعثه شيخه السمان إلى السودان ليحمل لواء الدعوة هناك، ورجع أحمد الطيب من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى جدة ثم سواكن، ثم نزل عند صفيَّة حمد بن المجذوب الشاذلي، وكان ذلك عام (١١٨١ه)، ويبدو أن المدة الطويلة التي أمضاها أحمد الطيب في الحجاز قد جعلت أهله وأقرباءه في لهف شديد للقائه، واتجه مباشرة نحو مسقط رأسه بأمرحي لتولي مهمة الإرشاد هناك - وقيادة أمر المسجد - الذي بناه جده محمد ولد سرور من إمامة للصلوات الخمس، وأداء للأذكار والأوراد، وإقامة المناسبات الدينية، وسطع نجم أحمد الطيب في علمي الشريعة والحقيقة[3].

لم يبدأ الشيخ أحمد الطيب بعد عودته الأولى من المدينة في الدعوة للطريقة

---

١ عبد المحمود نور الدائم. الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة. ٦٣

٢ الأصم عبد الحافظ احمد الأصم. تأثير الإسلام في البيئة وأبعاده الأمنية: السودان أنموذجا. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٢٠، العدد ٤٠.

٣ قمر الدولة زين العابدين محمد. أحمد الطيب بن البشير قدس الله سره (١١٥٥هـ- ١٢٣٩هـ- ١٧٤٢-١٨٣٢م) آراؤه الكلامية وحكمة العرفانية. رسالة دكتوارة غير منشورة - جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠٠٣م ص٦٣

السمّانية بصورة كبيرة، كما لم يسلك فيها الكثير من المريدين إنما وجه كل اهتماماته لتدريس علوم الحديث والتصوف، واستمر يعلم ويرشد ثم يسلكهم في طريقته الجديدة، ولهذا استطاع أن يضع اللبنات الأولي لأساس الطريقة السمّانية في السودان١. لم يمكث الشيخ أحمد الطيب كثيرا بالسودان بعد عودته الأولي من المدينة وإنما عاد مرة أخرى لها بقصد الحج، وكان رجوعه هذه المرة عن طريق مصر. وفي طريقه أيضا مارا بمصر أدخل الطريقة السمّانية في صعيدها، وترك العديد من الأتباع والتلاميذ فيها، ومن مصر سافر إلي المدينة المنورة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة شيخه محمد عبد الكريم السمّان، وبعد أن أكمل زيارته عاد إلي السودان عام ١١٨٣هـ- ١٧٦٩م. وفي هذه المرة استقر أيضا في أم مرحي وأخذ يعمل بكل جد واجتهاد لنشر الطريقة السمّانية في السودان. وقد عمت البلاد والتف حوله العديد من المريدين والأتباع. كما انقاد إليه الملوك والسلاطين والعلماء. ومن ثم بدأت الطريقة السمّانية تنتشر في جميع أنحاء البلاد٢. ولدوره الطليعي والتجديدي الرائد في الطريقة السمّانية والتي في أصلها قادرية فقد باتت الطريقة تُعرف بالطيبية السمّانية.

رحلاته

ساهمت الرحلات التي قام بها الشيخ أحمد الطيب البشير إلى الأراضي المقدسة عن طريق مصر أو مباشرة كما في رحلته الأولى في تشكيل وتعميق البعد الروحي لشخصيته وساعدت على تحقيق القبول له بين العامة والخاصة، وأوجدت أجواء ساهمت في تمكينه من نشر علمه وتبليغ رسالته الصوفية، وإيجاد أتباع وأنصار له. ولقد استطاع من خلال هذه الرحلات استكمال بناء شخصيته الدينية وعمقت معرفته بالإسلام وذاعت شهرته العالمية. وأوصلته إلى معرفة علمية فائقة تجلت في كتاباته العميقة عن الفكر الصوفي والتي صنعت تيارا جديدا في عالمية الفكر الصوفي السوداني، وتمدده إلى الساحة الدولية مما شكل إطارا سلوكيا يمكن الاستفادة منه وتوظيفه لخدمة قضايا الوحدة الإسلامية. وقد استمر هذا الدفع السمّاني السوداني

١ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان- جامعة الخرطوم – كلية التربية – 1996- ص-37.
٢ المصدر نفسه ص-٣٨

بواسطة خلفائه من بعده بهذا التواصل والانفتاح حيث اهتم الشيخ قريب الله بتقوية صلاته بمصر وتدعيم علاقاته بالسمانية هناك١. لم يكن شاعر السمانية المكاوي (ت.١٩٤٢) بعيداً عن توثيق زيارة الشيخ أحمد الطيب بن البشير المشهودة إلى مصر وما صحبها من فتوحات وخوارق للغيبيات إلى جانب التقاءوه بعلماء الأزهر ونشر تعاليم شيخه السمان في هذا القطر العربي الإفريقي الإسلامي، جاء توثيق الشاعر نظماً:

جا من طيبة و منارة وفي اخميم دخل باشارة
ذكر القلل بعبارة وعشرة الالف سكارى
أتوجه مصر المعلومة وجاتوا الثقاة بعلومها
الأربعين عزومه أجزا وفى لزوما
في مصر سوا بيانو واتوجه لسودانو

كما أن هذه الرحلات أيضا جعلته يخوض غمار تجربة روحية صادقة توفرت له عند زيارته لبيت الله الحرام ولمسجد النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن الأهم من كل ذلك أن رحلاته تلك أوجدت علائق قوية ووثيقة امتدت إلى ألان بين العالم الإسلامي والسودان ودخلت تحت ما نسميه اليوم بالأثر الحجازي والمصري على الإسلام في السودان. وكرست لمفهوم التواصل الحضاري والثقافي في الإطار الإسلامي بين الجزيرة العربية وسودان وادي النيل من ناحية، وبين مصر والسودان من ناحية أخرى.

ولقد استمرت الطريقة السمانية من خلال مشائخها الذين أعقبوا أحمد الطيب وكان لهم دور كبير في الحياة الفكرية والتربوية والسياسية، في تجديد قيمة التواصل.٢

١ عبد الرحمن أبوخريس. عالمية السمانية. ورقة بحثية منشورةدراسات الإسلام و العالم المعاصر – العدد رقم (٩) يناير ٢٠١٢- ص- ١٢٤

٢ طارق أحمد عثمان. الختمية والسمانية ودورهما في التداخل والتواصل في أفريقيا. جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص٤

الأوضاع السياسية

شهد سيدي أحمد الطيب النصف المر من ولاية بادي أبي شلوخ المخلوع أشد ملوك مملكة الفونج الإسلامية في سنار، بعد ذيوع صيته الذي ملأ الآفاق بانتصاره على الأحباش بشرق نهر الدندر بموضع يقال له الزاكيات فكبرت له مصر والشام والحجاز وهللت له الهند وتونس والأستانة وذلك في شهر صفر الخير ١١٤٧ هجرية الموافق ١٧٣٥ ميلادية.

بعد ما تم خلع بادي أبوشلوخ بواسطة وزيره القوي محمد أبولكيلك تولى ولمدة سبع سنوات إبنه ناصر بادى أبوشلوخ كما هو معروف تاريخيا عرش مملكة سنار ١٧٦١م - ١٧٦٨م وهي فترة ضعفت فيها الدولة وقوية شوكة الهمج. والغالب أن سيدي أحمد الطيب لم يشهد عصر الملك ناصر بن بادي أبوشلوخ لأنه كان خارج البلاد وهي الفترة التي أمضاها أحمد الطيب مجاورا بالمدينة المنورة مع القطب محمد بن عبد الكريم السمان.

فبعد عصر الملك ناصر بن بادي أبوشلوخ شهد الشيخ عصر الملك إسماعيل ١٧٦٩- ١٧٧٧م وكان عهدا طيبا في بسطه للعدل وإزالة المظالم والإحسان إلى الفقراء والمساكين وفي هذا العهد بالذات عاد سيدي أحمد الطيب من الحجاز إلى السودان. عندما خلع الملك إسماعيل بغدر وزراء الهمج ولي الملك عدلان الثاني مكانه الذي مات في العام ١٧٨٨م ليخلفه الملك أوكل الذي خلع نفسه بليل وغادر سنار دون أن يترك أثرا إلى جهة غير معلومة فما رضي أن يكون ملكا بلا ملك وعز عليه أن يكون ملكا مملوكا فاختار الحرية بلا سلطان على السلطان بلا حرية وذلك بعد حوالي ثمانية أشهر ليتسنم السلطنة الملك طمبل في ذات العام ١٧٨٨م ولم يهنأ الملك طمبل بالحكم بسبب الفتنة التي أوقدها عزل الشيخ محمد الأمين شيخ قري ومعه حليفه محمد ولد خميس (أبو ريدة). ليشغل بعده كرسي الملك في سنار الملك حسب ربه في العام ١٧٨٩م.

بعد أن تولى الملك حسب ربه عرش سنار لم تمتد حياته كثيرا إذ لقي حتفه ومن المضحكات المبكيات أن خلف الملك نوار الملك حسب ربه الذي ولاه

الوزير ناصر بعد رجوعه فلما وجد فيه قوة الشخصية وتكاملها ما لبث أن أدركته الغيرة وملأ قلبه الحنق عليه فقتله وولى مكانه بادي السادس.

في عهد بادي السادس قتل عبد الله ولد عجيب كما قتل محمد ولد نمر وحاشيته وصارت بعض الفتن كفتنة الحلفاية وغيرها، وهكذا نجد أن الظروف السياسية في عصر سيدي أحمد الطيب سواء كانت في الحجاز أو في السودان تسير على نحو من السوء إلى أسوأ بسبب الصراع على السلطة بين وزراء الهمج وملوك الفونج والقوى المتحالفة مع الفريقين.. ١

الظروف الاجتماعية

أما عن الظروف الاجتماعية التي إكتنفت عصر سيدي أحمد الطيب فقد برزت أوضح ما يكون في النزاعات القبلية وانهيار الوازع الخلقي والديني وأبرز النزاعات القبلية كان قتال الشكرية والبطاحين وقد عقب ذلك القتال بين الملك نمر وأخيه مساعد ولا تكاد الكتب تذكر لنا السبب المباشر للقتال الذي دار بين الشكرية والبطاحين وفي هذا القتال قتل شيخ الشكرية عوض الكريم أبوسن وكان تدخل الملك نمر أثره في تهدئة هذه الحرب وأفلح في إستبقاء قبيلة البطاحين الصغيرة يومئذ إذ كادت قبيلة الشكرية تستأصل شأفتهم وقد كان لمصاهرة الملك نمر لكل من البطاحين والشكرية أثره في حل هذا الأمر المعقد الذي لم تتدخل فيه السلطة المركزية لضعفها وتقصيرها عن أداء واجباتها. وقد برز أيضا صراع بين الجميعاب والسعداب كانت من نتائجه إنكسار شوكة السعداب وبقيت للجميعاب شوكة وقوة هابتها القبائل والسلطنة.

وسادت في الحالة الاجتماعية في عصر سيدي أحمد الطيب إنهيار الوازع الخلقي والديني ولهذا إرتباط وثيق بالأحوال السياسية والاقتصادية فبعد إضمحلال نفوذ الفونج وإزدياد شوكة الهمج وإستعمالهم للعنف بغير وازع من دين أو خلق ضعفت مكانة العلماء ولعل السيف الذي وضعه بادى

١ اسعد العباسي. {سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره} https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط استشارة ٥-٤-٢٠١٩م

أبوشلوخ في عنق العالم الخطيب البغدادي قد شتت عليه أمره وأجج الخصومة بينه وبين العلماء، وبفرضه الأتاوات حتى على بيوت الدين مما أسخط عليه العامة والخاصة وأغرى قادة الجند بالإنقلاب عليه وقتل البغدادي جعل كثيرا من العلماء يصمتون ومنهم من اختار المضي في طريق البغدادي وكان قتلهم بشعا وشنيعا فقد قتل الشفيع ولد أحمد ولد صغيرون حرقا بالنار وقتل الشيخ محمد الأمين ولد مسمار رجما بالحجارة وقتل الفقيه حجازي في محبسه بعد أن حرموه الماء فمات عطشا كما قتل الأمين بن العشا والفقيه زين العابدين بن الفقيه السيد وغيرهم كما كانت الحرائر تسبى، هذه الأفعال هي أفعال أهل السفه ومن لا خلاق لهم.

شهد عصر سيدي أحمد الطيب ترديا في الأوضاع الاقتصادية خاصة في النصف الثاني من ولاية بادي أبوشلوخ المخلوع حيث شهدت البلاد حروبا داخلية وخارجية وتقلصت الموارد وتم فرض مزيد من الضرائب والأتاوات في الوقت الذي يتظاهر فيه السلطان بمظهر الثراء والدعة والميل للهو والترف ووصل الحال بدولة الفونج كما كانت في أكثر عهودها من بداية القرن خاوية على عروشها بعد أن قلت الهدايا والجزية بعد ضعفها وعدم تمكنها من بسط نقوذها على الأقاليم.١

الأوضاع العلمية

أما الأوضاع العلمية في عصر سيدي أحمد الطيب فيمكن قراءتها على ضوء الإستقطاب الذي نجحت فيه دولة الفونج ثم تتبع ما آلت إليه هذه الأوضاع العلمية فالذي لا شك فيه أن دولة الفونج في أول أمرها قد استطاعت أن تستقطب العديد من العلماء البارزين في عصرها وصارت تنفق على التعليم خاصة في عهد الملك عجيب المانجلك وعرف الأزهر الرواق السناري كما عرفت مكة والمدينة مثاو كان يلجأ إليها حجاج سنار في ذلك الوقت ومع الثراء الذي كان على السلطنة استطاعت أن تبعث بعوثا إلى الأزهر الشريف وإلى مكة والمدينة وكان الأثرياء يحاولون استقطاب الكثير منهم فقد إستطاع تاجر مثل داؤود ابن عبد الجليل إقناع تاج الدين البهاري إلى المجيء إلى السودان،

١

ومع بزوغ شمس دولة الفونج الإسلامية وأفول دولة الأندلس يممت جماعات من العلماء وجهها صوب سنار رغبة في نشر العلم وتطلعا للهبات الجزيلة التي كان يقدمها ملوك سنار لمن يفد إليهم.

كان بعض المهتمين بالعلم يهاجرون إليه على نفقتهم الخاصة وعادوا بعلم وافر وأثروا البلاد بكميات وافرة من الكتب العلمية غير أن هنالك عوامل سالبة أثرت في النهضة العلمية في السودان منها ما هو عائد إلى الحروب القبلية التي كانت تحرق فيها القرى والمساجد ودور العلماء مما أتلف معه الكثير من الكتب ونوادر المخطوطات. كما كان للحرائق التي تنشأ بسبب الرياح في فصل الصيف أثر في الدمار الذي لحق بتلك الكتب هذا فضلا عن عدم الخبرة في المحافظة على الكتب في بلاد تكثر فيها الأمطار فتفسد كثير من المخطوطات بسبب الرطوبة العالية وقد شهد عصر سيدي أحمد الطيب إحتراق مكتبة الأرباب بانقا بعد مقتل إسماعيل باشا كما شهد عصر الفونج إحتراق مدينة أربجي بكاملها على ما كانت عليه من الترف والدعة.[1]

منهج الطريقة السمّانية

نهجت السمّانية نهجا سليما لنشر أفكارها وتعاليمها وقد أسهم ذلك في تحبيبها لنفوس الناس الذين سارعوا للأخذ والعمل بها ويتمثل منهجها فيما يأتي:

الأيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، التأسي التام بالرسول صلى الله عليه وسلم، والمجاهدة الدائمة للنفس للتخلق بالقرآن الكريم، الالتزام الجاد بالمنهج التربوي لمشايخ الطريقة، التوقير للكبير والاحترام والطاعة للشيخ، والأخذ بعزائم الأمور، والإكثار من النوافل عامة والذكر، والمبايعة علي الوفاء بعهد الله وتحكيم شرعه إذ الطاعة لله تجمعنا والمعصية له تفرقنا[2].

١ اسعد العباسي. {سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير «راجل أمرحي» قدس الله سره} https://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=print&board=340&msg=1309961244&rn=86. على الرابط استشارة ٥-٤-٢٠١٩م

٢ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان. ص- ٦٢.

البيعة عند السمَّانية

وأما كيفية أخذ المريد من الشيخ فيها فهو أن يجدد الوضوء أولاً وإن اغتسل فهو أفضل، ثم يصلي ركعتين تحية الإرادة بالفاتحة مرة والإخلاص سبعاً، ثم يجلس أمام الشيخ على هيئة جلسة التشهد، والشيخ يمسك المريد بيده ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرة، وأستغفر الله سبع مرات، آمنت بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، والبعث بعد الموت حق مرة واحدة. ويقول بعد ذلك: أسلمت وجددت إسلامي وتطهرت من جميع الذنوب توبة نصوحاً، وتبرأت من الكفر وموجباته. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أخذت الطريقة والخلافة والإجازة، ولبست التاج أو العمامة وعاهدت الله على يد الأستاذ الفلاني على الاستقامة والشريعة الغراء بتقوى الله والتفويض في جميع الأمور إلى الله، والرضا بقضائه، والشكر على آلاء الله كما عاهد هو على يد شيخه فلان الفلاني، وهكذا إلى ما شاء الله من مشايخ السند محلياً لهم بأبلغ الأوصاف وأكملها إما إلى آخره أو ما أراده منهم. ثم يقرأ:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ...الآية}، ثم الفاتحة ويدعو للمريد بالاستقامة على الشريعة والطريقة ثم يعلمه راتب الطريقة القادرية، وهو أن يقرأ الفاتحة بعد صلاة الصبح ويهدي ثوابها لروح النبي، وروح سيدنا عبد القادر الجيلاني، وجميع السادة القادرية. وأما كيفية أخذ العهد في هذه الطريقة السمَّانية عن مشايخنا فيها رضوان الله عليهم هو أن يلقن الشيخ مريده هذه الكلمات قبل الكلمة الشريفة وآية المبايعة بعد أن يمسك إبهام المريد من يده اليمنى. رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالقرآن دليلاً، وبالكعبة قبلة، وبالشيخ فلان شيخاً ودليلاً إلى الله ورسوله وبالمؤمنين إخوة والطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا، ثم يقرأ الاستغفار مرتين والصلاة على النبي مرتين، ولا إله إلا الله ثلاثاً، نافياً عن يمينه مثبتاً عن شماله، وبعدها يقول: محمد رسول الله، ثم يا الله خمساً، ثم هو إحدى عشرة مرة، ثم أسماء الإشارة المذكورة آنفاً، ثم يقول: سلكت هذه الطريقة القادرية السمَّانية الجنيدية العلوية المحمدية الجبريلية الإلهية. اللهم انفعنا بها ثلاثاً ثم يخرجان يديهما من الاشتباك ويرفعانهما للفاتحة،

ثـم يقبـل يـد شـيخه ويشـتغل بـما أمـره بـه مـن الأوراد ١.

وللسـادة القادريـة أيضـا رضي الله عنهـم كيفيـة أخـرى في المبايعـة والتلقـين، وهو أن يجلـس الشـيخ مسـتقبلاً القبلـة عـلى طهـارة ووضـوء وخشـوع وأدب، كحالـة جلوسـه للصـلاة، والمريـد يكـون كذلـك عـلى طهـارة ووضـوء، ثـم يأمـره بالتوبـة عنـد إرادة السـلوك تبعـاً لقـول الله تبـارك وتعـالى:{إِذَا جَـاءَكَ الْمُؤْمِنَـاتُ يُبَايِعْنَكَ...}الآيـة. وبصلاتـه ركعتـين لله تبـارك وتعـالى، ثـم يأمـره بـأن يدنـو منـه، بحيـث يلصـق ركبتـه بركبتـه أو قريبـاً مـن ذلـك، ثـم يأخـذ الشـيخ بإبهـام المريـد اليمنـى فيقـرأ كل واحـد منهـما التعـوذ والبسـملة والفاتحـة إلى آخرهـا، ثـم الاسـتغفار مرتـين ثـم الصـلاة عـلى النبـي مرتـين، ثـم يأمـر الشـيخ المريـد أن يغمـض عينيـه ويفتـح عـين قلبـه ملاحظـاً لمعنـى الذكـر، فيلقنـه لا إلـه إلا الله ثـلاث مـرات، مبتدئـاً بـلا إلـه بجهـة القلـب خاتمـاً بـالا الله صعـوداً وهبوطـاً ثـم يقـرأ بعـد ذلـك رضيـت بـالله ربـاً وبالإسـلام دينـاً وبمحمـد نبيـاً ورسـولاً، وشـيخنا فـلان شـيخاً، فـإن زاد عـلى ذلـك فواسـع، ويقـرأ آيـة المبايعـة:{ إِنَّ الَّذِيـنَ يُبَايِعُونَـكَ إِنَّـمَا يُبَايِعُـونَ اللَّهَ يَـدُ اللَّهِ فَـوْقَ أَيْدِيهِـمْ ۚ فَمَـنْ نَكَـثَ فَإِنَّـمَا يَنْكُـثُ عَـلَىٰ نَفْسِـهِ ۖ وَمَـنْ أَوْفَىٰ بِـمَا عَاهَـدَ عَلَيْـهُ اللَّهَ فَسَـيُؤْتِيهِ أَجْـرًا عَظِيـمًا}، ثـم يقبـل المريـد يـد شـيخه ويخـرج يـده مـن يـده، ثـم يرفعانهـما بالفاتحـة، ويدعـو الشـيخ لمريـده بالمغفـرة والعفـو والعافيـة والقبـول لعلـه ينـال بهـا مـن الله القربـة والوصـول٢.

أساس الطريقة السمّانية

أساس الطريق السمّاني ويتمثل في:

الاستغفار.

الصلاة على النبي.

لا إله إلا الله.

يا الله.

يا هو٣.

١ عبد المحمود نور الدائم.أزاهير الرياض – ص– ٧٦

٢ المصدر نفسه

٣ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض ص – ١٦٧

	صغري	متوسط	كبري
أستغفر الله الغفور الرحيم	٢	٢٠	٢٠٠
اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى وصحبه وسلم	٢	٢٠	٢٠٠
لا إله إلا الله	٣	١٣	٣١٣
يا الله	٥	١١	٣٦٠
يا هو	١١	١٩	٣٧٠

شكل ١- ٢ أساس الطريقة السمّانية

فلسفة الطريق السمّاني

تقوم الطريقة السمّانية كغيرها من الطرق على منهج وأساس وأركان وأصول ومراتب وأوراد وأذكار ونشاطات دينية واجتماعية تعكس أهم مرتكزاتها وفلسفتها في مجال التربية والدعوة إلى الله تعالى[1]. ومن حصيلة ما ورد في المؤلفات المشار وغيرها من التراث يتضح أن للطريقة السمّانية - كما لغيرها من الطرق- مناهج وأساساً، وأركاناَ، وأصولاً، ومراتب، وأوراداً، وأذكاراً، ونشاطاً دينياً واجتماعياً، أشير فيما يأتي إلى أهم ما يعكس فلسفتها منه في مجال التربية والدعوة إلى الله تعالى[2].

مراتب الطريق

للطريق مراتب هي:

١/ الشريعة الممثلة للعدل: وبها يتبين الحلال من الحرام، وبها تقام حدود الله تعالى، ويعطي كل ذي حق حقه وإليها الإشارة بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ

١ عبد الرحمن أبوخريس. عالمية السمانية. ورقة بحثية منشورةقضايا العالم المعاصر – العدد رقم (٩) يناير ٢٠١٢- ص ١١٨

٢ حسن الفاتح. الدور الديني والاجتماعي للطريقة السمانية- ص- ٤٥

تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)١.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (أتيتكم بشريعة بيضاء نقية لم يأت بها نبي قبلي، ولو كان موسى في زمني وسائر الأنبياء لم يسعهم إلا إتباع شريعتي).

٢/ الطريقة المثلة للإحسان: وبها تشيع الملكية بين الأخوان، ويكثر عبرها التقرب للواحد المنان، عملاً بقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن أخو المؤمن لا يخذله ولا يحقره، أمرهم شورى بينهم) علماً بأن (الطريقة) قد عرفت بعدة تعريفات منها إنها هي: الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى المولى من قطع المنازل والترقي في المقامات أو السير بالسيَر المختصة بالسالكين إلى الله تعالى.

٣/ الحقيقة المثلة للفناء: وهي الوصول إلى المقصود بالسر والروح ومشاهدة نور التجلي. هذا ولا تباين بين الحقيقة والشريعة والطريقة، ولتقريب هذا المفهوم أجاب أحدهم لما سئل عن الفرق بين ما ذكر، فقال: إذا أكل الصائم بطل صومه من حيث أحكام الشريعة، وإذا اغتاب بطل صومه من حيث أحكام الطريقة، وإذا خطر بباله سوى الله تعالى بطل صومه من حيث الحقيقة، وشبه غيره (الشريعة) بقشر (اللوزة) و(الطريقة) بلبها و(الحقيقة) بدهنها مؤكداً استحالة أن يحصل الفرد على الدهن قبل (اللب)، أو يحصل على (اللب) قبل القشر.

واجبات الطريق

واجبات الطريق، هي:

١. ذكر رب العالمين عملاً بقوله تعالى: (وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ)٢، والمعنى أذكر ربك إذا نسيت غيره، ونسيت نفسك في ذكرك، ثم ذكرك في ذكره، ثم نسيت في ذكر الحق نسيت غيره، ونسيت نفسك في ذكرك، ثم نسيت ذكرك في ذكره، ثم نسيت ذكر الحق إياك - كل ذكر.. علماً بأن الذكر هو التخلص

١ / سورة النساء الآية ٢٩

٢ سورة الكهف الآية ٢٤

مـن الغفلـة والنسـيان؛ وهـو عـلى ثـلاث درجـات أولاهـا: الذكـر الظاهـر مـن ثنـاء أو دعـاء أو رعايـة، وثانيهـا: الذكـر الخفـي وهـو الإخـلاص مـن القيـود، والبقـاء مـع الشـهود، ولـزوم المسـامرة: وثالثهـا: الذكـر الحقيقـي، وهـو شـهود ذكـر الحـق إيـاك، والتخلـص مـن شـهود ذكـرك، ومعرفـة افـتراء الذاكـر في بقائـه مـع الذكـر.

ترك الهوى.

ترك الدنيا.

إتباع الدين.

الإحسان إلى المخلوقات.

فعل الخيرات.

أوراد الطريق السمَّاني

اعلـم أن الـكلام صفـة المتكلـم (ومافيكيظهرعليفيـك) فأحـزاب المشـايخ العارفـين، والعلـماء العاملـين، وأورادهـم ومحفوظاتهـم، وادعيتهـم السـنية، وأذكارهـم العليـة، وغيرهـا هـي صفـة أحوالهـم، ونعـت مثالهـم، ومـيراث علومهـم وأعمالهـم، مسـددة بلهاماتهـم، مصحوبـة بكرامتهـم، وبذلـك جـروا في كل أمورهـم لا بالهـوى فلذلـك كان القبـول لكلامهـم، وربـما جـاء بعدهـم مـن أراد محاولـة ذلـك لنفسـه بنفسـه، فعـاد ماتوجـه بـه عليـه بعكسـه، كـما يحكـى:(أن النحلـة علمـت الزنبـور طـرق النسـج فنسـج عـلى منوالهـا، وصنـع بيتـا عـلى مثالهـا، ثـم ادعـى أن لـه الفضيلـة مـا لهـا؛ فقالـت لـه: هـذا البيـت فأيـن العسـل؟ وإنـما الـسر في السـكان لا في المـكان[1]

للطريقـة السـمانية أوراد وأذكار فرديـة وجماعيـة يـدأب عـلى تلاوتهـا مريـدو الطريقـة صباحـا ومسـاء. وهـي أوراد مأذونـه تختـزن طاقـة نورانيـة قويـة تطـرد الغفلـة عـن القلـب وتحـرر الشـعور مـن التعلـق بـما سـوى الله تعـالى. ومـا يميـز السـمانية أن الأوراد لا يقتـصر في أدائهـا صباحـاً ومسـاءً كـما هـو الحـال عنـد بقيـة

[1] عبدالحميدبنمحمدعلي. كنزالنجاحوالسرورفيالأدعيةالتيتشرحالصدور. ٢٠٠٩، ص ٨

الطرق الأخرى، إنما هي أوراد ينتظم في أدائها عقب كل صلاة مفروضة. وللشيخ محمد السمّان ولتلامذته من بعده ومنهم الشيخ أحمد الطيب، أبناءه وخلفاءه من بعده والذين أصبحت لهم فيما بعد فروعاً كثيرةً تعادل كثرة أبنائه من ناحيته، وكثرة المجازين في طريقته من ناحية أخرى، وحيث أنه لم تعد هناك (مركزية) تُملي على سالكي الطريق السمّاني إتباع نهج معيَّن في التربية والسلوك فقد اجتهد مشايخ كل فرع من الفروع باستحداث أوراد أضافوها على ما ورثوه قبلاً من أوراد منقولة عن أعيان طريقتهم، فاختلفت تبعاً لهذا وذاك (أوراد الطريق)، كما اختلفت (أذكاره) خاصة عند (النهج الخلوتي) في رياضتهم الروحية أكثر من إيثارهم لـ(النهج القادري).

ذكر الطريق السمّاني

يتنوع ذكر الطريق السمّاني بتنوع (الفرع) الذي ينتمي إليه الذاكر، ذلك أن من أثر الذكر على النهج (القادري) كانوا وما زالوا يفضلون (التربية الروحية للمريدين عبر الرياضة البدنية) بما يسمى اصطلاحاً محلياً بذكر (الصيحة[1])، ومن أثر الذكر على النهج (الخلوتي) يفضلون (التربية الروحية للمريدين عبر الرياضة البدنية) بما يعرف بذكر (الطبقات).

أ- ذكر الصيحة، أو الذكر القادري

ذكر الصيحة، هو ذكر يردد فيه المريدون وبكثرة اسم الله تعالى مُفرداً تارة، مضافاً إليه اسمه تعالى (حي) تارة أخرى، حيث يقولون (الله، واحد) بادئين ذكرهم في حال القيام بكلمة (الله)، مُنهين الذكر بكلمة (واحد) في حال انحناء أشبه ما يكون بالركوع، علماً بأن مثل هذا النوع من الذكر هو الأكثر انتشاراً بالسودان، وأحسب أنه سمي بـ(ذكر الصيحة) لأن (القوالين) أو (المنشدين) أو (الشعّار) يصيحون في حلقته بأشعار رافعةٍ للهمم، منشطة للذاكرين ينظمونها باللغة الدارجة بالبلاد لتكون أكثر فهماً لهم وتأثيراً

١ الصيحة: هو ذكر يردد فيه المريدون بكثرة اسم الله تعالى مفرداً تارة ومضاف إليه «حي» — تارة أخرى حيث يقولون الله واحد، بادئين ذكرهم في حال القيام بكلمة الله منهين الذكر بكلمة واحد في حالة انحناءأشبه مايكون بالركوع ويسمى بذكر الصيحة لان المنشدين يصيحون في حلقته بأشعار رافعة الهمة منشطة للذاكرين وينظمونها باللغة الدارجة لتكون أكثر فهما وتأثيرا في قلوبهم.

في قلوبهم، على أنهم عادة ما يقفون متباعدين بعض الشئ من بعضهم بغية إسماع الحضور لما به يتصايحون من أشعار.

ب -الذكر الخلوتي أو ذكر الطبقات

الذكر الخلوتي هو ذكر متنوع، مصحوب بقصائد مستقلة، وبأناشيد موقعه، ومتناسقة مع حركات الذاكرين وأصواتهم، خفضاً ورفعاً، جهراً، وسراً، ونفساً، وصدراً، ويكون كما يلي: (لا اله إلا الله)، (الله)، (واحد)، (هو)، (حق)، (حي)، (قيوم) (قهار)، (جليل)، (دائم)، كل ذلك وفق حركات رياضية بدينة شاقة بعض الشئ، بُغية دفع الرتابة من ناحية، ولطرد الغفلة عن الذاكر، وإتاحة الفرصة لغير اللسان لأداء ذات الدور في الذكر من ناحية ثانية، علماً بأنه يتخلل هذا النوع من الذكر ويفصله إنشادٌ من القولين وباللغة العربية الفصحى، بُغية إنهاض الذكار من ناحية، والارتفاع من ناحية ثانية بمستوى بعض السامعين إلى اللغة التي أثرها المولى على غيرها من إنزال القرآن الكريم، أملاً في تدعيم ما إليه هدف الدين من حيث الوحدة اللغوية بين المسلمين، ومراعاة لحال من قد لا يستوعب اللهجة الدارجة لأهل البلاد من الحاضرين أو السامعين[١].

شعار الطريق الظاهري أو الخرقة

شعار الطريق هو الحزام (الكرّابة) أو ربط الوسط، وهو رمز ظاهري تجسيدي ينبئ به المريد شيخه والآخرين، بعزمه القلبي الجاد في السير إلى الله، عبر المنهج التربوي للطريقة السمّانية التزاماً بقوله عليه الصلاة والسلام: (شد حقوك ولو بصرار) وقوله صلى الله عليه وسلم: (أربطوا أوساطكم بأرديتكم وعليكم بالهرولة)[٢]. انتقل تقليد لبس (الكرابة) أو التمنطق بحزام في البطن من اليعقوباب من أيام الفونج إلى السمانية حينما تحول محمد توم ود بانقا إليها، ونتيجة لهذا تأثرت كل مراكز السمانية على امتداد السودان بالتزام (الكرابة) كشعار للطريقة كما حاول بعض السمانية أن يجعل له أصلا في الشريعة فزعم

١ المصدر نفسه

٢ حسن الفاتح. الدور الديني والفكري الاجتماعي للطريقة السمانية. ٢٠٠٤-ص-٦٥

أن شد الوسط أو لبس الحزام من السنة، وكان حكام الفونج يتحزمون تميزا لأنفسهم عن العامة، ويعتقد (اركل) أن طريقة لبس الحزام عند الفونج هي نفس الطريقة التي عند اليعقوباب في لبس الحزام، وقد يختلف لون الحزام من بيت سماني إلى آخر فهو مثلا عند تلاميذ البرعي باللونين الأحمر والأبيض ويكون دلالة على عزم المريد للسير والمخالفة للنفس١ .

اتخذت الطريقة السمّانية منهجا لتربية المريدين والأتباع من بين هذه المناهج التربوية للصوفية. وقد التزمت بهذا المنهج مما كان له أثر كبير في التربية وتحفيظ القرآن وتعليم بعض العلوم الأخرى وذلك كله بدخول الخلاوي وبجانب استخدام بعض الوسائل الأخرى كالشعر والمؤلفات والتي نظمها وألفها مشايخ الطريقة بالإضافة إلى بعض النشاطات الأخرى٢.

مراكز السمّانية من البيت الطيبي

«إن فروع الدوحة الطيبية السمّانية التي تعمل على الهداية والإرشادفي سوداننا الحبيب كثيرة جدا جزاها الله خير الجزاء، وليس المجال هنا مجال حصرها وضبطها والإشادة بأمجادها،فهذا موضوع يطول ويوشك أن لاينقضي»٣. في موسوعة أهل الذكر بالسودان (٢٦٦:٢٠٠٤) أبان الشيخ عبد الجبار المبارك أن الطريقة كما انتشرت بفضل مجهودات تلاميذ القطب الشيخ أحمد الطيب من أمثال سيدي الشيخ أحمد البصير والقرشي بن الزين والشيخ التوم ود بانقا فكذلك كان لزراري وأحفاد الشيخ أحمد الطيب الفضل الجلي والواضح في وصولها إلي السودان وخارجه. فمن المراكز التي تحسب للبيت الطيبي:

مركز الطريقة بأمرح ويقوم به أبناء الشيخ محمد شريف نور الدائم.

مركز الطريقة بطابت ويقوم به أبناء الشيخ عبد المحمود.

مركز الطريقة في طابت شرق ويقوم به أبناء الشيخ البشير بن الشيخ نور

١ طارق أحمد عثمان. الطريقة السمانية في السودان. 2009. ص- 154.
٢ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان. ص-٥٩.
٣ السماني عبد المحمود الحفيان. ديوان «الحان الصفا- بدون تاريخ-ص- ٢٠

الدائـم.

مركز الطريقة في جبل أولياء ويقوم به أبناء الشيخ عبد المجيد نور الدائم.

مركز الطريقة في أم درمان ويقوم به أبناء الشيخ قريب الله أبو صالح.

مركز شمبات ويقوم به أبناء الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أحمد الطيب.

مركـز الجبلـين ويقـوم بـه أبنـاء الشـيخ إدريـس الشـيخ عبـد القـادر الشـيخ عبـد الرحمن.

الـسروراب القلعـة الطيبيـة أبنـاء الشـيخ إبراهيـم الدسـوقي الشـيخ أحمـد الطيـب.

مركـز الطريقـة في أبوجبيهـة الشـيخ هاشـم الشـيخ عبـد الجبـار بـن الشـيخ نـور الدائم.

كـما يوجـد لهـا مراكـز خـارج السـودان مثـل مركزهـا في الحبشـة ويقـوم بـه أبنـاء وأحفـاد الشـيخ عبـد المحمـود نـور الدائـم. وكذلـك أبنـاء الشـيخ الحسـين بـن الشـيخ عبـد الواحـد بـن الشـيخ أحمـد الطيـب.

ومـن المراكـز الهامـة التـي باتـت ذات نشـاط واضـح ومشـهود والتـي تحسـب إلي البيـت الطيبـي مركـز السـمّانية في كل مـن:

أُمْ عَيْدَان شرق سنار ويقوم به الشيخ السمّاني الشيخ البكري.

أب قمري منطقة الحوش ويقوم به أبناء الشيخ البشير ود عبد الرحمن.

الفريجـاب محليـة الحصاحيصـا ويقـوم بـه أبنـاء الشـيخ عبـد المجيـد الشـيخ نـور الدائـم.

قسمات المنهج الطيبي في الطريقة السمّانية

القسمة وهي واحد قسمات تفيد معنى الجمال والحسن الذي تقسمت مظاهره على الموصوف بهذا الجمال حتى شمله، ولهذا قالوا في وصف من كان جماله شاملا إنه قسيم، أما إذا دام الجمال وثبت ولم تغير منه الأيام شيئا فهو الوسامة، وعلى ذلك فدائم الحسن وشامله هو الوسيم القسيم، ولا يطلقان حقيقة إلا على مصدر الوسامة والقسامة سيد الخلق سيدنا محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم.

فأجمل منك لم تر قط عيني وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءا من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ومنهج سيدي القطب أحمد الطيب في الطريقة السمّانية منهج جميل في شمول. ومن قسمات الجمال في المنهج الطيبي:

أنه منهج استمد عطاءه من المدينة المنورة حسا ومعنى حيث لم تشترك طريقة صوفية في السودان مع الطريقة السمّانية في ذلك.

جاء عطاء الطريقة السمّانية في إطار المنهج الطيبي عطاء يتسم بالتواصل المعرفي على المستوي العالمي، وذلك بما تفرد به سيدي أحمد الطيب في زمنه من تعبير بياني رفيع اختار له لغة عربية جاءت في القمة من أفصاحة. حتى أن فصاحة اللغة وجزالة التعبير، وسمو المعنى، وقوة الجرس وسيرورة اللفظ وجهارة الحرف ووضاءة الديباجة وقوة نسجها مع قرب المعنى وحسن التأتي، لتكاد أن تكون فريضة من فرائض البيان والتبيين يرثها أبناء هذا البيت الطيبي، ونظرة في مأثور الطريقة الصوفية في السودان حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري سوف تعطي هذه الحقيقة التي يصدقها مأثور الطريقة الصوفية في السودان كما عبرت عنه طبقات الشيخ (محمد نور بن ضيف الله). وأينما نظرت في مؤلفات سيدي القطب أحمد الطيب والعارفين من أبنائه فلن تجد كلمة «دارجة».

المشـاركة الفعَالـة في تكويـن الجغرافيـا الروحيـة في السـودان رأسـياً وأفقيـاً، وسـيجد مـن تخصـص في هـذا المجـال أن المعـالم والأعـلام التـي ترجـع في وجودهـا إلي الطريقـة السـمّانية بسـند المنهـج الطيبـي حسـا ومعنـى مـن الكثـرة بدرجـة لا تسـاميها فيهـا إلا الطريقـة القادريـة وهـي مـن أصـول السـمّانية كـما هـو معـروف.

الارتقاء المعرفي في مدارج العرفان الصوفي[1].

التواصـل الفكـري في إطـار المنهـج الصـوفي وهـذه قسـمة خامسـة مـن قسـمات المنهـج الطيبـي في الطريقـة السـمّانية وقـد جـاء مقتـضي هـذا التواصـل الفكـري بـين التصـوف في السـودان والعـالم العـربي متمثـلا في أن جميـع الآثـار المكتوبـة ومـا حفـظ عـن سـيدي القطـب أحمـد الطيـب بـن البشـير قـد جـاءت مكتوبـة بلغـة عربيـة فصحـي، جـاءت في الـذروة مـن جـودة البيـان وسـلامة التركيـب والوفـاء بلـوازم البلاغـة مـع المعنـى السـامي والدلالـة الرفيعـة، وكل ذلـك قـد أتـاح للعطـاء الطيبـي في الطريقـة السـمّانية الانتشـار خـارج السـودان، والاتصـال بعطـاء العرفـان الصـوفي عـلي مسـتوي الناطقـين بالعربيـة، الأمـر الـذي أتـاح للتصـوف في السـودان أن يتجـاوز المحليـة إلي الدوائـر الإقليميـة والعالميـة بسـبب مـن الاشـتراك في لغـة الخطـاب ذي المرامـي والمقاصـد المشـتركة بـين كافـة الصوفيـة في العـالم ، ولا يخفـى أن غالـب عطـاء الطـرق الصوفيـة في السـودان قبـل دخـول الطريقـة السـمّانية في مجـال الإرشـاد كان يـأتي باللغـة الدارجـة، وهـي لغـة محليـة لا تسـمح بالتواصـل المعـرفي إلا في إطـار مـن يتحـدث دارجـة أهـل السـودان ويفهمهـا، وقد جـاء كتاب طبقـات العلامـة ود ضيـف الله ليكـون مظهـرا موضوعيـا لهـذه السـمة. وقـد أتـاح هـذا التواصـل المعـرفي للطريقـة السـمّانية في السـودان أن تكـون تعبـيرا ملموسـا عن التجديـد في الطريقـة الصوفيـة ولاسـيما عـلى مسـتوى العرفـان الصـوفي، ولعـل الـدارس لمنهـج الطريقـة السـمّانية وعطائهـا في مجـال المعرفـة الصوفيـة سـيجد مـن غـير كبـير جهـد مصـداق مـا نقـول مـن خـلال مـا أثـر عـن القطـب أحمـد الطيـب وأحفـاده. وسـيظل المنهـج الطيبـي بـإذن الله تعـالى عـلى تفـرده بالتواصـل الثقـافي مـع العـالم العـربي، وذلـك مـن خـلال تمسـكه وغيرتـه عـلى البيـان العـربي الناصـع الـذي تفـرد بـه جدنـا القطـب أحمـد الطيـب في زمنـه حتـى شـكّل قسـمة

١ عبد الجبار المبارك الحفياني. الأستاذ الشيخ عبد المحمود الشيخ نور الدائم حياته وأثاره. دار السداد للطباعة. ٢٠٠٤. ص- ١٦٧- ١٦٨

من قسمات التجديد الذي تفردت به الطريقة السمّانية التي لا يزال عطاءها المتجدد عبر علمائها مستمرا في مزاوجة بين الأصل والعصر، وارتقاء بالإرث والحرث على السواء. هذه القسمات الخمس هي التي تكونت منها قسمات المنهج الطيبي في الطريقة السمّانية في السودان، ذلك المنهج الذي نأى عن القشور والتّسميات (الفارغة) ليرث عنه الباحثون والدارسون والمرشدون والمسترشدون خطاباً رفيعاً في مجال العرفان الصوفي[1].

واكتسب أبناء الشيخ أحمد الطيب البشير مقدراته ومهاراته في التصوف والشعر والنثر[2]. ظهر من أبنائهم من ساهم في دفع عجلة الحركة الفكرية الدينية في السودان، وساعد في الارتقاء بالفكر الصوفي، غير أنه كان للشيخ أبي صالح عدد من المؤلفات منها المخطوط ومنها المطبوع، أما عن أبنائهم، أي أحفاد الشيخ أحمد الطيب، فقد كان منهم الشيخ محمد شريف نور الدائم الذي كان له أثر واضح في إثراء الحركة الفكرية، ومنهم أيضا الشيخ عبد المحمود نور الدائم وهو أبرز مشائخ الطريقة السمّانية الذين ساهموا في ارتقاء الفكر الصوفي وتركوا أثراً واضحاً في السودان، فقد غمر فكره كل أنحاء البلاد، وللشيخ عبد المحمود أكثر من ثمانين مؤلفاً في التصوف وعلوم الدين وفلسفة الطريقة السمّانية، وذكر مناقب شيوخ الطريقة وأورادها داخل السودان وخارجه. ومن مشايخ الطريقة السمّانية الذين أثروا الحركة الفكرية الصوفية في السودان الشيخ قريب الله أبا صالح، سليل البيت الطيبي وهو منشئ الفرع القريبي السمّاني بأم درمان. وقد استطاع الشيخ قريب الله بما له من علم وثقافة دينية عالية ان يضيف كثيرا ليس للطريقة السمّانية فحسب، بل للفكر الصوفي عموما وله العديد من المؤلفات في هذا المجال[3].

---

١ المصدر نفسه ص- ١٨٠ – ١٨١- ١٨٢.

٢ حسن مكي. رواد التجديد

٣ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان. رسالة ماجستير – جامعة الخرطوم- كلية التربية -١٩٩٦- ص- 100.

أسباب انتشار السمّانية

هناك عدد من العوامل التي ساعدت على انتشار الطريقة السمّانية ونجاح جهود الشيخ أحمد الطيب بن البشير في نشرها منها:

كان الجو الصوفي السائد في السودان قبل دخول الطريقة السمّانية إليه مباشرة مهيأ لتقبل أي فكر صوفي جديد، إذ تدهورت مكانه الطرق الصوفية وتفرعت إلى بيوتات صغيرة تتنافس حول الزعامة الدينية.

كان لضعف سلطات ملوك الفونج في آخر أيامهم أثره الواضح على تلك الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت في البلاد حيث صارت تتنافس حول المكاسب السياسية وهذا أبعدهم عن رسالتهم الحقيقة.

الطريقة السمّانية نفسها وما تتميز به من تبسيط وسهولة تربية المريدين واكتسابهم وما أتت به من أسلوب فكري جديد للتصوف[١].

According to Neil McHugh (1993) the ‹Divisions and competition among the Ṣūfīs enabled Aḥmad w. al-Bshir to attract initiates from all places, families and ṭarīqas، but in so doing, he also became heir to this very fragmentation. He may have been «Shaykh of all Shaykhs» in a spiritual sense.[Abdulgalil.A.Salih. The Sammaniyya:Doctrine، History &Future. Sudan Currency for printing. 2015-[.p-274

يرى نيل ماكهيو (١٩٩٣) أن الانشقاقات والتنافس وسط الصوفيون مكنت أحمد ود البشير لجذب وتلقين من كل الأماكن والأسر والطرق، وأيضا وبفعل هذاصار الوارث لهذا التشتت تماما. ربما قد يكون وصفه بانه «شيخ المشايخ» في معناه الروحي.

كان للطريقة السمّانية دور حديث في نشر الإسلام حيث تجدها انتشرت في المناطق النائية، والتي معظم سكانها غير مسلمين ولا ينطقون العربية، فنجد

١ مهاد بخيت سليمان. آثار الطريقة السمانية في طابت الشيخ عبد المحمود. بحث تكميلي قسم الآثار –كلية الآداب – جامعة الخرطوم- ٢٠١٢ –ص- ١٨

في جبـال النوبـة في منطقـة التيمنـج الشـيخ عبـد القـادر كنـدة والـذي كان وثنيـاً دخـل الإسـلام وتعلـم اللغـة العربيـة عـلى يـد مشـائخ الطريقـة السـمانية، وأنشـأ العديـد مـن الخـلاوى لتحفيـظ القـرآن، كـما نجـد لهـا وجـود حديـث في جنـوب السـودان حيـث نجـد الشـيخ مختـار عبـد الله واسـمه الحقيقـي ملـوال دينـق، وقـد كان مسيحياً وأسـلم عـلى يـد الشيخ مبـارك مركـز الديـن حيـث جـاء بـه إلى الشـيخ عبـد المحمـود الحفيـان وأخـذ منـه الطريـق السـماني واجتهـد فيـه إلى أن أجـازه الشـيخ عبـد المحمـود، وطلـب منـه الرجـوع إلى أهلـه لنـشر تعاليـم الإسـلام.

لا مركزية السمّانية

أكثـر مـا يميـز الطريقـة السـمانية هـو عـدم مركزيـة الطريقـة بمعنـى أن مشـائخ السـمانية في مختلـف الأرجـاء لا يدينـون بالـولاء المبـاشر لمركـز الطريقـة. إذ أن كل فـرع للطريقـة لـه اسـتقلاليته الكاملـة والمنفـردة، وفى ذلـك يـرى كثـير مـن الباحثـين أن لا مركزيـة الطريقـة هـي السـبب المبـاشر في انتشـارها بصـوره واسـعة عـلى نطـاق العـالم الإسـلامي وفي السـودان بصفـة خاصـة. ومـع هـذه اللامركزيـة لا يخفـى عـلى منسـوبي الطريقـة الرمزيـة الكبـيرة التـي تمثلهـا المدينـة المنـورة إذ بهـا أسرة المؤسـس السـمان موطـن مـيلاد الطريقـة، وأم مـرح موطـن مولدهـا ونشـأتها السـودانية. وإذا مـا عدنـا إلي مسـألة المشـيخة في بقيـة الطـرق السـودانية، فنحـن نلاحـظ أن السـمانية - وعـلي الرغـم مـن أنهـم طريقـة غـير مركزيـة - لا تجـد باسـا في أن يخلـف الابـن أبـاه في القيـادة، وأن يكـون نقيبـا عنـه بعـد وفاتـه بحيـث يقـوم بـذات الأدوار التـي كان ينهـض بهـا والـده، بـل ويشـجعون هـذا المسـلك في تخليف الأبنـاء ولكنهـم يمتلكـون اختلافـا جوهريـا في مسـألة المشـيخة مـع الختميـة، فهـم لا يجعلـون المشـيخة حقـا خاصـا بـآل بيـت أحمـد الطيـب بـن البشـير مؤسـس الطريقة السـمانية في السـودان أو ملـكا لا يتجاوزهـم ولذلـك وجدنـا أن الطريقـة انتـشرت بواسـطة الأتبـاع وهـم الذيـن منحـوا هـذا الانتشـار الدينمكايـة والفاعليـة، وقـد أسسـت العديـد مـن فـروع السـمانية في مختلـف إنحـاء القطـر بواسـطة الأتبـاع والتلاميـذ، ومثـال عـلي ذلـك، المركـز الـذي أسسـه محمـد التـوم بـن بـان النقـا (ت ١٨٥٢م) الـذي نـشر السـمانية بـين قومـه مـن اليعقوبـاب في وسـط السـودان، وكان عهـد الشـيخ محمـد تـوم، نقطـة تحـول حقيقـي أو مـا يمكـن أن نسـميه بالانتقـال

النوعـي في مسـار الاعتقـاد والانتـماء المذهبـي لـدي اليعقوبـاب بسـلوك الشـيخ محمـد تـوم لهـذا الطريـق الجديـد وانتظامـه فيـه وأتباعـه للمنهـج السـماني بعـد أن كان اليعقوبـاب قادريـة حولهـم محمـد تـوم عنهـا إلي السـمانية ويمكـن اعتبـار هـذا العهـد في تاريـخ اليعقوبـاب بمثابـة الفـترة الأخـيرة التـي لا يعقبهـا تحـول في تدرجهـم الصـوفي ويمكـن تسـميتها بمرحلـة الطريقـة السـمانية اليعقوبابيـة.

وقـد امتـد أثـر محمـد تـوم ليشـمل تلاميـذ آخريـن أقـام كل واحـد منهـم مؤسسـة خاصـة بـه للتصـوف، واسـتقل عـن مركـز محمـد تـوم، مـن هـؤلاء الشـيخ زيـن العابديـن بـن عبـد الله العجـوز، والشـيخ طلحـه بـن حسـين الفـلاتي واصلـه مـن فوتـا تـورو (السـنغال) والشـيخ محمـد النـور (راجـل ريبـة) بالقـرب مـن سـنار، الـذي ونتيجـة لتأثيراتـه تكونـت مدرسـة أخـرى للتصـوف في منطقـة النيـل الأبيـض، بواسـطة الشـيخ عبـد الرحمـن الإمـام المعـروف بـ(قـادر ولي) وهـو الجـد الثالـث للشـيخ الياقـوت صاحـب المسيد المعـروف بمنطقـة جبـل أوليـاء (عـلي بعد ٥٠ كيلومـترا مـن الخرطـوم) في قريتـه المسـماة بالروضـة وقـد تناقلـت هـذه الأسرة السـند السـماني إلي شـيخها الحـالي، ومـن تلاميـذ محمـد تـوم كذلـك الشـيخ محمـد بريـر بـن الحسـين الجعـلي (ت ١٨٨٥م) بمنطقـة شبشـة بالنيـل الأبيـض، التـي أقـام بهـا مدرسـة لتعليـم القـرآن وتدريـس الفقـه والعلـوم الإسـلامية والتفـت حولـه أعـداد ضخمـة مـن المريديـن، وقــد تـرك بـدوره أثـراً عـلي تلاميـذه الذيـن شـكل بعضهـم امتـداد لمدرسـته العلميـة، وكان منهـم الشيخ عـوض الله بـن أحمد(النمـير) بـن عبـد الله عريـض(ت ١٩٣٥) أحـد أبـرز تلاميـذ الشـيخ بريـر وقـد خلفـه ابنـه أحمد(ت ١٩٦٩م) الـذي أسـس (مسـيدا) بمنطقـة الصفيراية. ومـن تلاميـذ الشـيخ محمـد بريـر كذلـك الشـيخ عمـر بـن محمـد عبـد الله الصـافي في منطقـة الكريـدة وقـد تـوفي في سـنة ١٩٣٢م، وقـد امتـد أثـر وجهـد الشـيخ عمـر إلي منطقـة الزريبـة بشـمال كردفـان ليكـون هنـاك تلاميـذ أهمهـم الشـيخ محمـد وقيـع الله(ت ١٩٤٤م) وهـو والـد الشـيخ عبـد الرحيـم (البرعـي) والشـيخ عبـد الرحيـم البرعـي مدرسـة متكاملـة في الفكـر الصـوفي والعمـل الدينـي الأخلاقـي، وقـد خلَـف أثـرا في جميـع إنحـاء السـودان، ولعلـه يمثـل أوضـح مدرسـة للتصـوف في السـودان المعـاصر.

ومـن تلاميـذ الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير كذلـك الشـيخ أحمـد البصـير الحـلاوي (ت ١٨٣١) والشـيخ القـرشي بـن الزيـن (ت ١٨٧٨م) والمركـزان سـاهما

في احتضـان الثـورة المهديـة ودعمهـا، والشـيخ عبـد الله الصابونـابي (ت ١٨٥٢)، وغيرهـم فـكل هـؤلاء التلاميـذ أسسـوا مراكـز خاصـة بهـم وأقامـوا مـدارس للعلـم وللتوعيـة والإصـلاح الاجتماعـي، أسـهمت في الدعـم بحركـة التغيـير في البـلاد. وسـاعدت عـلي نمـو وازدهـار العمـل الإسـلامي، وأسسـت لبنـاء العقليـة الدينيـة السـودانية، وقدمـت جهـداً إضافيا في التمسـك بالقيـم والأخـلاق والتعاليم السـامية، وأصبحـت مراكـز مسـتقلة في وجودهـا لا يربطهـا بمؤسـس الطريقـة وذراريـه إلا الـود والاحـترام والتقديـر، لكنهـا مراكـز منفصلـة بشـكل تـام وعـلى هـذا الأسـاس نمـت الطريقـة السـمانية فلـم تبـق القيـادة مركـزة في دائـرة واحـدة أو مجتمعـة لـدي يـد واحـدة، بـل تعـددت المناحـي، وكثـرت المشـارب وتنـوع المشـائخ والمـدارس والتوجهـات، والانتـاج المعـرفي١ . وهـذه ميـزة للسـمانية التـي لا تخضـع لنظـام مركـزي وخلافـة واحـدة، فالترقـي فيهـا يعتمـد عـلى مجاهـدات منتسـيبها، فقـد تخـرج مـن مدرسـة الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير العديـد مـن الشـيوخ الذيـن تبـؤوا مقامـات رفيعـة في التصـوف، وقـد ظلـت علاقاتهـم وطيـدة بمركـز الخلافـة في أم مـرح لكنهـم كانـوا ومـا زالـوا مسـتقلين بمشـيختهم في أصقـاع عديـدة في السـودان ونيجريـا وتشـاد وأثيوبيـا٢.

السمّانية وأثرها العلمي والأدبي

أسـهمت الطريقـة السـمانية التـي جـاء بهـا أحمـد الطيـب في تجديـد الطريقـة القادريـة البهاريـة، التـى نشرهـا تـاج الدين البهـاري في الدولـة السـنارية، وتلاميذه أمثـال الشـيخ محمـد الهميـم، والشـيخ بـا النقـا الضريـر، والشـيخ حجـازي بـن معـين، والشـيخ تـاج الديـن ابـن التويـم، والشـيخ عجيـب المانجلـك، ولحـق بهـولاء فـوج آخـر أمثـال عبـد الله بـن دفـع الله العركـي، وقـد اسـتطاعت أن تجـذب لهـا الكثـير مـن الحواريـن والمريديـن، وكان يغلـب عليهـا الطابـع الروحـي، ولم ترتبـط في كثـير مـن الأحايـين بالعلـم، وكثـر الحديـث فيهـا عـن الكرامـة أكثـر مـن الاسـتقامة، ودارت الخصومـة بـين الفقهـاء والصوفيـة حيـث أصبـح صـوت الفقهـاء خافتـا، وبعـد فينـة ضعـف دفعهـا إلا إذا اسـتثنينا محمـود العركـي راجـل

١ عثمان أحمد عثمان. مسيد شيخ اسأمه الشيخ حمزة — مقال في الشبكة العنكبوتية – ٢٠٠٧.
٢ المصدر نفسه

القصير لقد كان على علم مع حرص على نشره، فقد أسس مدارس كثيرة على النيل الأبيض وماعدا ذلك تراجعت الطريقة القادرية على حساب الشاذلية بين العلماء وطلبة العلم الشرعي، وارتبطت القادرية بالأصقاع النائية دون الحضر، إلى أن جاء أحمد الطيب، وارتبطت مدرسته بالدين الشرعي وظهر فيها أفذاذ المؤلفين، وكانت ابعد عن التبذل ومنافاة المدنية والحياة الحضرية، وقد أفرزت الطريقة السمانية المئات من المؤلفات بين طابت وأم مرحي وود نوباوي وهي تربو حقا عن مائتين وخمسين مؤلفا ما بين مخطوط ومطبوع في العلم الشرعي وعلم الحقيقة يتصل به وكذلك الأدب العربي[1].

اهتم رجال الطريقة السمانية بالعلم وخدموه بالتأليف وإنشاء المعاهد.وكان الكثير من مشايخهم متبحرين في علوم الشريعة وأولي ذوق أدبي وعلمي رفيع فخلفوا ثروة علمية وأدبية زاخرة. وقد ذهب عدد من الباحثين والكتاب إلى أن ظهور الطريقة السمّانية في السودان قد ساهم إسهاما مقدرا في أثرى الفكر الصوفي والأدبي واللغوي في البلاد عقب دخولها منذ عهد الفونج إلي الوقت الحاضر. وفي هذا الجانب يطالعنا المفكر الدكتور حسن مكي بقوله: «أسهمت الطريقة السمانية في نشر الثقافة الإسلامية وتنمية أواصر الإخاء وروابط الطريقة في ديار السودان، مما أسهم في تماسك الوحدة القومية وتعميق أواصر الرابطة الدينية وقد اهتمت بالذكر وتربية المريدين وتميز عدد من شيوخها بغرض الشعر الصوفي»[2].

ويمكن القول بأن الطريقة السمّانية هي أغزر طرق السودان أنصاراً وأكثرها تأثيراً على الصعيد الاجتماعي وأوفرها إنتاجا في المجال الأدبي والروحي، كما نبغ فيها شعراء على المستوى القومي مثل الشيخ عبد المحمودنور الدائم وابنه الشيخ الجيلي والشيخ محمد سعيد العباسي والشيخ محمد سرور وآخرين. وأيضا نجد في أم درمان الشيخ محمد الفاتح قريب الله، والذي أتى خليفة لأبيه، وعلم الشيخ محمد الفاتح وسعة اطلاعه مكناه من السير بالفرع القريبي على النهج السمّاني الخلوتي والارتقاء بالتصوف

١ قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية- ص- ٨٧

٢ حسن مكي محمد احمد. في مغزى ومضمون الثقافة السنارية، دراسة تاريخية تحليلية للحركة الفكرية في مملكة سنار الإسلامية ١٥-٤هـ - ١٨٢١م

فكـراً وأداءً وأسـلوباً. بـذا نسـتطيع أن نـرى مـدى مـا أحدثتـه الطريقـة السـمانية ومشـائخها مـن أثـر فكـري في التصـوف واللغـة والأدب عـلى المجتمـع السـوداني منـذ عهـد الفونـج وإلى اليـوم. فالطريقـة السـمانية هـي طريقـة ذات فلسـفة صوفيـة خاصـة، لـذا كان مـن البديهـي أن يتأثـر أي مجتمـع تنتـشر فيـه بهـذه الفلسـفة الصوفيـة.

ونمـت الطريقـة السـمانية وتعـددت مراكزهـا وأصبحـت مـن أكـبر الطـرق في السـودان المعـاصر، كـما أنهـا صاحبـة أكـبر مكتبـة ورصيـد علمـي وروحـي وفني[1].

وأوسـع مكتبـة سـودانية بأقـلام سـودانية هـي مكتبـة الأدب الصـوفي السـوداني، حيـث كتـب السـادة السـمانية مئـات الكتـب في المجـالات المختلفـة في الطريقـة، أسرارهـا وأورادهـا وتاريخهـا وإشـعارها. هـذه الطريقـة مـن أكثـر الطـرق اعتـماداً عـلى التأليـف وبـين أيدينـا قائمـة مـن مؤلفـات الشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـماني حـوالي ١٦ مؤلفـاً منهـا رسـالة في علـم الكيميـاء (مخطـوط) وكتـاب في الـبروج الإثنـى عـشر والصـلاة اللاهوتيـة[2]. هكـذا بقـى التصـوف في السـودان مرتبطـاً بالبيئـة ولم يرتبـط بالتصـوف في العـالم الإسـلامي إلا بعـد قـدوم الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير مـن المدينـة المنـورة في (١١٨٠ هــ – ١٧٦٦م) ودخـول الطريقـة السـمانية السـودان. تذهـب الباحثـة رابعـة محمـد عثـمان إلي حقيقـة أن ظهـور الطريقـة السـمانية في السـودان قـد سـاهم إسـهاما مقـدرا في أثـرى الفكـر الصـوفي والأدبي واللغـوي في البـلاد عقـب دخولهـا منـذ عهـد الفونـج إلي الوقـت الحـاضر تكتـب الباحثـة رابعة:»هكـذا نـرى مـدى مـا أحدثتـه الطريقـة السـمانية ومشـايخها مـن أثـر فكـري في التصـوف واللغـة والأدب في المجتمـع السـوداني منـذ عهـد الفونـج والي اليـوم، فالطريقـة السـمانية هـي طريقـة ذات فلسـفة صوفيـة خاصـة، لـذا كان مـن البديهـي أن يتأثـر أي مجتمـع تنتـشر فيـه بهـذه الفلسـفة الصوفيـة، ومـن هنـا نخلـص إلى أن السـمانية أثـرت إلى حـد كبـير في الفكـر الصـوفي السـوداني بمظهريـه الدينـي واللغـوي[3].

---

١ المصدر نفسه

٢ http://www.islam٤africa.net/ar/more.php?cat_id=١٨&art_id=١٠٥

أري أن المؤلفات أعلاه المنسوبة للشيخ محمد السمان هي من تأليف الشيخ أحمد الطيب البشير.

٣ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية- ص-١٠٢

ومــن الحرمــين الشريفــين نقــل الطــلاب والحجيــج الســوداني ودعــاة الطــرق الصوفيــة آثــار البعــث الصــوفي الجديــد إلى الســودان في العقــود الأخــيرة قبــل ســقوط ســلطنة الفونــج الإســلامية.كان مــن أول الدارســين قدومــا إلى الســودان الشــيخ أحمــد البشــير الطيــب (١٧٤٢-١٨٢٣) الــذي قــضى ســبع ســنوات في الحرمــين الشريفــين وأخــذ الطريقــة الســمانية مــن الشــيخ محمــد عبــد الكريــم الســمان ومنــذ عــام ١٨٠٠ بــدأ الشــيخ أحمــد البشــير يدعــوا إلى الطريقةالجديدةبــين أتبــاع القادريــة والشــاذلية في الســودان. وكانــت دعوتــه ودعــوة رصفائــه مــن دعــاة الصوفيةالجديدةمــن المجذوبيــة والختميــة أكثــر تشــددا في تطبيــق تعاليــم الديــن. فقــد ســعى إلى تعميــق الممارســات التعبديــة مــن ذكــر، وتأمــل وتفكــر في التصــوف. كســب الشــيخ أحمــد البشــير أتباعــا كثــر بــين أهلــه الجعليــين والكواهلــة والحلاويين واليعقبوبــاب. واشــتهر أحفــاده بالعلــم والاهتــمام بالتأليــف فيالتصــوف والعلــوم الإســلامية. وقــام الســمانية بــدور نشــط في نــشر الإســلام في منطقتــي أعــالي النيــل الأزرقوجنوبكردفــان، ومــن خــير روادهــم في هــذا المنشــط الشــيخ بــدوي أبوصفيــة (١٨٤٨) الــذي اســلم عــلي يديــه وإخوانــه جماعــات مــن النوبــة فيجنوبكردفــان. يــري حســن مكــي أن قــدوم الشــيخ أحمــد الطيــب بتعاليــم شــيخه الســمان التجديدية مــع مــدارس صوفيــة أخــرى ســاهمت في تكويــن الشــخصية الســودانية يــورد مكــي ويقــول: «ثــم دخلــت الهويــة الســودانية المختلطــة، في رحــاب التصــوف، مــع بــروز حركــة التصــوف المؤســسي، مــع القادريــة والشــاذلية والمجاذيــب والتجانيــة وجهــود الشــيخ أحمــد الطيــب البشــير الســماني»١.

لقــد ســاعدت الرحــلات التــي قــام بهــا أحمــد الطيــب إلى الأراضي المقدســة عــن طريــق مــصر أو مبــاشرة كــما في رحلتــه الأولى في تشــكيل وتعميــق البعــد الروحــي لشــخصية أحمــد الطيــب، وســاعدت عــلى تحقيــق القبــول لــه بــين العامــة والخاصــة في الســودان وأوجــدت أجــواء ســاهمت في تمكينــه مــن نــشر علمــه وتبليــغ رســالته الصوفيــة، وإيجــاد إتبــاع وأنصــار لــه، لقــد اســتطاع مــن خــلال هــذه الرحــلات اســتكمال بنــاء شــخصيته الدينيــة، وعمقــت معرفتــه بالإســلام، و أوصلتــه إلى معرفــة علميــة فائقــة تجلــت في كتاباتــه العميقــة عــن الفكــر الصــوفي، والتــي غــيرة حيــاة الســودانيين وفهمهــم للتصــوف، وضعــت تيــارا جديــدا في الفكــر الصــوفي

النعقد بدار المركز حسن مكي/٣/ أسئلة الهوية والتجديد والاندماج القومي في السودان. * ورقة قدمتفي منتدى مركزالتنويرالمعرفي–الخرطوم–

السـوداني ينـزع الى فهـم وتفسـير قضايـا التصـوف الفلسـفية.[1]

أمـا بعـض الآراء أو الأفـكار الأخـرى عـلى شـاكلة (النـور المحمـدي) أو (وحـدة الوجـود) أو (وحـدة الشـهود) أو (الفنـاء) بألوانـه المختلفـة فقـد كانـت ضمـن ماجـاء بـه رواد الختميـة إلا أنهـا كانـت موجـودة سـلفا خاصـة بـين السـمانية.

وعـن الأثـر العلمـي للطريقـة السـمانية تـورد الباحثـة أمـاني محمـد العبيـد عبـد الرحمـن في رسـالتها المعـدة لنيـل درجـة الدكتـوراة مـن جامعـة الخرطـوم (٢٠٠٨) والتـي حملـت العنـوان Middle Class and Sufism: The Case Study of the Sammaniyya «Order Branch of Shaikh Al Bur'ai

مـا يـلي: «عـلى حـد قـول يوسـف بـدري فـإنً الطريقـة السـمانية هـي الرائـدة في تطـور اللغـة العربيـة السـليمة في السـودان. كانـت اللغـة العربيـة قبـل دخـول السـمانية السـودان غايـة في الضعـف كـما هـو وأضـح في طبقـات ود ضيـف الله. يعتقـد الباحـث أن أدب الشـعر الضخـم للطريقـة السـمانية بحاجـة إلى دراسـة متكاملـة»[2]

According to Yusuf Badri، the Sammaniyya tariqa is the pioneer in the development of proper Arabic language in Sudan.Before the introduction of the Sammaniyya in theSudan، proper Arabic language was very weak، as is clear inTabaqat Wad Dhayf Allah. The researcher thinks that thevast poetry literature of the Sammaniyya Sufi order needs tobe thoroughly studied. ويمكـن القـول أن الجـذور الفكريـة للعقـل الصـوفي السـوداني تعـود إلي السـيد أحمـد بـن إدريـس (١٧٥٠ - ١٨٣٧) والـذي تتلمـذ عليـه رواد الطريقـة الختميـة والإدريسـية والرشـيدية والصالحيـة، والسـيد عبـد الكريـم السـمان والمولـود بسـوريا[3] والـذي تتلمـذ عليـه مؤسـس الطريقـة السـمانية ، السـيد أحمد الطيـب البشـير والسـيد أحمدالتجـاني المولـود ١١٥٠ هــ - بالجزائـر والمتـوفي في ١٨١٥

١ طارق أحمد عثمان. الختمية والسمانية ودورهما في التداخل والتواصل في أفريقيا. جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص٤

٢ See Amani M. Obeid. Middle Class and Sufism: The Case Study of the Sammaniyya Order Branch of ShaikhAl Bur'ai. A Dissertation submitted for the fulfillment of the requirements of the PhD Degree in Political Science ، University of Khartoum May 2008. p.143

٣ الصحيح أن الذي ولد بدمشق هو الشيخ مصطفى البكري أستاذ السيد السمان الذي ولد بالمدينة المنورة.

ومـن الغريـب أن هـؤلاء الثلاثـة ، اجتمعـوا في الحجـاز وأخـذ بعضهـم مـن بعـض ، ودرسـوا مختـصر خليـل والرسـالة ومقدمـة ابـن رشـد وابـن عـربي ودالية البوصـيري ويمكـن القـول بـان السـيد أحمـد بـن إدريـس والسـمان والسـيد أحمدالتجـاني ومـن تبعهـم أبـو الحسـن الشـاذلي هـم أسـاس العقـل الصـوفي السـوداني ، وأن العقـل السـوداني مايـزال يـردد أورادهـم ويـزور فـاس وصابيـا في اليمـن والقاهـرة ودمشـق للتـبرك في مزاراتهـم ، كـما أن مصطلحـات الفكـر الصـوفي الرائجـة مثـل الخاتـم والغـوث والقطـب وسـيد الوقـت والمهـدي والحوليـات والأوراد والتسلسـل في البنـاء مأخـوذ مـن اجتهاداتهـم .

وفي كتابـه «حـادي العيـس» يذكـر الأسـتاذ الشـيخ أبـو الطيـب محمـد سرور الحفيـان (٢٠١٤) نقـلا عـن البروفسـور الحـبر يوسـف نـور الدائـم أن الأخـير قـال لأسـتاذه العلامـة البروفيسـور عبـد الله الطيـب أن الفصاحـة عنـد السـمّانية، الشـيخ الطيـب، الشـيخ عبـد المحمـود، الأسـتاذ محمـد شريـف، الأسـتاذ محمـد سـعيد العبـاسي، الشـيخ قريـب الله .... الـخ، فلـم يقـول شـيئا. يقـول الحـبر أن الدكتـور (عبـد الله الطيـب) لقينـي في اليـوم الثـاني فأشـار إلى أنًّ مـا قلتـه صحيـح، ولا سـبيل إلى إنـكار فصاحـة السـمّانية، فهـي مشـهودة، ولكـن ليسـت بوقـف عليهـم. ثـم أشـار إلى فصاحـة أهـل الشـمال عمومـا وختمهـم بأهلـه المجاذيـب١ .

يعتقـد الدكتـور يوسـف بـدري أن شـعر الطريقـة السـمانية بحاجـة لدراسـة كاملـة هـذا ماأكدتـه الباحثـة أمـاني محمـد العبيـد في رسـالتها «Middle Class and Sufism: The Case Study of the Sammaniyya Order Branch of ShaikhAl Bur'ai.

هذاالاعتقـاد كـما يـرى بسـبب أن شـيوخ السـمانية يتميـزون بالتآليـف الواسـعة. كل شـيخ سـماني عـلي الأقـل لديـه عـشرة كتـب ومجلـدات في الشـعر. عبـد المحمـود نـور الدائـم الـذي كتـب خمـس وثمانـون في المنهـج الصـوفي والشـعر يعـد مثـالا جيـدا. مديـح شـيوخ السـمانية عـبر السـودان يمثـل منطقـة بحـث لم تكشـف بعـد. هـذا مـرده أن الطريقـة السـمانية في السـودان تمثـل التوافـق بـين إسـلام العَـالِم والشـعبي٢. تنـاول

١ أنظر أبو الطيب الحفياني. حادي العيس. أبورسوة للكمبيوتر. الخرطوم ٢٠١٤م ص- ٢٥

٢ See Amani M. Obeid. Middle Class and Sufism: The Case Study of the Sammaniyya Order Branch of ShaikhAl Bur'ai. A Dissertation submitted for the fulfillment of the requirements of the PhD Degree in Political Science, University of Khartoum May

السمّانية في شعرهم موضوعات كثيرة تدعو إلى التربية والإصلاح وتهذيب النفس ومراقبة المولى عزّ وجل في السر والعلن. وقد نظموا أشعارا كثيرة يحثون فيها المريد على ملازمة الأذكار والأوراد والإكثار من ذلك. كما كان لهم شعرا ساعد كثيرا في نشر الإسلام والقرآن وكانت هذه الطريقة سهلة وبسيطة مثل قصائد الشيخ برير في شبشة التي كان يلقيها على الناس بلغتهم العامة فقد كان يقوم بإرشاد الناس وتسليكهم بطريقة محببة عن طريق الشعر وذلك في أوقات معينة١.

قدمت الطريقة ومنذ دخولها السودان عدداً كبيراً من الشعراء عُرف عنهم الإجادة والتمكين في امتلاك ناصية البيان العربي. والمتابع يجد أن هؤلاء الشعراء وجلهم كانوا خلفاء للطريقة نفسها أنهم ينتمون إلى حقب زمانية مختلفة. كان الشاعر المكاوي محمد بله (ت-١٩٤٣م) أولهم نظماً. وقد تميز شعر بعضهم بالفصاحة كما هو الحال عند الشيخ عبدالمحمود نورالدائم (١٨٤٥-١٩١٥) عبر ديوانه الشهير«شرب الكأس» والشيخ قريب الله الشيخ أبا صالح (١٨٦٦-١٩٣٦م) عبر ديوانه المتميز «رشفات المدام». والشيخ عبدالقادر الجيلي (١٨٧٨-١٩٦٥) صاحب «السير بالأرواح لا الأبدان». والشيخ الفاتح الشيخ قريب الله (١٩١٥-١٩٨٦م) وديوانه «سحب المواهب». والشيخ هاشم الشيخ عبدالمحمود (١٩٠٥-١٩٦٩م). والشاعر محمد سعيد العباسي (١٨٨١-١٩٦٣م). والشيخ محمد الصابونابي (١٨٩٨-١٩٨٤م). والشيخ برير ود الحسين (١٨٢٣-١٨٨٥) ومن قبله أستاذه القدوة الشيخ محمد توم ود بانقا (١٧٦٤-١٨٥١) والشيخ عبدالرحيم محمد وقيع الله (١٩٢٣-٢٠٠٥). والمتابع يجد أن الشيخ البرعي هو صاحب النصيب الأوفر الذي حظيت أشعاره بالدراسات الأكاديمية والبحوث والرسائل الجامعية وليس هذا في أوساط شعراء السمّانية بل وسط كافة شعراء الصوفية في السودان قاطبة. والشيخ محمد أحمد الشهير بالداتر (ت-٢٠١٢م) صاحب قصيدة «الدهر دهرنا». والشاعر الأمين القرشي (١٩٣٢-٢٠٠٩) عبر ديوانه «شذى الطيب في مدح الحبيب». والشاعر سيف الدين سليمان(١٩٦٠-) شاعر الطريقة السمّانية أم عيدان. والشيخ الجيلي أبوالدخيرة (١٩٦٨-)٢.

2008 p- 143

١ رابعة على عثمان. تاريخ الطريقة السمانية في السودان. رسالة ماجستير جامعة الخرطوم – كلية التربية– ١٩٩٦- ص- 67.

٢ عبد الجليل عبد الله صالح. الطريقة السمانية: المنهج، التاريخ والمستقبل. دار الراوي للنشر – 2019، ص 338



شكل ١ -٤ أشهر شعراء السمّانية

وهنالك اثرا سياسيا للطريقة السمانية تمثل الأثر السياسي للطريقة السمانية في ظهور الإمام محمد أحمد المهدي والذي انتمي إلي تعاليمها عبر الأستاذ محمد شريف نور الدائم (١٨٤١ -١٩٠٧) فقد ذهب إليه وامضي معه

سنين عددا، حقق فيها المكاسب الروحية والعلمية الهائلة والتي عبر عنها المؤرخ الدكتور محمد سعيد القدال (١٩٣٦- ٢٠٠٨) في كتابه « لوحة لثائر سوداني»:وكان جو أم مرح صوفيا خالصا، وفيه ألقى محمد أحمدبكل ثقل شخصيته وحيويتها، فهو إذا سار في طريق اندفع فيه حتى نهايته. فانغمس في الثقافة الصوفية التي كانت تذخر بها القرية، والتي أفاض في الحديث عنها البروفسير شبيكة. فقرأ « إحياء علوم الدين» للغزالي، و» الفتوحات المكية» لمحي الدين بن عربي، «والكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة» والنفحات الإلهية في كيفية سلوك الطريقة المحمدية». وتوغل في مؤلفات الشيخ أحمد الطيب البشير. وكانت تلك الكتب الصوفية تحل أمرا جديدا لم يألفه في المختصر والرسالة والجوهرة١. ويبدو أن فكرة المهدية قد ترسخت لديه بشكل عميق وأدرك تماما أن الطريقة السمانية لا غيرها هي من تحقق له ذلك، وعليه فإنه وبعد الخلاف الذي ظهر بينه وشيخه محمد شريف فإنه ظل ولمدة سبع سنين يتوق العودة إليها مدركا أن غايته لن تحقق إلا تحت ظل ادبايتها وتعاليمها وقد كان له الأمر حينما لجا إلي الشيخ القرشي ود الزين (١٧٧٤ - ١٨٨٠م) والشيخ القرشي كان من أبكار المؤسس الشيخ أحمد الطيب، فاستقبله وأتم له التأيد وأجازه شيخا في الطريقة السمانية. وبعدها أعلن دعوته التي كانت تحررية من الظلم الذي وقع على كاهل السودانيين من قبل الحكم التركي.

وعن خصائص ومميزات الطريقة السمانية عبر رائدها الشيخ أحمد الطيب بن البشير يكتب الدكتور أنس العاقب والذي خص الطريقة با اطروحة دكتوراة حملت العنوان: « الخصائصُ اللحنيةُ والإيقاعيةُ لموسيقَى الطرقِ الصوفيةِ في السودانْالطريقة السمانية أنموذجاً﴾ أطروحة دكتوراه. جامعةُ السودانِ للعلومِ والتكنولوجيا كليةُ الدراساتِ العُليا ٢٠٠٦.»

١ - جاءت الطريقة السمانية تحمل فكراً إصلاحياً وقف نداً للطرق التي سبقته وخاصة الطريقة القادرية التي شهدت في القرن الثامن عشر انقسامات كثيرة أضعفتها وأصبحت تلك الأفرع مستقلة بنفسها تماماً.

١ محمد سعيد القدال. الإمام المهدي- لوحة لثائر سوداني. الدار السودانية للكتب. ص- ٥٧- ٢٠٣م.

٢ - أتت الطريقة السمانية وقدمت فكرها وتعاليمها بأشكال مبسطة في الأوراد والأذكار وفي المعاملة الطيبة .

٣ - الشيخ أحمد الطيب البشير بشخصيته الصوفية الرفيعة التي لم يدانيه في مقامها أحد، أنموذجاً للمفكر والمصلح والمؤلف والمرشد.

٤ - اهلته ثقافته الإسلامية العالية في مجالي الشريعة والحقيقة لأن يبسط فكرة الطريقة السمانية بكل الوسائل الإقناعية فجذب إليه أعدادا لا حصر لها من المريدين والشيوخ الذين تركوا الطرق التي ينتمون إليها وسلكوا عليه الطريقة السمانية.

٥ - تمكن الشيخ أحمد الطيب البشير بسعة أفقه وفهمه للواقع السوداني أن يسودن الطريقة السمانية ويجعلها جاذبة ومتاحة لكل الناس فكان أول ما دعى إليه هو حرية البيعة من طريقة لأخرى وتناول الأوراد من مشيخات الطرق السمانية وواقعها المحلي.

٦ - كان الشيخ أحمد الطيب البشير يسعى إلى وحدة الفكر الديني.

٧ - كان الشيخ أحمد الطيب البشير واحد زمانه مكانة بين ألكمل من المرشدين (ولا أدل على ذلك أنه لم يحدث قط ... أن تخرج على أي شيخ سابق عدد من المشايخ مثل العدد الذي تخرج على يديه رضوان الله عليه، لا من حيث الكثرة فحسب ، ولكن من حيث الرفعة والسمو والأثر والتأثير فقد كان الشيخ منهم أمة وحدة ... أمثال سيدي الشيخ القرشي أو سيدي الشيخ التوم أو سيدي الشيخ البصير ... هذا فضلاً عن أبنائه من صلبه...).

٨ - وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ أحمد الطيب البشير لم يستخدم الشطح الذي كان سائدا في تقاليد الطريقة القادرية ولكنه استعان بطرائقها في الذكر والشفاء مع أن الشطح قد اشتهرت به طريقة اليعقوباب التي أسست مشيخة للطريقة السمانية في منطقة العمارة بالغرب من سنار وكان في الأصل مركزاً للطريقة القادرية.

٩ - كما لابد من إشارة مهمة استخلصها الباحث وأكدتها الروايات وهي أن غالب المشيخات التي تأسست في الجزيرة وكردفان وفي المناطق التي تقطنها قبائل أفريقية أو في المناطق ذاتها التي كانت تدين بالولاء الروحي للطرق القادرية قد استوعبتها المشيخات الطريقة السمانية وأهمها أخذ الشيخ محمد بن بانقا الطريقة السمانية على الشيخ أحمد الطيب بعد أن كان شيخاً قادرياً ولذلك صارت تقاليد الطريقة القادرية جزء من تعاليم وممارسات المشيخة السمانية وهذا ينطبق على مشيخة طابت عبدالمحمود التي تستعمل الشطح المتمثل في الذكر السرياني (الذي قيل أنه جاء من السماء الرابعة) وهو شطح موجود في الطريقة القادرية١* وقد أدخل الشيخ محمد التوم الذكر السرياني على الطريقة السمانية ويسمى الذكر السرياني ذكر الصيحة أيضاً.

أما جبال الأنقسنا التي تسكنها قبائل إفريقية صرفه فقد دخلتها الطريقة السمانية بواسطة الشيخ القرشى ود الزين والشيخ الصابونابى فقد كانت متأثرة جداً بالمزاج الأفريقي في الحيوية الإيقاعية وهذه الثنائية التي جمعت بين تعاليم الطريقة السمانية وتقاليد الطريقة القادرية هي التي صارت غالبة على المشيخات السمانية وخاصة مشيخة طابت التي أسسها الشيخ عبدالمحمود نور الدايم وإن بدا أنها تتمتع بأسلوب مميزيحتاج لبحوث مقارنة لباحثين متفرغين.٢

الأثر الاجتماعي

ولعل من أقوى مظاهر الاثر الاجتماعي للشيخ أحمد الطيب نجده كذلك اكثر وضوحا في نشاة وتاسيس الكثير من القرى والاماكن السكنية الكبيرة والتي يرجع تاريخ وفضل تاسيسها الى الابكار من تلاميذ الشيخ نفسه، وبفضل جهود احفاده وكذلك بفضل جهود الكثير من مشائخ الجيل الثاني ومابعده لمشائخ الطريقة، واذا ماذهبنا لاعطاء المثال نقول أن من اشهر هذه القرى والمدن:

١

٢ أنس العاقب حامد. الخصائصُ اللحنيةُ والإيقاعيةُ لموسيقَى الطرقِ الصوفيةِ في السودانْالطريقة السمانية أنموذجاً﴾ أطروحة دكتوراه. جامعةُ السودانِ للعلومِ والتكنولوجيا كليةُ الدراساتِ العُليا. 2006.ص 88/89.

طيبة الشيخ القرشي، أسسها الشيخ القرشي ود الزين تلميذ الشيخ أحمد الطيب.
طابت الشيخ عبد المحمود أسسها الشيخ عبد المحمود نورالدائم حفيد المؤسس.
طابت أسسها الشيخ السماني الشيخ البشير الشيخ نورالدائم حفيد المؤسس.
أم عيدان أسسها الشيخ السماني الشيخ البشير الشيخ نورالدائم حفيد المؤسس.
الشيخ البصير أسسها الشيخ أحمد البصير تلميذ الشيخ أحمد الطيب.
الصابونابي أسسها الشيخ عبد الله الصابونابي تلميذ الشيخ أحمد الطيب.
الشيخ طلحة أسسها الشيخ طلحة ود الحسين تلميذ الشيخ محمد توم ود بانقا.
ودهاشم أسسها الشيخ محمد ودهاشم تلميذ الشيخ محمد توم ود بانقا.
شبشة أسسها الشيخ برير ود الحسين تلميذ الشيخ محمد توم ود بانقا.
الكريدة أسسها الشيخ عمر تلميذ الشيخ برير ود الحسين.
الزريبة أسسها الشيخ محمد الشيخ وقيع الله تلميذ الشيخ عمر راجل الكريدة.
ريبا أسسها الشيخ النور ود عربي تلميذ الشيخ محمد توم ود بانقا.
حلة الشيخ الياقوت أسسها الشيخ الياقوت ابن الشيخ محمد بن الشيخ الامام قادر ولي تلميذ الشيخ النور ودعربي.

استمرارية النزعة التجديدية

ومدرسة الشيخ أحمد الطيب هي مدرسة العلم والعلماء بامتياز أخرجت لنا علماء ربانين وفقهاء متمكنين وحكماء عارفين وأبطال مجاهدين وأدباء وشعراء مخضرمين. انتهجوا نهج المجدد المؤسس للطريقة وساروا على سيرته ونشروا ارثه جامعين في دعوتهم بين الشريعة والحقيقة ومقربين أنوار الطريقة إلي الخليقة. ومن خلال المسيرة الطويلة للطريقة السمّانية ظهر جم غفير من الأدباء والشعراء والكتّاب من مشايخ الطريقة نفسها في داخل

السـودان وخارجـه، ظهـورا كانـت لـه إسـهاماته المقـدرة والرائـدة في نـشر أدبيـات وتعاليـم هـذه المدرسـة الربانيـة. فعـلى سـبيل المثـال في محيطهـا السـوداني المحـلي فقـط أعطـت السـمانية ومازالـت تعطـي مـن العلـماء والأدبـاء والشـعراء الكثـير. ولعـل مـن أقـوي شـخصيات الطريـق السـماني بعـد ظهـور الشـيخ أحمـد الطيـب بنزعتـه العلميـة التجديديـة يـأتي الأسـتاذ الشـيخ عبـد المحمـود نـور الدائـم حفيـد المؤسـس. وفي هـذا المضـمار مـا اسـتقرَّ عنـد الباحثـين مـن أن الأسـتاذ الشـيخ عبـد المحمـود بـن الشـيخ نـور الدائميعتـبر أقـوى شـخصيات الطريقـة السـمانية تجديـدًا وتأصيـلاً للمنهـج الصـوفي وأكثرهـا عطـاءً عِلميًّـا، إلى جانـب نـشره للطريقـة السـمانية في كافـة أنحـاء السـودان مـن خـلال تلاميـذه وأبنائـه وتلاميذهـم الذيـن يشـكِّلون غالـب المنتمـين إلى الطريقـة الطيِّبيَّـة السـمانية[1]. إذ يعتـبر الأسـتاذ الشـيخ عبـد المحمـود أول مـن أرخ ووثَـق للطريقـة السـمانية في السـودان، وبفضـل مؤلفاتـه بقيـت سـير أعـلام الطريقـة ومؤسسـيها محفوظـة، تناقلهـا الأجيـال جيـلا بعـد جيـل، كـما أن الأسـتاذ الشـيخ عبـد المحمـود قـام بجمـع وتنقيـح وتحقيـق وتحليـل وشرح وحفـظ مؤلفـات هـؤلاء الأعـلام في الطريـق السـماني، وزاد عليهـا مـن تأليفـه وتلخيصاتـه ومختصراتـه وتشـطيراته وتخميسـاته، ماجعلهـا في غايـة الرَوعـة والوضـوح يهنـأ بهـا كل طالـب علـم وباحث[2].ومـن مشـايخ الطريقـة السـمانية الذيـن أثـروا الحركـة الفكريـة الصوفيـة في السـودان الشـيخ قريـب الله أبـا صالـح، سـليل البيـت الطيبـي وهـو منشـئ الفـرع القريبـي السـماني بـأم درمـان. وقـد اسـتطاع الشـيخ قريـب الله بـما لـه مـن علـم وثقافـة دينيـة عاليـة أن يضيـف كثـيرا ليـس للطريقـة السـمانية فحسـب، بـل للفكـر الصـوفي عمومـا ولـه العديـد مـن المؤلفـات في هـذا المجـال[3]. ومـن شـخصيات الطريـق السـماني ذات التأثـير العرفـاني الشـيخ عبـد المحمـود الحفيـان (١٩١٩-١٩٧٣) صاحـب الوصيـة ونظـرات في التصـوف الإسـلامي. خطـا الشـيخ عبـد المحمـود الحفيـان خطـوات كبـيرة في اتجـاه ربـط التصـوف بالعلـم الحديـث، ومناقشـة بعـض قضايـا التصـوف بـما يتفـق وظاهـر الـشرع، وقـد عالـج العديـد مـن المسـائل التـي شـغلت أذهـان

١ عبد المحمود نور الدائم. المناقب الصغرى لسيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير. دمشق ٢٠٠٧. ص٤٦.

٢ المصدر نفسهص- ٤٢.

٣ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان. رسالة ماجستير – جامعة الخرطوم- كلية التربية -١٩٩٦- ص- ١٠٠.

الناس طويلا في بعض أمور التصوف الخاصة، والتي كان يتهرب من الإجابة عليها معظم زعماء التصوف الإسلامي. وقد ناقش هذه المسائل في كتابه « نظرات في التصوف مقدمة وتبيان»١. حينما قرأ كثير من علماء مصر والعراق وغيرها كتب الشيخ الحفيان ظنوه من خريجي الأزهر أو جامعات المشرق العتيقة، وجادوا في ذلك حتى ابنه الشيخ الجيلي ولكن كانت دهشتهم بالغة حينما تيقنوا بان هذا المؤلف الموسوعي لم يغادر طابت إلا نادرا. كان شيخ الجيلي يقول: (لقد منحت احدي الجامعات السودانية مشكورة الوالد الشيخ الحفيان درجة الدكتوارة الفخرية عن واحد فقط من كتب سلسلة نظرات في التصوف الإسلامي العشرة، ولو قرأوها العشرة لمنحوه بكل كتاب منها درجة الدكتوارة)٢.

ومن شخصيات الطريق السماني ذات التأثير القوي في مسيرة الطريقة في السودان، الشيخ السماني ود البشير (١٨٥٠-١٩٦٧م). مؤسس طابت شرق، وناشر تعاليم جده القطب الشيخ أحمد الطيب البشير، في مناطق شرق سنار وماجاورها من مناطق. كان منهج الشيخ السماني الذي اتبعه في نشر المنهج الصوفي السماني القادري مبسطاً ومتسقاً مع طبيعة السكان البدوية والرعوية، متخذاً من التراثِ القادري المبسط وسيلةً للتذكيرِ بالله والرجعى إليه. سعى سيدي الشيخ إلى نشرِ وتعميقِ مبادئَ العقيدةِ الإسلامية بطريقةٍ مبسطة أساسُها إلزام المريدينَ إتباعَ منهج خلقي وتعبدي خاص مع المداومة على قراءةِ أذكار وأورادِ الطريقةِ، وكانت درجة نجاحهِ في هذا المسعى اعتمدت اعتمادا كبيراً على ما يتمتع به رضي الله عنه وعنابه من معرفةِ بالله، وخلق ديني، وورعٍ، وزهدٍ، وسلطانٍ روحي، وكراماتٍ واستقامةٍ على الديَنِ.٣

ولعل أثر الشيخ السماني القوي ظهرت ثمرته أيضا بتأسيس منارة تمثل الإمتداد الطبيعي للاثر الروحي والاجتماعي الذي بدأه بتأسيس طابت شرق، أعني بها أم عيدان شرق سنار، والذي يقود ركبها الحفيد الوارث الشيخ

١ كمال بابكر عبد الرحمن. الطريقة السمانية في السودان- رسالة ماجستير- كلية الآداب جامعة الخرطوم- ١٩٧٦-ص- ٢١٣.

٢ عثمان البشير الكباشي. مقال منشور بعنوان الشيخ الجيلي طابت ... وهل في جناح بعوضة غناء؟-- ١٧-٨- ٢٠١٧

٣ عبد الجليل عبد الله صالح. الشيخ السماني الشيخ البشير «أبو النسيم». مطابع العملة السودانية. ٢٠١٥, ص ٧٧.

السـماني الشـيخ البكـري. فالطريقـة في مناطـق شرق سـنار والدنـدر تقـف الأن شـاهدا لمجاهـدات الشـيخ السـماني وهـي مـن دعامـات البيـت الطيبـي وامتـداد للمـد السـماني في البـلاد.

وفي أعقـاب توليـه خلافـة الطريقـة السـمّانية القريبيـة ظهـر البروفيسـور الشـيخ حسـن الشـيخ الفاتـح (١٩٣٣ -٢٠٠٥) كواحـد مـن أقـوى شـخصيات الطريـق السـمّاني. «أسـس الإمـام المجـدد البروفيسـور الشـيخ حسـن مدرسـة صوفيـة تجديديـة اسـتطاع فيهـا بنهجـه التربـوي الإرشـادي أن يجـذب الآلاف مـن طـلاب الجامعـات إلى دوحـة التصـوف بعـد أن اقتـصر التصـوف في فـترة مـن الزمـان عـلى كبـار السـن، وكان رضي الله عنـه يقـول لأبنائـه الطـلاب إن أورادكـم وأذكاركـم هـي موادكـم التعليميـة فاسـتطاع بذلـك أن ينشـئ جيـلاً متسـلحاً بسـلاحي العلـم والإيـمان ليحمـل هـم الدعـوة بـين جنبيـه ومواصـلاً لمسـيرة الأجيـال١». والملاحظ في السـودان أن شـيوخ الطـرق عـلى درجـات علميـة كبـيرة فبعضهـم أسـتاذ الجامعة ومنهـم مـن درس بلنـدن ويجيـد عـدة لغـات مثـل الشـيخ «حسـن الفاتـح قريـب الله» الـذي ألـف أكثـر مـن ١٠٠ كتـاب أسـهمت كثـيراً في المدرسـة الصوفيـة وأدبياتهـا، وطـورت مـن الفكـر الصـوفي نفسـه»٢. «قـد لعـب الشـيخ «حسـن الفاتـح قريـب الله» دوراً مؤثـراً في إدخـال الصوفيـة في الجامعـات وتغيـير الصـورة الذهنيـة التـي كانـت مأخـوذة عـن المتصوفـة بأنهـم مجـرد دراويـش، بالرغـم مـن أن درويـش درجـة متقدمـة في الصوفيـة٣. وكان الحسـن حفيـا بـكل مـا دفعـت إليـه مما كتبـت كـما كان كريـما بـما ظـل يرفـدني بـه مـن كتـب وأطروحـات تعلمـت منهـا الكثـير، إذ كان باحثـا يحسـن التدقيـق وكاتبـا يحـرص عـلى التجويـد وفقيهـا لايتزيـغ في الأحـكام ولا يقـضي في الأمـر الإ لـدى نـازل، والفكـر في جوهـره كـما يقـول المفكـرون فقـه نـوازل، والفقيـه الحـق هـو الـذي يبيـح السـعة في التأويـل ويتيـح الفسـحة في الاجتهـاد والإسـلام ديـن لا يقبـل الشـماتة وأمثـال هـؤلاء الفقهـاء يتفوقـون دومـا عـلى أنفسـهم٤.

---

١ http://www.hurriyatsudan.com/?p=١٥٨١٠٢

٢ تركي صقر. خواطر وذكريات افhttp://www.hurriyatsudan.com/?p=١٥٨١٠٢

ريقية. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠٩ – ص-٥٩

٣

٤ منصور خالد. كلمة ألقيت في تأبين الشيخ حسن الفاتح ٢٧ -مارس- ٢٠٠٦م

ومـن شـخصيات الطريـق السـمّاني ذات التأثـير والحضـور القـوي في المجتمـع السـوداني الشـيخ عبـد الرحيـم البرعـي (١٩٢٣ -٢٠٠٥). الشـيخ عبدالرحيـم بـن الشـيخ محمـد وقيـع الله البرعـي أحدأبرزشـيوخ الصوفيـةفي السـودان والعـالم الإسلامي.أسـس والـده الزريبـةفي عـام ١٩٠٠م وخلفـه البرعيـع ليسـجادة الطريقةالسـمّانيةفي سـنة ١٩٤٤م،قـام بإنشـاءأكثر من١٥ معهـدا لتدريـس القـرآن وعلومه،كماسـاعد فيالأعـمال الخيريةوقـام بتزويـج أكثـر مـن٥٠٠٠ شـاب وشـابة منحتـه جامعـةأم درمـان الإسـلاميةوجامعةالجزيرة الدكتـوراه الفخريـة١. ومما يذكر للشـيخ البرعـي وينـدر وجـوده عنـد غـيره هـو أنـه مؤلـف لشـعر مدائـح رصـين، فكثـير مـن إضرابـه مـن المشـايخ غالبـاً مـا يتخـذون شـعراء يؤلفـون المديـح النبـوي وينسـبونه لمشـيختهم فيقـال الشـاعر فـلان تلميـذ الشـيخ فـلان. لكـن البرعـي هـو مؤلـف مديـح مشـيخته بنفسـه، إلى ذلـك فـإن شـعر المديـح عنـده لا يقطـر ولا يمطـر غايـة في الأحـكام والجـودة والتدفـق يلامـس شـغاف القلـوب في سـيرورة قـل مـن حازهـا فيمـن سـبقوه وعـاصروه مـن مادحـي رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم٢. وفي كلـمات عـبر عنـه تركـي صقـر في كتابـه «ذكريـات وخواطـر افريقيـة» بأنـه شـيخ السـودان: «وفي الخرطـوم تكتشـف أن المدائـح النبويـة تمـلأ الشـوارع والإذاعـة والتلفزيـون وفي التاكـسي وحتـى في العربـات الخاصـة، ومـن أشـهرها مدائـح الشـيخ عبـد الرحيـم البرعـي المعـروف بشـيخ السـودان كلـه والـذي كان يقـف ببابـه الجميـع بـدءاً مـن الرئيـس حتـى المواطـن البسـيط»٣. الشـيخ البرعـي ليـس شـيخا لطريقـة صوفيـة فقـط.. إنـه دنيـا بأكملهـا ورمـزا جميـلا لـكل أشـكال الجـمال والحـب»٤. رجـل مـن طـراز فريـد في عصرنـا هـذا، رجـل ليـس بـه عـوج، جذبنـي نـور الصفـاء فيـه مـن أول وهلـة، نفعنـا الله بـسره»٥. الشـيخ البرعـي لم يكـن مـزارًا صوفيـا أو مقصـدًا روحيـاً بقـدر مـا كان نسـيجاً مـن فنـون الدعـوة الاجتماعيـة والثقافيـة بأرقـى صـوره، ومـا حـاز رجـل عـلى إجمـاع حـب أهـل السـودان مثـل الشـيخ عبـد الرحيـم البرعـي٦. هـو في علمـه لا يشـبه إلا الذيـن

١ محمدعبدالرحمنبعيو. الرحلة الحجازية. الناشر المكتبة الأزهرية- ٢٠١٢- ص- ١٤٢.

٢ عبد اللطيف البوني وعبد اللطيف سعيد. البرعي رجل الوقت - ٢٠٠٤

٣ تركي صقر. ذكريات وخواطر افريقية. دمشق ٢٠٠٩ — ص- ٦٣

٤ صحيفة أخبار اليوم ٢٤/ ٢/ ٢٠٠٥ ص٦٢

٥ الدكتورة بنت الشاطي

٦ الصحفي عثمان مرغني

وجدنـا آثارهـم في الكتـب[1].

نجـح شـيخ البرعـي في تأسـيس طريقـة مفتوحـة العضويـة، جذبـت إليهـا أعـداداً كبـيرة مـن المتعلمـين مـن الطبقـة الوسـطى. بـدأ حياتـه كرجـل ديـن (فكـي) تقليـدي و تدريجيـاً أصبـح ذائـع الصيـت بمقدراتـه غـير العاديـة عـلى الإتيـان بالكرامـات و عـلاج المـرضى و حـل المشـاكل القبليـة. خـلال الثمانينـات أصبـح مشـهورا و محجـة لأفـراد الطبقـة الوسـطى بقصائـد المديـح التـي أصبحـت تـذاع و تنـشر بواسـطة وسـائط الإعـلام وخـلال العشريـن عامـا الماضيـة أضحـت قصائـد المديـح- و هـي مكملـة لـلأوراد- تحتـل مكانـة مرموقـة في أجهـزة الأعـلام السـودانية. ألشـيخ البرعـى اسـتطاع أن يوجـد حلـولا فرديـة لمشـاكل الطبقـة الوسـطى. في أواخـر التسـعينات ظهـر شـيخ البرعـي كشـخصية قوميـة لهـا أواصر قويـة مـع معظـم السياسـيين السـودانيين في حكومـة الإنقـاذ أو في المعارضـة . الشـيخ البرعـي مـارس السياسـة ليـس كا سـياسي و لكـن كمصلـح اجتماعـي لـه خـلاوى عـدة تقـدم العمـل الطوعـي في آل بقـاع السـودان. تكمـن أهميـة شـيخ البرعيفـي انـه أسـتطاع أن يحـول أعـداداُ كبـيرة مـن الشـباب و متعلمـي الطبقـة الوسـطى، المثقفـين و المهنيـين و موظفـي القطـاع العـام و الخـاص إلى التصـوف. الطبقـة السـودانية الوسـطى لم تحـظ بدراسـة كافيـة ، و في حالـة السـودان ولـدت الطبقـة الوسـطى في العهـد الاسـتعماري . هـذه الحقبـة أوجـدت بـذور أزمـة هويـة في الطبقـة الوسـطى نتجـت مـن أنهـا الطبقـة التـي خلقـت بواسـطة الاسـتعمار و تعاونـت معـه وهـى نفـس الطبقـة التـي قـادت التحـرر الوطنـي مـن الاسـتعمار . هـذا الوضـع خلـق للطبقـة الوسـطى السـودانية أزمـة هويـة منـذ البدايـة. ممـا نتـج عنـه ضعفهـا و انقسـامهاأطبقة رائـدة سياسـيا. الشـىء الـذي جعلهـا منقسـمة عـلى نفسـها بـين الأفنديـة و أصحـاب العمامـات، منقسـمة بـين القـوى الطائفيـة الأنصـار و الختميـة و بـين دعـاة الشريعـة و العلمانيـة[2].

ومـن شـخصيات الطريـق السـماني والـذي كان ومـازال يلعـب الـدور الأكـبر في خدمـة الإسـلام والمسـلمين الشـيخ محمـد أحمدأبوعـزة (١٩٢٦-) مـا يميـز

---

١ صحيفة الصحافة السودانية – ٢٠٠٥/٢ ص- ٣٢٠ – سيف الدين الدسوقي
٢ أماني - ص- ٦

مسيد السمّانية في هذا المكان القصي من شمال كردفان (منطقة أم عشرة) انه قائم علي تدريس القرآن الكريم والفقه المالكي. ومنالخلواتالكبيرةخلوة الشيخمحمدأحمدأبوعزة. فيولايةشمالكردفان،وقدخرجتآلافمنالحفظة،وبها الآنما يقاربالستةآلافمنالطلاب١.

يعد الشيخ الدكتور عبد الجبار المبارك (١٩٤٥- ٢٠٠٣) وأحد من اجل رجال الطريقة السمانية حيث كانت له إسهاماته العلمية المتعددة المكتوبة والمسموعة والمرئية في العلوم الإسلامية وفقه الطريقة.

وفي جبل الأولياء: قمة للسمانية سمقت وطالت وطابت، و استقرت بقرية الروضة، الشيخ الياقوت وأبو الشيخ محمد وجده الشيخ مالك وجد أبيه الشيخ الإمام، أخذوا الطريق السماني عن الشيخ محمد نور راجل ريبه عن الشيخ التوم ودبانقا، أقاموا المساجد وعمروا الخلاوي وحفظ القرآن على أيديهم خلق كثير، و لهم في العلاج الروحي ذراع وباع ولهم تفتح ودراية بعلوم العصر ومقتضياته، أسسوا الزوايا والخلاوي وخاطبوا الناس بوسائل التقانة الحديثة٢.

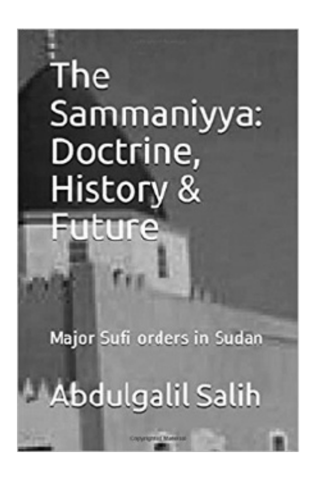
وبتوفيق من المولى عز وجل فقد قمت بنشر مجموع خمس كتب باللغة الانجليزية وقفت شاهد على استمرارية النزعة العلمية والتجديدية للطريقة السمانية، وقد جاءت على النحو التالي:

The Sammaniyya: Doctrine History & Future: Major Sufi orders in Sudan First edition
Available on: https: / /www.amazon.com /gp / product /1547001887 /ref=dbs_a_def_rwt_hsch_vapi_taft_p1_i7
Also on: academia.edu
https: / /www.academia.edu /35274273 /The_

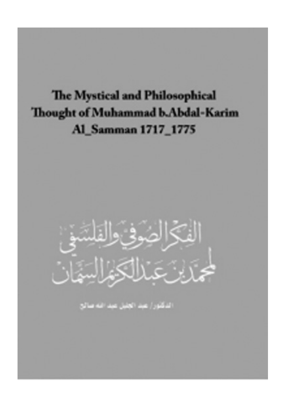
١ المصدر نفسه ٥٤.

٢ عبد الرحمنأحمد عثمان. الدرة الثمينة في أخبار الرحلة إلى مكة والمدينة إفادات وفوائد في طريق الحج للشيخ عبد المحمود. عمل بحثي قدم لمؤتمر طرق الحج في إفريقيا متوفر علي الرابط http://publications.pdf.iua.edu.sd/iua_conference/alhaj/book٥

Samm٪.C481٪.niyya_Doctrine_History_and_Future
Also on: internet archive
https: / /archive.org /details /TheSammaniyyaDoctrineHistoryAn dFuture

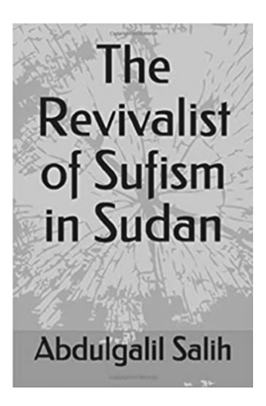


The Mystical and Philosophical Thoughts of Muhammad b. Abd al–Karim al–Samman Paperback – November 20أ 2017
On Amazon: https://www.amazon.com/gp/product/1979927588/ref=dbs_a_def_rwt_hsch_vapi_taft_p1_i0

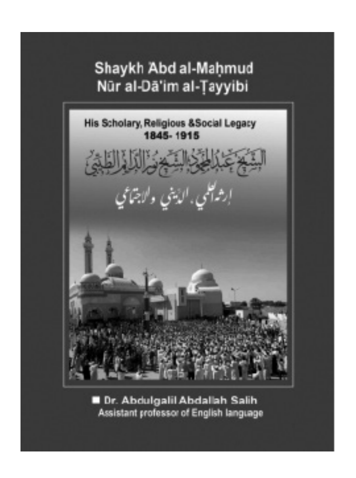


3-The Revivalist of Sufism in Sudan (English) Paperback – September 30, 2018
On Amazon:

https: / /www.amazon.com /gp /product /1727685873 / ref=dbs_a_def_rwt_hsch_vapi_taft_p1_i3

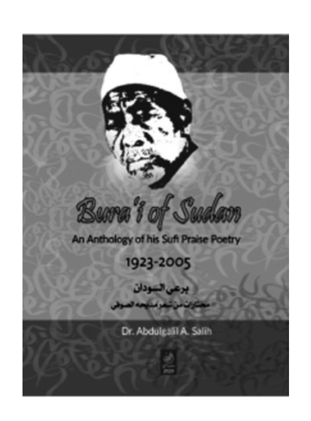


4-Shaykh Abd al-Mahmud Shaykh Nur al-Daim al-Tayyibi



On internet archive
https://archive.org/details/shaykh-abd-al-mahmud-shaykh-nur-al-daim-al-tayyibi-pdf

On academia.edu
https://www.academia.edu/43647581/Shaykh_Abd_al_
Mahmud_Shaykh_Nur_al_Daim_al_Tayyibi_pdf_
5-Bura'i of Sudan: An Anthology of his Sufi Praise Poetry 1923-
2005
On Amazon:



في ظل التطور التكنولوجي الذي يعيشه العالم اليوم أصبحت الشبكة العالمية (الانترنت) من أهم وسائل الاتصال وبث الأفكار والآراء والدعوة إليها، لتمتع هذه الوسيلة بميزات عالية ورائعة لا تكاد توجد في غيرها من الوسائل ألبته، إذ أن هذا الميدان قد صار سهل التناول، خصب المرتع، عديم القيود، واسع الانتشار، فلا عجب أن نجد كل الأطياف، وجميع الفرق، وكافة أصحاب المناهج يتجهون إلى هذا الميدان، يتنافسون بغية السبق في وضع أقدامهم فيه ، واستحواذهم على عقول أكبر قدرٍ ممكنٍ من روّاده[1]

اتجهت الطرق الصوفية بما فيها السمانية بإنشاء صفحات عبر الشبكة العنكبوتية؛ لخلق نوع من التواصل بين شريحة الشباب، وحدوث ألفة وتقارب بين الطرق الصوفية.

ومن مظاهر التجديد في الطريقة السمانية ان مدرسة الشيخ احمد الطيب

١ http://www.alsoufia.net/main/٣٩٣٤-١-%D٨%D٨%AF%B١%D٨%A٧%D٨%B٣%D٨%A٩-%D٨%B٩%D٩%A٦-%D٨%A٧%D٩-%D٩%A٤%D٩%A٥%D٩%A٨%D٨%A٧%D٩%A٢%D٨%B٩-%D٨%A٧%D٩%A٤%D٨%B٥%D٩%A٨%D٩%A١%D٩%D٨%AA%A٩-%-D٩%A١%D٩%AA٨-%

بـكل افرعهـا ومختلـف مواقعهـا الجغرافيـة كانـت قـد اسـتفادات مـن الخدمـة الاليكترونيـة التـي اتاحتهـا الشـبكة العنكبوتيـة. ولعـل مـا اتجهـت إليـه هـو بمثابـة تجديـد لوسـيلة الخطـاب الدعـوي التـى اقتضتـه ضـرورة الوقـت، والـذي في خاتمـة المطـاف يلقـي بظلالـه نحـو الاهتـمام الاكـبر في اعطـاء مزيـد مـن الاهتـمام بالمـادة العلميـة. وبالمسـح الـذي اجريناه فـان لافـرع الطريقـة نشـاط مشـهود خاصـة عـلى منصـات التواصـل الاجتماعـي ال Social media ولعـل القاسـم المشـترك لـكل هـذه الافـرع هـو ان لديهـا صفحـة عـلى الفيـس بـوك والبعـض لديـه حسـاب عـلى قنـاة اليوتيـوب والبعـض منهـا لـه نشـاط عـلى تويـتر والبعـض لـه حسـاب موقـع اليكـتروني.

ونلحـظ اسـتفادة مشـيخة السـمانية بطابـت وكذلـك مشـيخة السـمانية الزريبـة في رفـع كثـير مـن المـادة الورقيـة عـلى موقـع Google books و موقـع Internet archive واسـتفاد شـخصي مـن رفـع كتـب خاصـة بالطريقـة السـمانية في مواقـع Internet archive، Scribd ومـوقـع Academia.edu. وكذلـك موقـع flickr للصـور و خدمـة الصوتيـات عـلى موقـع Soundcloud.

لاسـتمرارية التجديـد في الطريقـة ومـن أجـل مسـتقبل واعـد كذلـك لابـد مـن الاسـتفادة مـن الانترنـت مـن خـلال الزيـادة في انتشـار المواقـع الإلكترونيـة في الشـبكة العنكبوتيـة الدوليـة كـما لا يخفـى عـلى الجميـع عظـم الـدور الكبـير والمنتظـر لهـا في تيسـير نـشر كل مـا يتصـل بالطريقـة مـن كتـب ومدونـات ونـشرات ومناقشـات واسـتعراض شـخصيات ومنتديـات وملتقيـات واحتفـالات وتوثيقـات، وأيضـا لا بـد مـن أخـذ زمـام المبـادرة للاسـتفادة من المسـاحة الواسـعة التـي أتاحتهـا شـبكات التواصـل الاجتماعـي مـن شـاكلة Twitter، Filkr، Vemo، Youtube، WhatsApp، Facebook وتوظيفهـا لخدمـة شـؤون الطريقـة عامـة وكذلـك لابـد مـن الاسـتفادة مـن خدمـة الكتـاب المسـموع Audiobook الـذي يعمـل عـلى تحويـل المـادة المكتوبـة إلي مـادة مقـروءة، علـماَ أن تـراث الطريقـة في هـذا المنحـى غنـي بالمـادة المفيـدة التـي يمكـن أن تفيـد إنسـان هـذا العـصر.[1]

ومـن خـلال تجربتـي المتواضعـة والقليلـة في محاولـة ترجمـة بعـض تـراث الطريقة

[1] عبد الجليل عبد الله صالح. السمانية مرجع سابق،ص ٣٧٠.

السمانية إلى اللغة الانجليزية عرفت مدى أهمية اللغات الأجنبية كنافذة مهمة من خلالها يمكن الإطلال بأدبيات وإرث الطريقة إلى الآخر ، والذي وجدته من خلال تفاعله مع ما كتبت من مادة. علما بأن تراث الطريقة غني بالجياد الحسان من المؤلفات في كافة ضروب المعرفة الإسلامية والصوفية والأدبية . ذلك بشهادة المؤرخين والباحثين الأكاديمين فإن أكبر مكتبة علمية بالبلاد هي المكتبة السمانية. ومن هنا تاتي أهمية قيام مركز بحثي خاص بالطريقة، تكون إحدى أولوياته ترجمة مؤلفاتها إلى اللغات الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية لغة الخطاب الكوني الآن .

معاصرو الشيخ أحمد الطيب

ومن أشهر الذين عاصرو الشيخ أحمد الطيب من الأولياء:

١. الشيخ أحمدالدرديري مجدد الطريقة الخلوتية (١١٢٧ - ١٢٠١ ه)

هو أحمدبن محمد العدوي المالكي، وشهرته أبو البركات، وطريقته تسمى الدرديرية والسباعية أيضا نسبة إلي تلميذه أحمد السباعي المدفون معه في ضريحه بمسجد القورية من إحياء القاهرة القديمة، وهي إحدى الطرق الخلوتية وكان الدرديري من كبار شيوخها في مصر، وقيل انه مجدد الدين على رأس المائة الثانية عشرة، وله من المصنفات العديدة في علوم المعاني والبيان والفقه والعقيدة. ومن أثاره المكتوبة:

أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك.

فتح القدير في شرح مختصر خليل.

وتحفة الإخوان في علم البيان[1] .

٢.الشيخ خالد بن أحمد بن حسين الشهرزوري (١١٩٣- ١٢٨٢ ه)

أبو البهاء ضياء الدين خالد النقشبندي المجدد العثماني – تميزا له عن أحمدالسرهندي المجددي الهندي (٩٧١– ١٠٣٤ ه) من أقطاب النقشبندية،

[1] قمر الدولة زين العابدين - رسالة في الحكم الطيبية - ٢٠٠٣، ص- ٣٣

وهـو الـذي بـشر بـه في البـلاد العربيـة، ولـد في سـنة (١١٩٠ ه) بقصبـة قـرة واغ بالقربمانيـة وهاجـر إلي بغـداد في صبـاه، ثـم رحـل إلي الشـام في أيـام داؤود باشـا والي العـراق سـنة (١٢٢٨ ه)، واسـتوطن دمشـق، وبنـى بهـا مسـجدا، وأصلـح الكثـير مـن الجوامـع المندرسـة ومـات بهـا سـنة (١٢٤٢ ه) مصابـا بالطاعـون.

ومـن وصايـاه: أوصيكـم وآمركـم بشـدة التمسـك بالسـنة السُـنية، والإعـراض عـن الرسـوم الجاهليـة والبـدع ... ولا تداخلـوا الملـوك والأغـوات، ولا تغتابوهـم، ولا تسـبوهم، وادعـوا لهـم بالصـلاح، ولا تدخلـوا الطريـق أحـدا منهـم، ومـن أعوانهـم، ولا مـن التجـار الجشـعين، ولا العلـماء وطلبـة العلـم الانتهازيـين ... الخ[1]

٣- الشيخ أحمد بن إدريس الفأسي (١١٧٢ -١٢٥٣ ه)

مـن معـاصري الشـيخ أحمـد الطيـب، ويكـبره الأخـير سـنا، وتمـت اللقيـا بينهما في حجـة عـام (١٢٢٤ ه - ١٨١٠)، ولقبـه أبـو العبـاس مؤسـس الطريقـة المحمديـة الأحمديـة، وتشـتهر في اليمـن والحجـاز ومـصر والشـام والهنـد و حضرمـوت والسـودان وجبـوتي والمغـرب وجـاوة وليبيـا والصومـال. كانـت ولادتـه في ميسـور مـن قـرى فـأس بالمغـرب، وبهـا نشـأ، ثـم تتلمـذ عـلى الشـيخ عبـد الوهـاب التـازي الـذي لازمـه وأخـذ عنـه الطريـق، وارتحـل إلي مـصر حيـث اسـتقر بهـا مـدة أربـع عـشرة سـنة، ثـم عـاد إلي مـصر، وأقـام بالزيتونـة مـدة خمـس سـنوات، وعـاد إلي مكـة وأقـام بهـا اثنتـي عـشرة سـنة، ثـم انتقـل إلي اليمـن (صبيـا) وأقـام بهـا تسـع سـنوات، وبهـا تـوفى، ومـن اجـلَ تلاميـذه:

محمد السنوسي – صاحب ليبيا.

وعثمان المراغنة في مصر والسودان والحجاز.

والشيخ المجذوب – صاحب سواكن.

و إبراهيم الرشيد . وطريقته مزيجا من الشاذلية والنقشبندية.

---

[1] المصدر نفسه ص- ٣٣

ينتمـي الشـيخ أحمـد الطيـب لـذات الحقبـة الزمنيـة، التـي أنجبـت الرمـوز الكبـار للتصـوف المؤسـس السـوداني أحمـد بـن إدريـس المتـوفى ١٨٣٧م والميرغنـي الكبـير المتـوفى ١٨٥٢م والسـيد أحمدالتجـاني المتـوفى ١٨١٥م، ولكـن الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير ينتمـي لأرومـة سـودانية وهـي قبيلـة الجوامعـة، بينـما ينتمـي أقرانـه إلى طائفـة الأشراف السيد الميرغنـي مـن الحجـاز وابـن إدريـس وأحمدالتجـاني مـن المغـرب والقواسـم المشـتركة بينهـم هـي:

تأثـر أربعتهـم بالفكـر الصـوفي عـلى الأخـص المدرسـة الشـاذلية والتـي أصبحـت أورادهـا زادا للأربعـة، كـما تأثـر أربعتهـم بتعاليـم الطريقـة الخلوتيـة المحملـة بالمـزاج العلمـي والروحـي لآسـيا الوسـطى.

ثانيـا هنـاك مـن الإشـارات مـا يفيـد معرفـة بعضهـم بعضـا، حيـث التقـوا في الحجـاز واسـتفاد الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير مـن إقامتـه الطويلـة في الحجـاز مـع أسـتاذه الأسـاسي محمـد عبـد الكريـم السـمّان (١٧١٨/ ١٧٧٥) الـذي كان متشـبعا بتعاليـم ومسـالك الطريقـة الخلوتيـة ولكنـه كذلـك التقـى بابـن إدريـس وتلامذتـه الميرغنـي والسـنوسي، كـما أن السـيد أحمدالتجـاني الـذي وصـل الحجـاز في حـوالي عـام ١٧٧٢م، التقـى بعبـد الكريـم السـمّان وأخـذ منـه. بينـما وصـل الشـيخ أحمـد الطيـب إلى الحجـاز عـام ١١٧١هــ/ ١٧٥٩م.

تميـز أربعتهـم بمعرفتهـم التامـة للغـة العربيـة وآدابهـا، كـما تميـزوا بالمقـدرة عـلى تطويـع اللغـة شـعرا وسـجعا ونثـرا بالإضافـة إلى مقدراتهـم القياديـة الملهمـة السـاعية لتوحيـد كلمـة المسـلمين وتجديـد الديـن حسـب رؤيتهـم وتكييفهـم الصـوفي[1].

التقـى أحمـد الطيـب البشـير وأحمـد بـن إدريـس في كثـير مـن قضايـا التصـوف، فهـما قـد عـاصرا حركـة البعـث الإسـلامي في مكـة، وشـاهدا نشـاط الطـرق الصوفيـة، والتقيـا في الأخـذ عـن القادريـة والنقشـبندية والخلوتيـة. وكـما أجـاز أحمـد بـن إدريـس الميرغنـي والسـنوسي في هـذه الطـرق وغيرهـا فـان أحمـد الطيـب البشـير أخذهـا عـن أسـتاذه محمـد عبـد الكريـم السـمان، بالإضافـة إلي الطريقتـين

[illegible] دراسة مقارنة بين عثمان دان فودي في صكتو

الانفاسية والاسمائية. وهاتان الطريقتان نرى في أوراد أحمد بن إدريس وادعيته اقترابا منهما، حيث يلزم مريديه بترديد التهليل الكبير في كل لمحة ونفس كما في الطريقة الانفاسية، وكذلك الأسماء الحسنى التي يرى (الكون وما فيه من مظاهر لها). والتقى مؤسسا الطريقتين في إطار المدرسة الشاذلية عند ابن عطاء الله السكندري حيث اخذ أحمد بن إدريس عنه فكرة إسقاط التدبير في أمر الرزق كما نسج الشيخ أحمد الطيب حكمه على منواله[1]. وإذا كانت ثمة قضايا مشتركة بين كل الصوفية، وتبعها الاثنان، فأنهما توسعا في بعض المسائل مثل الحقيقة المحمدية التي تعتبر عندهما طريقا موصلا للمعرفة بشرط إتباع الشريعة، وخوض بحر المحبة والاستقامة، وصحبة شيخ عارف موجه. كما التقى الاثنان في دائرة ابن عربي عند وحدة الشهود، واشترطا على المريد تطهير النفس، والتخلص من الأغيار.

ونختم هذا بالإشارة إلى أن ثمة علاقة بين أتباع الطريقتين يعكسها بعض الروايات، حيث يرد في المناقب لقاء أحمد الطيب البشير وأحمد بن إدريس في مكة ومحاورتهما في بعض المسائل اللغوية، ويردد أتباع أحمد بن إدريس إشارة الشيخ أحمد الطيب إلي قرب ظهور إبراهيم الرشيد، وحث الناس للأخذ عنه، كما أشار عبد الله أبو المعالي إلي مكانة أحمد الطيب البشير الذي انتسب، أي أبو المعالي إلي طريقته قبل اتصال، والأخذ عنه[2].

٤- الشيخ أحمد بن محمد المختار الشريف التجاني (١١٥٠- ١٢٣٠هـ)

هو أحمد بن محمد المختار الشريف التجاني أبو العباس شيخ الطريقة التجانية بالمغرب، كان فقيها مالكيا، عالما بالأصول مليء بالأدب والتصوف والمواعظ، أقام بفأس وتلمسان وحج سنة (١١٨٦ هـ)، والتقى بأحمد بن عبد الله الهندي من أقطاب مكة، فأشار عليه بملاقة الشيخ القطب محمد السمان، واخذ عليه أحزاب الشاذلي، ووظيفة الزروق، ودلائل الخيرات والدرر الأعلى[3].

---

١ يحيي محمد إبراهيم. مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان. دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣، ص ٣٢٣

٢ المصدر نفسه ٣٢٤

٣ المصدر نفسه - ص- ٣٤

ثناء العارفين

وعـن ثنـاء العارفـين عـلى الشـيخ أحمـد الطيـب يذكـر الأسـتاذ الشـيخ عبـد المحمـود نـور الدائـم في أزاهـير الريـاض (١٩٥٤) قائـلا: «أعلـم أن الشـيخ رضي الله عنـه لمـا ظهـرت للنـاس شـموس عـلاه، و سرى في قلـوب العالمـين حبـه و هواه، و فـاض مـن ريـاض عرفانـه في بقـاع الأرض شـذاه، و صـار فريـدا تهـرع إليـه الفحـول، و تـضرب إليـه أكبـاد الإبـل مـن الجهـات لأخـذ الطريقـة و الوصـول. قـد أعلـن بالثنـاء عليـه مـا سـنذكرهم مـن الأعيـان و الأوليـاء أهـل الشـأن، فمـن ذلـك مـا روى عـن الـولي الربـاني الشـيخ أحمدالمكاشـفى البتلابـى رحمـه الله تعـالى عنـد اجتـماع مولانـا البشـير بـن مالـك بـه بالكندفـيرة، و قصـة الرؤيـا التـي رآهـا و جوابـه لـه بقولـه: يخـرج منـك ولـد تكتحـل بـه بصائـر جميـع أهـل الجهـات. و مـن ذلـك قـول القطـب الغـوث سـيدي الشـيخ محمـد السـمان رضي الله تعـالى عنـه: عـلى رأس السـبعين مـن عمـرك سـتصير قدمـك عـلى رقبـة كل ولى لله تعـالى، و مـن ذلـك قـول العلامـة الأمـير المـصري رحمـه الله تعـالى لمـن سـأله عـن مقـام الشـيخ المترجـم و عـن علمـه و معارفـه: إن مـا بـين علمكـم و علمـه كـما بـين السـماء و الأرض.

أخـبرني محمـد بـن البشـير السروراىـى عـن شـيخه الشـيخ الطريفـى ابـن الشـيخ يوسـف العركـى رحمـه الله تعـالى، قـال: سـمعت والـدي كثـيرا مـا يقـول: مـا أبدت الأيـام كالشـيخ أحمـد الطيـب، و قـد نهانـا رسـول الله صـلى الله عليـه و سـلم عـن إسـاءة الأدب معـه، فمـن أسـاء معـه الأدب لم يفلـح أبـدا. و أخـبرني أيضـا بعـض مـن التقـى بـه أن بعضـا مـن العركيـين عتـب عـلى رجـل منهـم لأجـل أخـذه الطريقـة عـلى الأسـتاذ المترجـم، و كان ذلـك بحـضرة الشـيخ يوسـف قـدس سره، فقـال لهـم: أمـا الشـيخ يوسـف هـذا فـلا إنـكار في ولايتـه، و أمـا سـيدي الشـيخ أحمـد الطيـب فبحـر لا سـاحل لـه، فضحـك عنـد ذلـك الشـيخ يوسـف، و قـال: صدقـت ثلاثـا[١].

و كان العلامـة الشـيخ أحمدولـد عيسـى الأنصـاري رحمـه الله تعـالى كثـيرا مـا يرسـل بعـض تلامذتـه لأخـذ الطريقـة عليـه و الانتظـام في سـلكه، و ممـن أرسـله

١ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض -

إليه و أخذ طريقته و انتفع بها الشيخ محمد ولد على ولد غلام الله الركابى، و الفقيه النخلي ولد مكي، و الفقيه بدوى ولد أبى صفية، و الفقيه خوجلى ولد حتيك، و العلامة محمد الأزرق، و الفقيه أحمدولد الشيخ ولد عبد الدافع الحميدانى، و الفقيه إبراهيم المفتى و لكن بمكاتبة، و غيرهم. و قد أرسل الأستاذ المترجم قدس سره كتاب حكمه إلى الفقيه أحمدولد عيسى المذكور، فلما قرأ منه هذه الحكمة، و هي قوله: (أول المقامات في طريق أهل الله: التوبة لله، و التزام طاعة الله بخوف الله، و الصبر على مراد الله، و الزهد فيما سوى الله) قال: لله در الشيخ من إمام عارف، كنا نظن قبل هذا أن الزهد انتهاء المقامات. ثم كتب على ظهر كتاب الشيخ كتابا و أرسله إليه، و قال فيه من بعد كلام مضمونه الثناء على كتاب الحكم: إنه «جمع فأوعى».

و كان القطب النفيس، السيد أحمدبن إدريس قدس سره يقول: من منة الله تعالى على وليه الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، أنه منذ فتح عليه ما تخلف عن الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم، لا حيا و لا ميتا. و كان يقول إنه من الأفراد. و كان العارف بالله تعالى السيد محمد عثمان الميرغني قدس سره، يقول: ما اشتمل هذا الزمان على أعف و لا أزهد و لا أرشد و لا أمينا على الأسرار كالشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه. و سأله بعض تلامذته عن مقام سيدي الأستاذ المترجم قدس سره، فقال أما سابقا فقد رأيته في الحضرة كبير الأوتاد، و أما الآن فلا يعلم مقامه إلا الله تعالى. و أخبرني ذلك السائل، و هو الخليفة الجزولى بن إدريس الجعلى: أنه مدح سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه بقصيدة في عهد شيخه المذكور نظير ما كان يسمعه منه من حميد الثناء على الأستاذ المترجم. منها قوله:

أيا طيب الأخلاق بل أنت طيب** بطيبك طاب الروح و العقل والجسد

و كان العارف بالله تعالى السيد الحسن الميرغني رضي الله عنه يقول في حق الشيخ المترجم: لا يوجد اليوم على ظهر البسيطة و لا باطنها في كافة القطر السوداني مثله، و لا أمثل إرشاده إلا بإرشاد سيدي الشيخ عبد القادر الجيلانى رضي الله عنه. و أخبرني تلميذه محمد ولد عمر الرفاعى، سمعته يقول: لما زرت سيدي الشيخ رضي الله عنه وجدت عند ضريحه ملائكة لا

يحصون عددا.. و أخبرني أيضا تلميذه الفقيه مدني ولد عبد الصادق الهوارى قال: رأيت سيدي الحسن الميرغني قدس سره عندما زرت معه مرة سيدي الأستاذ الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، قابضا بيديه على صدره أمام ضريح الشيخ و يبكى و يقول بأعلى صوته: مدد يا أستاذ. و حكي الرجل الصالح الفقيه المصطفى ابن الفقيه الأمين وقوع مثل ذلك منه[1].

و كان سيدي الحسن قدس سره يكثر من زيارة الشيخ و الثناء عليه و التأدب عند ضريحه، و يعزى نفسه إليه في الطريقة السمانية، و ذلك لأنه أخذها على مولانا العارف بالله تعالى الشيخ حسيب بن إمام المغربي تلميذ الأستاذ المترجم، كما هو مذكور في مناقب الفرد السيد الحسن المذكور، و قد رأيته سنة ألف و مائتين و سبع و سبعين و هو يكثر من ذكر الأستاذ المترجم، ثم قال: ذلك هو الرجل الذي واجه الحضرة و واجهته، و قد سمعته أمر بنقل راتب الطريقة السمانية فنقل إليه و وضعه في جيبه، و ما زالت السادة المراغنة رضوان الله عليهم و أتباعهم يميلون إلى محبة الأستاذ المترجم، و يكثرون من زيارته و محبته و الثناء عليه دون غيره من الأولياء الذين ببلادنا.

و كان الولي الكامل المحبوب، سيدي الشيخ محمد بن قمر الدين الشهير بالمجذوب يقول: من أراد أن ينظر إلى أخلاق رسول الله صلى الله عليه و سلم فلينظر إلى أخلاق الأستاذ الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه. و قد حكي بهلول أحمد فضل الله المشهور بشجر الخيري قال: نزل عندنا الهمام الفرد السيد الحسن الميرغني قدس سره بكرري، فبالغ يوما في ذكر سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه بالثناء عليه، فقلت له: يا سيدي قد ألحقته بسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، فقال ليس ذلك بأزيد منه. قلت: أراد بذلك أن كلا منهما كان قطبا غوثا، و إن اختلفت الآيات و الأحوال و الخوارق. و قد أخبرني أيضا من أثق به من أهل الفضل قال كنت مع العارف المذكور ببحر أتبرة فقرأت بين يديه (فتوحات) الشيخ محي الدين بن عربي فتعجب الحاضرون من علو نفس الشيخ و زيادة رتبته في المعارف،

[1] المصدر نفسه

فقال السيد المذكور للحاضرين: عندنا شيخ ليس ابن عربي هذا بأكمل منه فقالوا: من هو؟ قال: الأستاذ الشيخ أحمد الطيب قدس سره. و كان ولده الكامل السيد محمد عثمان رضي الله عنه إذا مر بالشرق عند سفره إلى جهة السافل و حاذى قبة الأستاذ المترجم فإنه ينزل عن ظهر دابته و يأمر بإنزال حمالته، و يستقبل القبلة إلى أن يأخذ برهة من الزمن ثم يرتحل.

و كان الولي الكامل الفقيه عبد الله ود الرواج يسميه الإكسير، و يأمر تلامذته بالأخذ عنه، فممن أخذ عليه الطريقة منهم محمد ولد خالد الرفاعي المشهور، و لكن أخذه لها كان في حال صغره عند مرور الأستاذ المترجم إلى مدينة سنار، و ذلك بقندال الغابة المعروفة. و كان الشيخ عوض الجيد ولد أبى الحسن الخالدى رحمه الله يقول: لا يوجد اليوم رجل عنده سر الله الخالص كالشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، فقيل له: هل رأيته؟ قال نعم، لقيته مرة على الطريق و هو راكب على فرس و أنا على حمار فعرفني و عرفته، فنزلت لزيارته و قبلت يده و هو على فرسه كحالته، و سنه قريب من سني أو سني قريب منه، قلت: و معنى قوله لا يوجد اليوم إلخ. يريد بذلك عدم التفات قلب الشيخ إلى شئ من الأكوان. و كان العارف بالله الشيخ إبراهيم الرشيد قدس سره يقول: كل أولياء السودان بالنسبة إلى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه مريدون، و قد زار ضريحه عام ألف و مائتين و تسعة و ستين من الهجرة فوجد منه مددا و فيضا و رشدا. وكان العالم العلامة أحمدولد كنان رحمه الله تعالى مع صلابته في الدين و انتقاده على كثير من المتصوفة يقول: ما رأت عيني وليا على موافقة الشرع و الزهد و حسن الإقبال على الله تعالى و صدق الإخبار بالغيب كالشيخ أحمد الطيب رضي الله، و كان يقول: لا يجوز لأحد أن يأخذ الطريقة إلا عليه، لذا لما جاء الفاضل الشيخ محمد النور ولد عربي من زيارة سيدي الشيخ المترجم وكان ذلك سنة ألف و مائتين و سبع و سبعين من الهجرة و نزل على الفقيه المذكور أكرمه غاية الإكرام، و طلب منه المؤاخاة ثم قال له: لولا عزوك في الطريق إلى الأستاذ الشيخ أحمد الطيب لما آخيتك، و إنما طلبتها منك لتشملني بركته بواسطة مؤاخاتي لك، و كان الفقيه المذكور يقول: و الله ما ترك سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله

في الولاية لأحد شبرا، و ما رأيته قط إلا و ازداد حبه في قلبي و كنت سابقا قبل رؤيتي له منكرا فيه، فلما رأيته أبدل ذلك الإنكار حبا، و الحمد لله على ذلك. و كان يقول: الأولياء يجيرون و يحمون كل من استجار بهم إلا من قصده سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله فإنه لا يقدر أن يحميه أحد، لأنه سلطان لا يجار عليه، و يذكر في ذلك حكايات كثيرة تتعلق به و بغيره من أبناء عصره، و كان إذا جرى ذكر الشيخ المترجم بحضرته يقول: ذلك الولي الذي لا يختلف فيه اثنان.

و كان العارف الرباني سيدي الشيخ أبو الحسن ابن الشيخ محمد عبد الكريم السمان قدس سره يقول: قد تحقق لدينا الوارث لسر قطبانية سيدي الشيخ محمد السمان رضي الله عنه هو سيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره، قلت: و لذا انتمى إليه بأخذه الطريقة على تلميذه سيدي الشيخ حسيب بن إمام رحمه الله تعالى، فإجازة أولاده بالمدينة المنورة إلى يومنا هذا ناطقة بذلك. و كان العارف الشيخ حسيب المذكور كثيرا ما يتواجد عند سماعه لذكر الشيخ، و لما بلغته- وهو بمكة- وفاة الشيخ بكى بكاءا كثيرا، و قال: لا يوجد اليوم على ظهر الأرض أحد مثله يكون شيخا للحقيقة، و كان قد مدح الأستاذ المترجم -عند ملاقاته له و أخذه عنه الطريقة (بأم مرح)- بقصيدتين أحدهما ثمانمائة بيت، ذكر فيها العجب العجاب، من الكلام الذي يخلب العقول و يسحر الألباب. و قد وقفت عليهما و أحرزتهما عندي إلا أنهما أخذتهما يد الضياع عند قيام الثورة المهدية مع ما كان عندنا من نفائس الكتب، فمن وجدهما فليلحقهما بهذا الموضع من هذا الكتاب[1].

و كان القاضي أحمد ولد الكامل الحلاوى رحمه الله تعالى المدفون بمقبرة عالم المسلمى بالحلاوين يقول بعد أن اجتمع بسيدي الشيخ و أخذ عنه و سأله عن بعض المسائل العلمية: و الله لو اندرست المذاهب الأربعة لأحياها سيدي الشيخ رضي الله عنه من نفسه، و ذلك لسعة اطلاعه و طول باعه في المعارف.

حدثني الشيخ محمد بن الإمام رحمه الله تعالى قال: سمعت العارف بالله

١ المصدر نفسه

تعالى الشيخ محمد التوم ولد بان النقا، قد بالغ يوما في ذكر الوليين الكاملين سيدي الشيخ موسى ولد يعقوب و الشيخ هجو ولد حماد، و ذكر ما لهما من الكرامات و المناقب، ثم قال: إن جميع ما ذكرته و ما لم أذكره من كراماتهما و مناقبهما فهو نقطة من كرامات سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، قال و سمعته مرة يقول: ما طالت لحية إلا بصحبة سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه. فقال له رجل من الحاضرين: يا سيدي إن فلانا يعني رجلا من مشاهير زمانه قد طال، و ما بلغنا أنه صحب سيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره، فقال: و الله لقد عثر و أمرني سيدي الشيخ بتولية أمره، و هو في بركة سيدي الشيخ رضي الله عنه. قال: و لما توفى هذا الرجل المذكور قدم إلى العزاء فيه سيدي الشيخ محمد التوم قدس سره من بلاده. و ذلك شاهد التولية، و لم يكن قبل ذلك بينه و بينهم عزاء و لا اتصال، و كان لما أراد الشيخ القدوم إلى العزاء قد منعه منه الشيخ عبد القادر ولد الشيخ الزين الموسابى اليعقوبابى فلم يقبل، و قال: لنا فيه نظر، و هو إشارة لما قدمناه آنفا.

و كان قاضى القضاة العلامة الشيخ أحمدالسلاوى رحمه الله تعالى كثيرا ما يكثر الثناء على الأستاذ المترجم، و لعله سمع شيئا من مناقبه من شيخه العلامة الأمير عند قراءته عليه بالجامع الأزهر و من غيره من الفضلاء، أو لأمر رآه في نفسه من جهة الشيخ رضي الله عنه، و قد تمكنت منه محبته فصاهره و سمى باسمه أحد أولاده. و قد شوهدت لولده المسمى باسم سيدي الشيخ كرامات عديدة مشهورة من بين أهل الفضل. و كان العارف بالله تعالى الشيخ القرشي بن الزين رحمه الله تعالى يقول: كل ولى على قدم نبي و سيدي الشيخ على قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم. و كان يقول: كل ولى له حد مسمى في الإرشاد إلا سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه فإن إرشاده باق إلى يوم القيامة. قلت: و قد وافقه على ذلك جماعة من العارفين كالكامل السيد الحسن الميرغني و الشيخ إبراهيم الكباشي و غيرهما. و كان الولي الصالح الزاهد الفقيه الأمين ولد أم حقين إذا مدحه شخص يقول: له كف عنى فإن المدح إنما يليق بسيدي الشيخ أحمد الطيب قدس سره. و كان يقول: إذا اتصف

أحد في عصرنا هذا بصفة كمال انفرد بها فإن لسيدي الشيخ أحمد الطيب تسعا و تسعين صفة لا يشاركه فيها أحد. و كان الشيخ محمد ولد مكي رحمه الله تعالى إذا نسبه أحد إلى جده الشيخ إدريس ولد الأرباب قدس سره بأن بركته منه يقول له: لا منة لأحد على إلا لسيدي الشيخ رضي الله عنه وحده. و كان بعض المريدين من تلامذة الأستاذ المترجم يسمونه النور المجموع لشدة إشراق نور وجهه. و سمعت العارف الشيخ القرشي بن الزين رحمه الله تعالى يقول: لقد رأينا له ضياءا في الظلام يكاد القارئ أن يقرأ به ما شاء. و قد سأل رجل من ذرية سيدي الشيخ إدريس بن الأرباب قدس سره الشيخ إبراهيم الكباشى رحمه الله تعالى: هل أعظم مقام جدي الشيخ إدريس أم مقام الشيخ أحمد الطيب؟ فقال له: أعظم مقام سيدي الشيخ أحمد الطيب. و كنت وقتئذ حاضرا بالمجلس و لم يعرفني أحد من الحاضرين، فتغير خاطر ذلك الرجل و كان تلميذا له، فأراد رجوع الشيخ إبراهيم الكباشى عن كلامه بكلام ألقاه له فقال له: يا هذا إن هدير تيار بحر إرشاد سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه منعنا المنام، و هو شاهد قوى على أفضلية الأستاذ المترجم على غيره. و كان العارف بالله الشيخ محمد ولد بدر رحمه الله تعالى يقول: لولا قطب (أم مرح) ما صحا قلب مصلح. و كان الفاضل الصالح الشيخ محمد المقابلى رحمه الله تعالى إذا ذكر سيدي الشيخ في مجلسه هام و هاج و منع أن يذكر معه غيره إلى أن يختم المجلس، و لو كان الغير أبا يزيد كما نقل ذلك عنه.

حدثني الكامل الفاضل الصالح السيد المكي ابن العارف الهمام السيد إسماعيل الولي ابن السيد عبد الله الكردفانى قدس سره، قال: قال لي والدي: لولا أن تداركني سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه عندما فتح على، و وضع يده على صدري لأخذني الفتح، و هو له على أعظم منة. قلت: و قد زار السيد المذكور الأستاذ المترجم عند قفوله من الحج (بأم مرح)، و رأيت ولده و خليفته الفاضل السيد المكي يرسل بعض أزواجه إلى زيارة ضريحه لطلب الذرية في عهد إقامته (بأم درمان) إحياءا للود القديم، و اعترافا بما حصل لوالده من الأستاذ المترجم من الإغاثة و الإمداد، و كان السيد

إسماعيل الولي المذكور يقول: لما فتح علي و أطلعني الله على من في الديوان، ما رأيت أحدا عليه هيبة و وقار و بهجة كسيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، قال و قد رأيته في الحضرة و هو النائب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سمعت أهل الديوان لا يلوذون إلا به، و الهواتف لا تهتف إلا بإسمه. و كان الرجل الصالح الفقيه الإمام ولد دوليب رحمه الله تعالى يقول: لما فتح علي و دخلت ديوان أهل الله تعالى سألت عن القطب الغوث فقيل لي: صاحب العنق الطويل، و هو الذي بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم، يعنون بذلك سيدي الشيخ رضي الله عنه. و كان العطا المجذوب العقيلي رحمه الله تعالى يقول: ما سمعت و لا رأيت وليا يمازح أصحابه بسر الله كسيدي الشيخ رضي الله عنه فرأيته يعطيه لمن طلبه في الحال، و إذا ضاق صدره منه أخذه عنه.

و سمعت الكامل الصالح الشيخ حمد النيل ابن الشيخ أحمد الريح رحمه الله تعالى يكثر من الثناء على الشيخ كثيرا. و عندما كنا نحن و هو في سجن الخليفة عبد الله بن محمد خليفة المهدي قال لي: لا يخرجنا من هذا السجن إلا سيدي الشيخ أحمد الطيب رضي الله عنه، و قد رآه أحد أتباعي البارحة أمام منزلي بأم درمان، و هو يريد إخراجنا منه، فلا بد من خروجنا منه. و قد سرت محبته بذلك فينا إلى أن سمى علينا مولودا ولد له مدة إقامته بأم درمان، و قد توفى ذلك المولود بأم درمان. و كان الفاضل الكامل الزاهد الشيخ محمد ولد يونس خليفة الشيخ دفع الله رحمه الله تعالى يبالغ في ذكر الشيخ و الثناء عليه. و سمعت العالم العلامة الشيخ الحسين لد الفقيه إبراهيم زهراء رحمه الله يقول: لما توجهت إلى الحج زرت ضريح سيدي الشيخ رضي الله عنه، فحصل لي أنس عظيم، و صرت أبكى إلى أن فاتتنى رفقتي. وكان السيد العظيم و الشريف الفخيم الشريف محمد الأمين الهندي قدس سره يقول: الشيخ أحمد الطيب هو عماد الأولياء و محل إمداداتهم، و قد أردت الانتظام في سلكه على يد وارثه العارف بالله الشيخ محمد التوم ولد بان النقا في عهد قراءتي العلم بسنار على شيخنا الفقيه النذير، إلا أن المذكور قد منعني من ذلك، و إني إلى اليوم غير راض عنه. و كان العلامة الصالح الفقيه محمد ولد الفقيه

إدريس الشهير بولد دوليب إذا ذكر الشيخ رضي الله عنه في مجلسه يكثر من التواجد و الثناء عليه جدا و ربما قطع الدرس التذاذا بسيرته.و كان الأستاذ العارف بالله سيدي الشيخ محمد أبو الحسن السمان قدس سره يقول: من أراد الوصول فعليه بطيب الأصول. و كان الشيخ عبد الباقي ابن الشيخ عبد القادر البطحانى يقول: اللهم انفعنا بأربعة من الموسومين من الأولياء بأحمد، و انفع بالباقين أهليهم. قيل له من هم؟ قال: أحمدالرفاعى، و أحمدالبدوي، و أحمدزروق، و أحمد الطيب رضوان الله عليهم أجمعين، و غير ذلك من ثناء العارفين[1].

ما فيه عيب غير أن ضياءهحسدته شمس الأفق عند طلوعها

و علاه ذكر النور لما قد علافي الحضرة العلياء بين جموعها

الطيب المختار من أزل لنشر أصول طرق الأولياء و فروعها

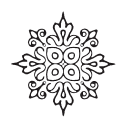
وفاته

وعن وفاة السيد أحمد الطيب فقد ذكر الأستاذ الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم أن وفاة القطب الشيخ أحمد الطيب كانت عام تسعة وثلاثين بعد المائتين والألف ١٢٣٩ه ويوافق بالتاريخ الميلادي ١٨٢٤م. وبذلك يكون عمر سيدي القطب الشيخ أحمد الطيب حين وفاته أربعاً وثمانين سنة، قضى منها ثلاثة عشر عاماً طالباً مسترشدا بعد بلوغ سن التميز (٦ سنوات)، ثم أمضى بعد إجازته مرشدا وشيخاً في الطريقة السمّانية ما يقرب من خمسة وستين عاما مرشدا وشيخاً ومعلما ومهذباً ومرقياً، في توفيق وتسديد وتأييد مع حفظ وعناية سابقة من الله الكريم[2].

---

١ المصدر نفسه

٢ عبد الجبار المبارك. الشيخ عبد المحمود الشيخ نور الدائم حياته وأثاره. دار السداد ٢٠٠٤ ص- ١٨٨



الباب الرابع

آثاره العلمية

مؤلفات الشيخ أحمد الطيب

وقد ألف الشيخ أحمد الطيب كنوزاً من الكتب في شتى العلوم المختلفة والتصوف، والكلام بلغت ٣٢ مؤلفا. طبع القليل منها.

أ- متن الحكم: ويحتوي على ستين حكمة إلهامية.

ب- الجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد: أو النفس الرحماني في الطور الإنساني وهو شرح متن الحكم قام بشرحه المصنف نفسه.

ت- المناجات السحرية: وهي ثمانية ملحقة بذيل شرح الحكم.

ث- حزب الأمان.

ج- حزب الجلال.

ح- حزب الكمال.

خ- حزب الجمال.

د- سر الأسرار في ذكر الصلاة على النبي المختار (وهي على نسق دلائل الخيرات).

ذ- خواص الأسماء وبعض خواص الثلث الثاني من سر الأسرار.

ر- سر الأسرار.

ز- راتب السعادة.

س- رسالته في الخلوة.

ش- رسالته في علم الكيمياء.

ص- كتاب عن البسلمة.

ض- منظومة في البروج الإثني عشر.

ط- الصلوات الطيبية - وهي مجموعة ثناء على النبي وتشمل:

اللاهوتية.

العظمة.

النورية.

النورانية

الأوصاف.

الصديقية.

المطمطمة.

العرشية.

الصلاة على آل النبي

صلاة الفتح.

الصلاة الكمالية[1].

تأليف في الصلاة على النبي (ص)

امتد تأثير الشيخ أحمد الطيب بن البشير على الفكر الصوفي أيضا من خلال ما ألفه من أدعية وصلوات وأحزاب، وقد ألف الشيخ أحمد الطيب العديد من الصلوات، أهمها صلاته المسمى (سر الأسرار) والتي قيل عنها إن الشيخ أحمد الطيب قد ألفها بوحي الهي، وقد أملاها عليه أحد الملائكة (ملائكة حجب الجلال)، وقيل في فضلها إن من قرأها ثلاث مرات ليس له جزاء إلا الجنة، كما إنه له صلوات أخرى جانب صلاته تلك، ومنها الصلاة النورية والصلاة النورانية والصلاة اللاهوتية وغيرها من الصلوات.

الأدعية والأحزاب

كما ألف الشيخ أحمد الطيب العديد من الأدعية والأحزاب وأشهرها حزبه المسمى (حزب الأمان من سطوات الزمان) والذي قيل عنه: (إنه حزب عظيم الفائدة كثير العائد، أمان لقارئه عن كل إنس وشيطان، وكل مؤذ من الحيوان وإن من قرأه مرة صباحاً ومرة مساء حفظ الله له نفسه وولده وأهله وجيرانه، أما من قرأه خمس مرات يسر الله له كل مقاصد، ومن قرأه سبع مرات لا يستطيع أحد من الخلق أن يناله بشر مطلقاً وحفظه من الخوف، ومن مؤلفاته راتب السعادة يقرأ عقب صلاة المغرب والفجر.

كتاب الحكم

ومن أهم أعمال الشيخ أحمد الطيب بن البشير كتاب حكمه المسمى: (الجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد)، وفيه تحدث عن بعض المسائل في التوحيد، وقد بدأ بمقدمة يشرح فيها معنى البسملة، بسم الله الرحمن

---

١ قمر الدولة زين العابدين محمد. أحمد الطيب بن البشير قدس الله سره (١١٥٥هـ- ١٢٣٩هـ- ١٧٤٢- ١٨٣٢م) آراؤه الكلامية وحكمة العرفانية. رسالة دكتوارة - جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠٠٣م ص- ٦٣ رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان- جامعة الخرطوم –كلية التربية – ١٩٩٦- ص٦٧

الرحيم، مستشهداً في ذلك ببعض أقوال الصحابة، كعلي بن أبي طالب، وبعض الأحاديث المروية في ذلك الشأن، كما ناقش معنى التوحيد الذي يؤكد إنه أول قاعدة من قواعد الإسلام، وتطرق أيضا لمعرفة الله تعالى، وقسمها إلى ثلاثة أنواع: الواجب والمستحيل والجائز، ثم يتحدث عن معرفة الصوفية، والخواص، كما يسميهم. ويقول إن معرفتهم بالله تعالى هي معرفة إلهامية. ومعنى لا اله إلا الله عندهم، أن تشهد بقلبك، وتحضر بسرك وتذوق بروحك أن لا فاعل في الوجود إلا الله، ويقول إنها معرفة كسبية ووهيبة، كما إنها للأولياء بغير واسطة ولكنها للأنبياء بواسطة إذ أن وحي الأولياء الإلهام ووحي الأنبياء الملائكة، كما تطرق الشيخ أحمد الطيب في كتابه هذا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وإلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بالتوحيد. هكذا نجد أن الشيخ أحمد الطيب بن البشير قد ارتقى كثيراً بالفكر الصوفي في السودان، فقد ربطه بمدرسة ابن عربي التوحيدية عندما تحدث عن وحدة الشهود، ووحدة الوجود، ثم ينتقل به إلى فلسفة الغزالي السنية عند حديثه عن نظريات الحقيقة المحمدية.

ولقد كان دأبي إذا استغلق عليّ فهم سفر حصلت عليه، أن اتركه زمنا ثم أعود إليه ولا أيأس منه البتة. ولقد وقع لي ذلك عدة مرات. منها ماحدث لي مع «كتاب الحكم» للشيخ أحمد الطيب السماني. وقد أهدى إلي الكتاب فأخذته وكلي شوق للنظر فيه، فلما جلست إليه وجدته دون فهمه خرق القتاد، فلم استيئس منه، فتركته حينا ثم رجعت إليه وكان قد تم لي النظر في كتاب « الإحياء»، « والرسالة القشيرية»، فيسر لي ذلك فهم مصطلح أهل التصوف، وشدّ ما كان عجبي عندما وجدت نفسي مطيقا شرح غامضة وكشف مبهمة داعيك عن فهمه[1].

وأشهر الكتب التي قراها أحمد الطيب، على أستاذه عبد الكريم وهي من مؤلفات شيخه: الفتوحات الإلهية في التوجهات الروحية للحضرة المحمدية والإنسان الكامل، وكشف الأستار فيما يتعلق باسم القهار، والفتوحات المكية (غير فتوحات ابن عربي المشهورة). وإغاثة اللهفان ومؤانسة الولهان،

---

١ الحسين النور يوسف. بين شاعر وناقد دراسة في كتاب (مع أبي الطيب) لعبد الله الطيب. ٢٠٠٩ ص ٦٥

وعنوان الجلوة في شان الخلوة. وله قصيدة عينية يحاكي بها عمر بن الفارض في مدرسة ابن عري، وذلك في قصيديته المشهورة في نظم السلوك. وهذه الكتب في معظمها مطبوعة فيما عدا مخطوطة الفتوحات الإلهية. ولا شك أن الشيخ الطيب – كما سنرى – قد اخذ فلسفته في الحقيقة المحمدية مباشرة عن أستاذه السمان، قبل أن يرجع إليأصول هذه الفلسفة في مدرسة ابن عربي أو الحلاج. لكن الشيخ الطيب في الواقع كما كان أستاذه لم يخرج في فلسفته عن حدود الإتباع والاقتداء، ولم يجدف في أي مجال منحرف يمكن أن يسقطه في هوى الضلالات.يقول الشيخ السمان الكبير (الشيخ عبد الكريم) (اعلم انه صلى الله عليه وسلم لما تنزل من الحضرة الأحدية إليالحضرة الواحدية ظهر فيها بحقائق كظهور الاسم بالمسمى، والصفة بالموصوف وفي كل معنى من معاني تلك الكلمات معان رقيقة لا تشير بحقيقتها إلاإليه، ولا تدل بهديها إلا عليه. وهو انه لوتحقق ألف نبي أو ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل واحد منهم نورا مطلقا، ثم أطلقت اسم النور لم يقع هذا الاسم إلا عليه، ولم تنسب هذه الصفة إلاإليه. ولهذا اسماه في كتابه العزيز دون غيره). فهو يرى الرسول صلى الله عليه وسلم موجودا في صورة نور في الحضرة الأحدية قبل خلق ادم وما يزال. وقد كان هذا النور في الحضرة الاحدية. وانه لوتحقق أي مخلوق غيره بالحقيقة النورية لما وصل إلى ماوصل إليه الرسول، وذلك لسيريان اسم النور عليه دون سواه. لكن لا يمكن لنا أن نصل إلى ساحة هذا النور إلاباإتباع الشريعة، ولايمكن أن تعرف على سر الحقيقة المحمدية إلا بعد الخوض في بحر المحبة. ولما كان خوض بحر المحبة في حاجة إلى الكثير من العقل والإيمان الصحيح فلا يمكن الخوض إلا بالاستقامة في جنب الله، على كمال الإتباع والعمل المتصل بما أمر به الكتاب والسنة قولا وفعلا واعتقادا، وعلى مذهب احد الأئمةالأربعة ثم الاعتماد بعد الله على رائد مرشد إلى الطريق الصحيح. المهم أن الشيخ يؤكد أن تمام الصحو، لإتمام الشطح أو طريق الشطح على إلا طلاق، هو الطريق السليم للمعرفة، فليس لنا مع المجذوب كلام كما يقول١.

وكتاب الحكم للشيخ الطيب منسوج على منوال الصوفي الكبير ابن

١ المصدر نفسه - ص- ٧٣

عطـاء الله السـكندري في كتابـه بنفـس الاسـم مـع الاخـتـلاف في الأداءوالأسـلوب والاتجـاه. ولعـل أدق مانقـول عـن حكـم الطيـب أنهـا تصـل بـين الغـزالي وابـن عـربي، بينـما الحكـم العطائيـة غزاليـة الاتجـاه بوجـه عـام.

والشـيخ الطيـب يؤكـد حديـث الـذر فانـه قـد خلـق أول مـا خلـق، معرفتـه الدالـة عـلى ذاتـه وصفاتـه وأفعالـه، وبثهـا في أرواحالأنـام يـوم (السـت بربكـم). وهـو لهـذا يحمـد الله الـذي قسـم في أزلـه معرفتـه عـلى أرواح الخلـق. وهـو لهـذا أيضـا يدعـو الخلـق إلى المعرفـة الإجماليـة. وهـذه المعرفـة الإجماليـة في رأي الطيـب هـي المعرفـة مـن الدرجـة الأولى، وهـي التـي شـاءت في أكثـر امـة محمـد صـلى الله عليـه وسـلم. لكـن هنـاك معرفـة أخـري تفصيليـة تخـص العلـماء والمفكريـن، ثـم هنـاك معرفـة إلهاميـة لكنـه لا يدعـو إليهاأيإنسـان ولا كل عـالم بـل يدعـوا إليهـا الراسـخين في العلـم لأنهـا معرفـة خـواص الخـواص.

أمـا العـوام فحسـبهم تلـك المعرفـة الإجماليـة عـلى صراط إيـمان العجائـز، وبهـذا صرح الكثـير مـن العلـماء:

وبه بعض الأئمة صرحوا وكفيإذ هم به قد أفصحوا

كالشيخ أبي منصور الماتريدي إذ اكتفى بصحة التقليد

وجملة الأئمة الفحـــول جاءوا بمثل هذا القول

هـذه هـي المعرفـة الإجماليـة. أمـا المعرفـة التفصيليـة فهـي عنـد الطيـب، تلـك التـي عليهـا مـدار أهـل السـنة والمتكلمـين في علـم الـكلام، وفيهـا تنزيـه للخالـق ذاتـا وصفاتـا وأفعـالا. ومعنـى لا الـه إلا الله عندهـم: لا مسـتغني عـن كل ماسـواه، ومفتقرإليـه كل مـا عـداه، إلا الله تعـالى١.

وبمثـل هـذه المؤلفـات اسـتطاع الشـيخ أحمـد الطيـب أن يجـذب أفـكار المريديـن نحـو العلـم والاطـلاع، بعـد أن كانـت تنحـصر في روايـة الكرامـات والتفاخـر بهـا، ولـذا اسـتطاع أن ينقـل التصـوف مـن الجانـب الروحـي إلى الجانـب الفكـري، وذلـك بـما نالـه مـن مكانـة كبـيرة وسـط العلـماء، والمتصوفـة مـن معاصريـه، ويتضـح لنـا أثـر الشـيخ أحمـد الطيـب الفكـري هـذا مـن قـول الفقيـه أحمـد بـن

١ المصدر نفسه - ٧٦

عيسى الأنصاري: (لله در الشيخ إمام عارف، كنا نظن قبل هذا إن الزهد انتهاء المقامات) وهو يشير بقوله أحمد الطيب، أول المقامات في طريق أهل الله، التوبة لله، والتزام طاعة الله، والصبر على مراد الله، والزهد فيما سوى الله. هذا القول يؤكد لنا أن الشيخ أحمد الطيب قد أحدث ثورة فكرية غيرت الكثير من مفاهيم التصوف التي كان يعتقدها المتصوفة قبل قدومه، كما استطاع أن يترك أثره الفكري في السودان بما كتب عن التصوف وعلوم الدين، من توحيد وفقه، واستطاع أن ينقل من خلال تلك المؤلفات أيضا فلسفة السمانية التي هي في الأصل فلسفة شيخه محمد عبد الكريم السمان، وأصول ثقافة السمان مغربية حجازية استقاها من شيخه محمد الدقاق المغربي ومن الشيخ الكردي محمد بن سليمان فقيه الأقطار الحجازية[١].

أقوال مأثورة

في سفره القيم أزاهير الرياض والذي خص به التوثيق لجده الشيخ أحمد الطيب أورد الحفيد الشيخ عبد المحمود نور الدائم مجموعة من الأقوال الحكم والتي نمت وحكت تلك التجربة الصوفية العميقة، نورد منها: ومن كلامه:

«من علامات محبة المحب فناؤه عن صفاته بصفات محبوبه». ومن كلامه :» من المحال أن يفتح الله لك باب شهود حضرته، وأنت لم تطهر قلبك من جنابة شركه».

ومن كلامه: «ما أحب رجل أن يعرف بإظهار الكرامات لديه، وانقياد الخلائق إليه إلا فسد دينه، وذهب في مولاه يقينه».

ومن كلامه: «لا يخرجك عن شهود الوهم والخيال، إلا كثرة ذكر الله بالصدق والابتهال».

ومن كلامه: «السلوك على توحيد الحال، طريق المقربين لا الأبرار فمن سلكه على يد خبير عارف بالله، كان من أهل حضرة الله تعالى».

---

١ عبد المحمودنور الدائم– الكؤوس المترعة —ص– ٢٠

ومن كلامه: «المحب لا ينام، والعارف لا يلوم، والمشاهدة لا تدوم».

ومن كلامه: «من سكن سره لغير الله تعالى، نزع الله نور الإيمان من قلبه وألبسه لباس الطمع في غيره».

ومن كلامه: «الخلق في الشريعة خلق وفي الحقيقة حق».

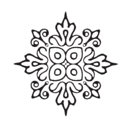
ومن كلامه: «السير إلى الله تعالى لا يكون إلا بهذه الأحرف الخمسة: خززرس. فالخاء خبير عارف بالله تعالى، والزاي الأولى زاد، وهو التقوى. قال تعالى:{ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}. والزاي الثانية زاملة وهي الهمة التي تصل بها إلى عين النعمة. والراء رفاقه وهم الإخوان المساعدون على الطريق والسين سلاح ترهب به العدو، وهو الاسم»[1].

ومن كلامه: «كنت في حضرة فيها جميع الأولياء، فهتف هاتف من قبل الحق سبحانه وتعالى قائلاً: يا معشر الأولياء إن الطيب هذا من سلاطينكم».

ومن كلامه: «ما حُجِب عني رسول الله ساعة من الساعات ولم أقل قولاً ولم أفعل فعلاً إلا بإذنه في جميع الأوقات».

ومن كلامه: «قال رسول الله: أنت وإبراهيم ولدي كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى مضمومتين».

١ أنظر عبد المحمود نور الدائم، أزاهير الرياضص- ١٦١



الباب الخامس

أصول مدرسته التجديدية

وعن أصول مدرسة الشيخ أحمد الطيب البشير حريٌ بنا أن تعرف أولا على أصول وثقافة أستاذه وشيخه السيد محمد بن عبد الكريم السمان، فقد جاء في مصادر التوثيق لحياته وسيرته العلمية من أن أصول ثقافة السمان مغربية عن الشيخ محمد الدقاق المغربي، وحجازية عن الشيخ الكردي محمد بن سليمان فقيه الأقطار الحجازية. وقد اتخذ الطريقة الخلوتية أول مرة عن الشيخ مصطفى البكري (ت ١١٦١ ه). وقد كان يعيش اغلب عمره في المدينة إلا انه توفى بالقاهرة في العام المذكور. ومن تلاميذه المشهورين العالم السوداني الكبير أحمد الطيب الذي وفد عليه.

شغل التجديد الصوفي حيزا كبيرا في فكر مدرسة الشيخ أحمد الطيب بن البشير على نحو غير مسبوق من حيث التناول والعمق والشمولية في التقاليد العلمية والدينية في الفضاء السوداني، وإذ تؤكد المدرسة الصوفية على أن وظيفة «المجدد» - كما يفهم من الشرع وكما تقرر في التجربة التاريخية للمجددين في التصوف الإسلامي تتمثل في تجديد ما أندرس من معالم التصوف.

هذه السيرة التراثية الحافلة بالتجارب الحياتية والاطلاع على ثقافة عصره قد جعلت منه رجلاً موسوعياً من الطراز الرفيع فقد تمثل الثقافةالإسلاميةبكل تياراتها ومصادرها من تصوف وحديث وشريعة وفقه

وكيميــاء ورياضيــات وفلــك .

وقبـل الخـوض في أصـول مدرسـة الشـيخ أحمـد الطيـب التجديديـة نريـد أن نشـير إلى حقيقـة ماذهبـت إليـه الدكتـورة والباحثـة أمـاني محمـد العبيـد في رسـالتها عـن الطريقـة السـمانية مـن أن مجمـل الفكـر السـماني يمكـن تقسيمه الى منبعـين هما ماكتبـه مؤسـس الطريقـة الشـيخ محمـد بـن عبـد الكريـم السـماني وايضـا ماكتبـه مشـائخ الطريقـة مـن السـودانيين مـن بعـده، في عبـارة الباحثـة نقتبـس التـالي:»

(The Sammani literature in the Sudan could be divided into two main parts: the first part is the literature written by al-Sammani (founder of the Sammaniyya Tariqa himself). The second part is the Sammani literature written by the Sudanese Sammani Sheiks) ١.

العالم المجدد

كتـب الدكتـور قمـر الدولةزيـن العابديـن (٢٠٠٣) في مقدمـة رسـالته التـي خصـه بهـا حكـم الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير مبينـا:» الإسـهام في إحيـاء الـتراث الإسـلامي بصفـة عامـة، والعنايـة بالـتراث في السـودان بصفـة خاصـة، تقويـما وتقيـما. ومصـداق ذلـك شروعـي في تقديـم المفكـر المجـدد أحمـد الطيـب بـن البشـير، كرائـد مـن رواد الفكـر الإسـلامي في السـودان الشرقـي، فعَـل حركـة البعـث الدينـي والإحيـاء الروحـي في أخريـات القـرن الثـاني عـشر و أوائـل القـرن الثالـث عـشر الهجريـين، وبيـان أثـره الـذي لا يجحـد في حياتنـا الفكريـة حيـث القـي بظلالـه عـلى حياتنـا الاجتماعيـة والدينيـة والسياسـية، ولا يخفـى عـلى مـن فتـح الله عـين بصيرتـه، أن القـوة المكتنـزة في منهـج التصفيـة الجـادة، في حراكهـا الاجتماعـي، وتناميهـا الخلقـي، تنتخـب مـن مجموعهـا شـخصية ذات بُعـد آسر تحـول ذلـك السـكون الـذي أبدتـه قـوة معنويـة، تسـعى لغايتهـا مكللـة بالعـز والظفـر، تنشـد الانقـلاب عـلى الواقـع المحبـط، وتحويلـه إلى حركـة دفاقـة، تعيـد للديـن نضارتـه وجدتـه، وتحيـي سنته ووقـاره، وبـين يـدي أمثلـة حيـة كالشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير (١١٥٥ ه -١٢٣٩ ه) وأحمدبـن إدريـس الفـاسي (١٢٧٢

---

١ أنـس العاقـب حامـد. الخصائـصُ اللحنيـةُ والإيقاعيـةُ لموسـيقَى الطـرقِ الصوفيـةِ في السـودانْالطريقة السـمانية أنموذجاً﴾ أطروحـة دكتـوراه. جامعـةُ السـودانِ للعلـومِ والتكنولوجيـا كليةُ الدراسـاتِ العُليـا. 2006.ص 81.

ه - ١٢٥٣ ه) وأحمدالتجاني (١١٥٠ ه - ١٢٣٠ ه) وقد أسهمت هذه القيادات في بروز حركات إصلاح ديني كحركة عثمان بن فوديو (١١٦٩ ه - ١٢٣٣ ه) ظهرت على أثرها دولة صكتو ثم جاء على الثر عمر بن سعيد الفوتي (١٢١٠ ه- ١٢٥٣ ه) في السنغال الأدنى حتى بلغ جبال فولتا جالون، فقد كان الأول على النهج القادري، والثاني على النهج القادري التجاني، ثم أعقبت هذه الحركة السنوسية في شمال إفريقيا التي قادها محمد بن على السنوسي الكبير (١٢٠٢ ه - ١٢٧٦ ه)، ثم الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام محمد أحمد بن عبد الله المهدي (١٢٥٩ ه- ١٢٩٩ ه) في السودان الشرقي. فقد كانت هاتان الحركتان الأخيرتان ذواتى طابع مهدوي إصلاحي، أما الأولى فقد كانت على النهج القادري الإدريسي، والثانية فقد كانت النهج القادري السماني الذي رفع لواءه أحمد الطيب بن البشير١ .

ولقائل أن يقول لماذا لم يظهر هذا الأثر في بواكير اتجاهات المؤسسين؟ والإجابة بسيطة، أن الاتجاهات التربوية في مرحلة البناء غيرها في مرحلة التمكين، فلكل مرحلة رجالها ومواقفها، والسر الذي لا يخطر على بال:، أن الحراك الروحي في إطار التزكية الروحية يكون عقلا جمعيا، ينتخب أنقى واتقى قلب رجل وارث على القدم المحمدي اقدر على التغير واملك لأدواته بما ورثه من قيم ربانية، وأخلاق مصطفوية، بعد مجاهدة النفس، صدقا مع الحق، ثم صدقا مع الخلق ينوب عن النبي (ص) في أمته مدعوا من الحق حالا ومقالا، مأذونا له فيه، ليس بصاحب دعوى ولا هوى بدايته محرقة ونهايته مشرقة ، والحكم على حركته الجادة بنهاياتها لا ببداياتهتا٢.

وقد جاء في كتب أهل الإختصاص من الباحثين في مجال التجديد والمجديدين بأن من شروط وصفات المجدد، أن يعم نفعه أهل زمانه.٣

وذلك لان المجدد رجل مرحلة زمنية، تمتد قرنا من الزمن، فلا بد إذن من أن يكون منارة يستضئ بها الناس، ويسترشدون بهداها، حتى مبعث المجدد الجديد على الأقل، وهذا يقتضي أن يعم علم المجدد ونفعه أهل

١ قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية ٢٠٠٣م ص- ب
٢ المصدر نفسه - ص- ت
٣

عـصره، وان تـترك جهـوده الإصلاحيـة أثـرا بينـا في فكـر النـاس وسـلوكهم، وغالبا مـا يتحقـق ذلـك عـبر مــن يربيهــم مــن تلامــذة، وأصحــاب أوفيــاء، يقومــون بمواصلـة مسـيرته الإصلاحيــة، وينـشرون كتبـه وأفـكاره، ويؤسســون مــدارس فكريــة تترســم خطــاه في الإصــلاح والتجديــد.١

وقد أشار السيوطي إلى هذا الشرط حين قال:

وأن يكون جامعا لكل فن وأن يعم علمه أهل الزمن٢

أضفـى أحمـد الطيـب روحـا جديـدة عـلى الصوفيـة السـودانية، أدتإليالتأكيـد من جديـد، ليـس فقـط عـلى النواحـي العلميـة مثـل الذكـر والمديـح بـل أيضـا عـلى فلسـفة الصوفيـة. ويقـال أنأحمـد الطيـب قـد وجـد القادريـة والشـاذلية في درك أسـفل. وأحـس الحاجـة إليالإصـلاح وبـدا في إيجادصـلات مـع قيـادي شـيوخ زمانـه، ناشـدا إغرائهـم بالاتحـاد تحـت قيادتـه لإحيـاء البـلاد٣.

ونقــول لقــد مــضى التصــوف في طريقــه المنهجــي مــن دوره الســاذج في مجــال الزهـد في متـاع الحيـاة والعزلـة، متطـورا إلي التصـوف، حـين أصبـح علـما للباطـن، يتنــاول الأحــكام الشرعيــة والعبــادات مــن ناحيــة أثارهــا في قلــوب المتعبديــن، مختلفـا عـن علـم الظاهـر الـذي كان بعـض الفقهـاء يقفـون عنـده، أو جامعـا علـم الظاهــر والباطــن، باعتبــار أن الحقيقــة واحــدة، وان كان لهــا وجهــان فيــما نســميه بالباطـن المتحقـق في الظاهـر. ثـم تطـور أخـيرا إلي فلسـفة صوفيـة في طريـق الـذوق الــذي يوصــل إلي المعرفــة، ويســتعان بــه عــلى تحقيــق الســعادة. ولانجــد في الواقــع صــورة لعــصر النضــج الصــوفي الفلســفي بعــد هــذه المرحلــة مــن التطــور ســوى مانجــده لــدى أحمــد الطيــب، الــذي قــدم لنــا في تراثــه نموذجــا طيبــا للتصــوف المفلســف أو للفكــر الصــوفي الفلســفي وســط زحــام التيــارات الأخــرى في القــرن الثالــث عــشر الهجــري، التاســع عــشر الميــلادي.٤

١ عدنان محمد امامة. التجديد في الفكر الاسلامي. دار ابن الجوزي، بيروت، ٢٠٠١، ص-٤٨.

٢ المصدر نفسه ص- ٤٧.

٣ فدوى عبد الرحمن علي طه. الطرق الصوفية في السودان. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير وحدة الترجمة كلية الآداب – جامعة الخرطوم- ٢٠٠٢ – ص- ٤٦

٤ عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان ١٩٦٩- ص ٦٨

وتـوالى الدكتـور حسـن مكـي أحمـدفي التطـرق إلى شـخصيات أخـرى سـاهمت بشـكل كبـير في الارتقـاء بالفكـر التجديـدي الإصلاحـي في السـودان برمتـه، مثـل الشـيخ «أحمـد الطيـب البشـير ١٨٢٥١» الصـوفي السـوداني الـذي أصبـح مؤسسـاً لأكـبر مؤسسـة صوفيـة في تاريـخ السـودان، والشـيخ «الميرغنـي الكبـير ١٨٢٣م»، و«السـيد أحمدالتجـاني ١٨١٥م». وعـلى الرغـم مـن اختـلاف مشـاربهم وبيئاتهـم؛ فقـد شـكّل هـؤلاء الثلاثـة بالإضافـة إلى ابـن إدريـس الفـأسي النـواة الحقيقـة للحـراك التجديـدي والإصلاحـي في بـلاد السـودان بقسـميه الشـمالي والجنـوبي٢.

وعنـد الدكتـور حسـن مكـي أيضـا وحـول إسـهامات الشـيخ أحمـد الطيـب الفكريـة في المجتمـع الإسـلامي والصـوفي في السـودان الـرأي التـالي:» السـيد أحمـد الـطيب البشـير ،أول من قـعد قـواعـد الـعرفـان والـفكر الـصوفـي فـي الـسودان. المولود ١١٥٥ه- ١٧٤٢ والمتـوفى ١٢٣٩ه- ١٨٢٤م تقريبـا، وأنـا أكتـب مـن الذاكـرة ولعـل الجغرافيـا الروحيـة لـكل السـودانيين تأثـرت بالمـزاج الطيبـي بفكـره العرفـاني وبشـعره وبتجلياتـه ومـع تراكـم المـدد المعـرفي لابنائـه وأحفـاده وتلامذتـه اصبحـت الطريقـة السـمانية صاحبـة أكـبر مكتبـة عرفانيـة عـلى امتـداد السـودان شـعرا ونثـرا وكـما.٣

أسـهمت الطريقـة السـمّانية التـي جـاء بهـا أحمـد الطيـب في تجديـد الطريقـة القادريـة البهاريـة، التـي نشرهـا تـاج الديـن البهـاري في الدولـة السـنارية، وتلاميـذه أمثـال الشـيخ محمـد الهميـم، والشـيخ بانقـا الضريـر، والشـيخ حجـازي بـن معـين، والشـيخ شـاع الديـن ابـن التويـم، والشـيخ عجيـب المانجلـك، ولحـق بهـولاء فـوج آخـر أمثـال عبـد الله ابـن دفـع الله العركـي. وقـد اسـتطاعت أن تجذب لهـا الكثـير مـن الحواريـين والمريديـن، وكان يغلـب عليهـا الطابـع الروحـي، ولم ترتبـط في كثـير مـن الأحايـين بالعلـم، وكثـر الحديـث فيهـا عـن الكرامـة أكثـر مـن الاسـتقامة، ودارت الخصومـة بـين الفقهـاء والصوفيـة حيـث أصبـح صـوت الفقهـاء خافتـا٤.

١ التاريخ الصحيح لوفاة الشيخ أحمد الطيب هو العام ١٨٢٣م

٢ علي آل طالب. مؤتمر اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث. متاح على الرابط http:// www.kalema.net/v1/?rpt=909&art

٣ حسن مكي. الفكر الاسلامي السوداني.

٤ قمر الدولة زين العابدين محمد. أحمدالطيب بن البشير قدس الله سره (١١٥٥هـ- ١٢٣٩هـ- ١٧٤٢- ١٨٣٢م) آراؤه الكلامية وحكمة العرفانية. رسالة دكتوارة - جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠٠٣م ص- ٨٧

هـذا والـدارس لفلسـفة التصـوف في السـودان لـن يجـد صوفيـة تسـتحق الذكر، إلا بعـد قـدوم الشـيخ أحمـد الطيـب ونـشر طريقتـه السـمانية في السـودان. وقـد أحدثـت الطريقـة السـمانية هـذه تأثـيراً كبـيراً عـلى حيـاة المواطنـين في السـودان، ليـس في النواحـي الدينيـة فقـط، بـل في كل النواحـي الأخـرى الفكريـة والسياسـية والاجتماعيـة، ولقـد كان الأثـر الفكـري هـو ابـرز تلـك الآثـار جميعـاً، وذلـك لمـا أحدثتـه السـمانية مـن طفـرة فكريـة وبـما أدخلتـه مـن تصحيـح عـلى مفهـوم التصـوف الـذي كان سـائداً في السـودان قبـل دخـول الطريقـة السـمانية فيـه. كان الشـيخ أحمـد الطيـب بـن البشـير رائـد الطريقـة السـمانية باحثـاً عـن العلـم، فبعـد أن أكمـل دراسـة القـرآن، وقـراءة مختـصر خليـل، لم يسـلك الطريقـة القادريـة عـلى يـد أقـرب شـيخ منـه، بـل بـدأ يبحـث وينقـب عـن شـيخ ممـن اشـتهروا بالعلـم، وحتـى عندمـا التقـى بالشـيخ عبـد الباقـي النيـل، لم يسـلك الطريـق عـلى يديـه، بـل لجـأ إلى السـؤال والاستفسـار عـن بعـض أمـور وفلسـفة التصـوف التـي لم يجـد لهـا جوابـاً عنـد الشـيخ (النيـل) عبـد الباقـي وذلـك لأن مشـايخ القادريـة لم يعتنـوا بمثـل تلـك الأسـئلة كثـيراً في السـودان، لـذا نجـده انتقـل ببصـره خـارج حـدود مجتمعـه الضيـق فسـمع بالشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـمان وبطريقتـه السـمانية، فانتقـل إليـه وصحبـه لمـدة سـبع سـنوات أخـذ فيهـا الكثـير مـن علـم شـيخه وفلسـفته وآرائـه. بعـد أن عـاد الشـيخ أحمـد الطيـب إلى السـودان، عـاد وهـو يحمـل معـه فكـر وفلسـفة الشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـمان، ليجـد أن التصـوف في السـودان لم يـزل كـما تركـه، يغلـب عليـه الطابـع المحـلي. نتيجـة لعـودة الشـيخ أحمد الطيـب بـن البشـير، تطـور الفكـر الصـوفي تطـوراً ملحوظـاً، فقـد اسـتطاع أن يربط التصـوف في السـودان بالتصـوف في العـالم العـربي الإسـلامي كـما اسـتطاع أن يؤثـر ليـس فقـط في مفهـوم التصـوف، بـل حتـى في لغـة التصـوف وبقيـة علـوم الديـن باللغـة العربيـة الفصحـى، متأثـراً في كتاباتـه ببعـض أعـلام التصـوف الإسـلامي في العـالم الإسـلامي، آخـذاً مـن كل المـدارس الصوفيـة التـي ظهـرت في ذلـك الوقـت. هكـذا نجـد أن أثـر الشـيخ أحمـد الطيـب وطريقتـه السـمانية عـلى الفكـر الصـوفي في السـودان كان كبـيراً، إذ أنـه سـما بذلـك الفكـر وخـرج بـه مـن النطـاق المحـلي واللغـة العاميـة، ليربطـه بالتصـوف الإسـلامي مسـتعملاً في ذلـك اللغـة الفصحـى، ويتضـح لنـا ذلـك فيـما قبـل في ذلـك المقـام: (أمـا الطريـق، فقـد عفـى رسـمه ولم

يبق في الحقيقة غير اسمه، وأفلت بدوره، وتهدم سوره، وانقطع سنده، وارتفع مدده، واختلت أركانه، وتبدلت أعيانه، إلا أنه وبمجيء الشيخ أحمد الطيب، فقد تبدل الحال وغمر به وادي الإرشاد بعد أن أجدب واعتدل به ركن الطريقة بعد أن احدودب)، وكان لعودته أثر واضح في تغيير مجرى التيار الصوفي١.

During the final years of the Funj regime the Sammaniyya Order came to prominence. This order، founded by Muhammad b. Abd al-karim al-Samman (d.١٧٧٥ /١١٨٩) ، was introduced into the Sudan by Aḥmad al-Tayyib al-Bashir (d. ١٨٢٤ /١٢٣٩) ، who hoped to establish a new Order that would replace the prevalent Ṣūfī fragmentation by a unity under his spiritual guidance. During his time، al-Bashir represented the intellectual peak of Sudanese Ṣūfīsm٢. He not only broke the isolation characterizing the shaikh's world by forging close links with the great centers of Mecca and Medina، and Cairo. But he also authored numerous works that revealed a great philosophical depth. Besides showing the influence of Abu-Hamid al-Ghazali (d.١١١١ /٥٠٥)، he notably showed the influence of the theory of Muhy al-Din b.'Arab (d.١٢٤٠ /٦٣٨)، of the 'Unity of Being' (Wahdat al-wujd) and other influence coming from the mystical philosophies of al-Husain b. Mansur al-Hallaj (d.٩٢٢ /٣٠٩)، Shaihab al-Din al-Suhrawardi (d.١١٩١ /٥٨٧)، Abdal-Karim al-Jili (d.ca.١٤٢٨ /٨٣٢)٣.

أخذ دور الطريقة السمانية يتعاظم أثناء السنوات الأخيرة من حكم الفونج. هذه الطريقة أساسها محمد بن عبد الكريم السمان (ت ١١٨٩ ه- ١٧٧٥م)، دخلت السودان على يد أحمد الطيب البشير (١٢٣٩ ه- ١٤٢٤م) الذي كان يصبو إلى استبدال الطرق الصوفية المتفرقة بآخري متحدة تحت قيادته الروحية. ومثل البشير قمة الفكر الصوفي السوداني في زمنه ولم يقم

١ رابعة محمد عثمان -تاريخ الطريقة السمانية وانتشارها في السودان (١٧٦٦-١٨٩٨م)-كلية التربية - جامعة الخرطوم - قسم التاريخ- ١٩٩٦.

٢ Mohammad. A. Mahmoud. Quest for Divinity. A critical Examination of the Thought of Mahmoud.M.Taha. Syracuse University Press. ٢٠٠٧. P. ٢.

٣ Ibid

بإنهاء العزلة في عالم المشايخ فقط، بل قام بصياغة تكوين علاقات حميمة وقوية مع المراكز الدينية الكبيرة في مكة والمدينة والقاهرة. إضافة لذلك قام بتأليف الكثير من الإعمال التي عكست عمق تفكيره وفلسفته. بجانب أنه اظهر تأثير أبو حامد الغزالي (ت.١١١١- ٥٠٥هـ) وبصورة متميزة اظهر كذلك أثر نظرية محي الدين ابن عربي (ت. ١٢٤٠ - ٦٣٨هـ) وحدة الوجود، وتأثيرات أخرى جاءت من فلسفات حسين ابن منصور الحلاج (ت، ٩٢٢- ٣٠٩ هـ)، شهاب الدين السهوردي (١١٩١ -٥٨٧ هـ) عبد الكريم الجيلي (١٤٣٢ - ٨٣٤)١.

He came to be known as a reformist *Ṣūfī* master for those who put together mysticism and orthodoxy keeping a balance between them. The most salient aspect of Shaikh Aḥmad al-Tayyib's *Ṣūfī*sm was his struggle of developing and reviving a mystical orthodoxy in place of prevailing *Ṣūfī*sm. Therefore، he denounced particular *Ṣūfī* doctrines and many prevalent practices of *Ṣūfī*sm that he thought to be inconsistent with the Islāmic Shariah. He expressed his strong disagreement with many well-established spiritual Ṣūfī doctrines.From all this، it is not difficult to infer that Shaikh Aḥmad al-Tayyib was an Islāmic reformist and an orthodox legalistic Ṣūfī at the same time. Therefore، Aḥmad al-Tayyib movement of Islāmic reformation and renewal was also an endeavour to foster an orthodox spiritual revival. To accomplish this purpose، Shaikh Aḥmad al-Tayyib exerted all his efforts to restore traditional Islāmic Sharia as well as a mystical path based on Islāmic orthodoxy. He strongly believed that Islāmic law (shariah) and Ṣūfī path (*ṭarī*qah) were essentially inseparable and that there can be no discrepancy or inconsistency between them٢.

اشتهر بأنه شيخ مصلح صوفي لدي من ربط بين التصوف والدين الرسمي والتوازن بينهما. وابرز جوانب الشيخ أحمد الطيب الصوفية هو

١ ترجمة دكتور قاسم سعيد الصباح. جامعة الخرطوم- معهد اللغة الانجليزية - ١٠-١٠-٢٠١٧م.

٢ Amani Mohammad El-Obeid. The Sammaniyya politics and doctrine. PhD thesis Khartoum University، ١٩٩٧

اجتهـاده لتطويـر وإعـادة أحيـاء معتقـدات صوفيـة لتحـل محـل كل المعتقـدات السـائدة لـدى الصوفيـة في ذلـك الوقـت والتـي اعتقـد أنهـا تتنـافى مـع الشريعـة الإسـلامية. وعـبر عـن عـدم رضائـه عـن الكثـير مـن المعتقـدات الصوفيـة المتجذرة وسـط الصوفيـة. لـكل هـذا لا يصعب الاسـتنتاج أن الشـيخ أحمـد الطيـب كان مجددا إسـلاميا ومشرعـا صوفيـا. وعليـه فـان حركـة الشـيخ أحمـد الطيـب الإسـلامية الإصلاحيـة والتجديديـة كانـت محاولـة لإحيـاء تجديـد روحـي رسـمي. ولتحقيـق ذلـك الهـدف بـذل الشـيخ أحمـد الطيـب كل جهـده لإرسـاء الشريعـة الإسـلامية التقليديـة عـلاوة عـلى الطريـق الصـوفي اسـتنادا عـلى الرسـمية الإسـلامية، إذ يؤمـن وبقـوة أن القوانـين الإسـلامية (الشريعـة) والطريـق الصـوفي (الطريقـة) لا ينفصـلان عـن بعضهـما ولا يوجـد أي تعـارض أو تناقـض بينهـا١.

هكـذا نـرى أن أثـر الشـيخ أحمـد الطيـب وطريقتـه السـمانية عـلى الفكـر الصـوفي في السـودان، كان كبـيراً إذ أنـه سـما بذلـك الفكـر وخـرج بـه مـن النطـاق المحـلي واللغـة العاميـة، ليربطـه بالتصـوف الإسـلامي، مسـتعملاً في ذلـك اللغـة الفصحى، وقـد صـور لنـا ذلـك الأثـر الـذي أحدثتـه عـودة الشـيخ أحمـد الطيـب، عـلى التصـوف في السـودان، حفيـده الشـيخ عبـد المحمـود نـور الدائـم، عندمـا يتحـدث ذاكـراً حالـة الطريقـة والإرشـاد قبـل وبعـد عـودة جـده قائـلاً: «أمـا الطريـق: فقـد عفـى رسـمه ولم يبـق في الحقيقـة غـير اسـمه وأفلـت بـدوره وتهـدم سـوره، وانقطـع سـنده، وارتفـع مـدده واختلفـت أركانـه وتبدلـت».

هكـذا بقـى التصـوف في السـودان مرتبطـاً بالبيئـة المحليـة متأثـراً بعـادات وتقاليـد المجتمـع في ذلـك العـصر، ولم يرتبـط التصـوف في السـودان بالتصـوف في العـالم الإسـلامي، إلا بعـد قـدوم الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير مـن المدينـة المنـورة في ١١٨٠هــ - ١٧٦٦م، ودخـول الطريقـة السـمانية. ولـن يجـد الـدارس لفلسـفة التصـوف في السـودان، فلسـفة صوفيـة تسـتحق الذكـر، إلا بعـد أن أتـى الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير وكانـت أكثـر كتـب التصـوف تـداولاً حـين عودتـه، هـي الطبقـات الكـبرى، ولطائـف المنـن للشـعراني ثـم كتـاب دلائـل الخـيرات وشـوارق الأنـوار أبي عبـد الله ابـن عبـد الرحمـن الجـزولي٢. بعـد عـودة الشـيخ أحمـد الطيـب نجـد أن الفكـر الصـوفي في السـودان قـد تطـور تطـوراً ملحوظـاً، فلقـد اسـتطاع

١ ترجمة دكتور قاسم سعيد الصباح. جامعة الخرطوم- معهد اللغة الانجليزية - ١٠-١٠-٢٠١٧م.

٢ عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان – دار الفكر العربي(مصر)- ١٩٦٩ ص٦١

الشـيخ أحمـد الطيـب مما لـه مـن علـم، اكتسـبه مـن حلقـات درس الشـيخ محمـد عبـد الكريـم السـمان، إلى جانـب مـا ورثـه عنـه مـن أفكارهـن التصـوف وفلسـفة الطريقـة السـمانية، اسـتطاع أن يربـط التصـوف في السـودان بالتصـوف في العـالم الإسـلامي، وعـلى الأخـص المـشرق العـربي الـذي كان منبعـاً للتصـوف في الإسـلام، بـل ومنبـع الإسـلام نفسـه. اسـتطاع الشـيخ أحمـد الطيـب أن يؤثـر ليـس في مفهـوم التصـوف وحـده، بـل حتـى في لغـة التصـوف فهـو يعتـبر أول مـن كتـب عـن التصـوف وبقيـة علـوم الديـن، باللغـة العربيـة الفصحـى الخالصـة، متأثـراً في كتاباتـه ببعـض أعـلام التصـوف في العـالم الإسـلامي، آخـذاً مـن كل المـدارس الصوفيـة التـي ظهـرت في ذلـك الوقت.الشـيخ محمـد[1] الطيـب البشـير رضي الله عنـه شـيخ السـمانية كان يمثـل النمـوذج الفكـري الجديـد في حالـة التصـوف في السـودان[2].

أراء الشيخ أحمد الطيب من كتاب الحكم

نسـتعرض في الصفحـات التاليـة مـن الكتـاب ونسـوق بـشي مـن الـشرح والتعليقـات، الأراء التـي أوردهـا الشـيخ أحمـد الطيـب في كتابـه - الحكـم - كـما نأخـذ كذلـك أراء بعـض الواقفـين مـن الباحثـين عـلى فكـره كـما أودعـه وعـبر عنـه في كتابـه المذكـور.

البسملة

يبـدأ الشـيخ الطيـب بـشرح فلسـفته للبسـملة (بسـم الله الرحمـن الرحيـم) في مقدمتـه فيقـول: بسـم الله منـك، بمنزلـة كـن معـه، وهـي مـن العـارف بمنزلـة كـن مـن الله. البـاء سر القـدرة، وسر القيـام بالأشـياء مـن العـرش إلى الفـرش، فـإذا قلـت بسـم الله فكأنـك تقـول بقـدرة الله، وان الرحمـان الرحيـم نعـت بهـما نفسـه، فهـو رحمـان الدنيـا، ورحيـم الآخـرة. والحمـد لله رب العالمـين قبالـة باسـم الله الرحمـن الرحيـم، ورب قبالـة الرحمـان والعالمـين قبالـة الرحيـم[3].

ويقـول الطيـب (واعلـم أن ذلـك يعتـبر في قـول الله تعـالى: مالـك يـوم الديـن،

١ الصحيح الشيخ أحمد وليس محمد

٢ http://www.drmoiz.com/phpBB٢/viewtopic.php?f=١&t=١٩٩٧٣&start=٢

٣ عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان. ص- ٧٥

وظهـور الربوبيـة في ملـك ومالـك، يتجـلى للعقـول والإسرار واللطائـف وصفـة الملـك، فيكـون ملـك الملـوك، ويتجـلى للنفـوس بالقهـر والغلبـة والملـك فيكـون مالـك الملـك، ويتجـلى بالقربـات بالتمليـك لقولـه ﴿فِي مَقْعَـدِ صِدْقٍ عِنْـدَ مَلِيـكٍ مُقْتَـدِرٍ﴾ (آيـة ٥٥ مـن القمـر) ويسـتند الشـيخ الطيـب في تفسـيره في هـذه الآيـة بقـول الحسـن البـصري (ت ١١٠ ه) أن معانهـا هـو نفـس قـول الله سـبحانه وتعـالى ﴿وَإِذَا ذَكَـرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُـرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّـوْا عَـلَىٰ أَدْبَارِهِـمْ نُفُـورًا﴾ (٤٦ مـن الإسراء).

التوحيد عند الشيخ أحمد الطيب

التوحيـد في لسـان العـرب (وحـد) :» الإيـمان بـالله وحـده لأشريـك لـه». وفي القامـوس (الواحـد)، .. « ووحـده توحيـدا: جعلـه واحـدا».

والتوحيـد عنـد الصوفيـة: « هـو شـهادة المؤمـن يقينـا أن الله تعـالى هـو الأول في كل شي، واقـرب مـن كل شي، وهـو المعطـي المانـع لا معطـي ولا مانـع ولا ضـار ولا نافـع إلا هـو». وهـو عندهـم « معرفـة لله تـشرق بهـا النفـوس، وتتجـلى عليهـا الحقائـق فتلقـن بالمعـارف وتهـدي إلي القيـم والفضائـل، وبالتعريـف تعـرف النفـس الإنسـانية مكاسـبها ومثاليهـا، وتتطهـر مـن عيوبهـا وأهوائهـا، وتتجـلى بمـكارم الأخـلاق، وتتخـلى عـن الصفـات المذمومـة»[١].

فـما هـو رأي شـيخنا الطيـب في معنـي التوحيـد؟ انـه يـرى أن التوحيـد نوعـان: عـام وخـاص. أمـا العـام فهـو توحيـد العـوام وهـو لأهـل مرتبـة الإيـمان. أمـا توحيـد الخـواص فهـو مرتبـة لأهلالإحسـان. والفـرق بينهـما عنـده هـو أن (توحيـد العـوام يسـتبدل فيـه بالأثـر عـلى المؤثـر، أمـا توحيـد الخـواص فيسـتدل فيـه بالمؤثـر عـلى الأثـر، فالأولمسـتلزم لنفـى الـشرك الجـلي والثـاني مسـتلزم لنفـي الـشرك الخفي.وحتـى توحيـد الخـواص عنـده لـه ثـلاث مراتـب. الأدنـى لعـوام الأوليـاء والوسـطى لخـواص الأوليـاء والعليـا لخـواص الخـواص، (وأدنـاه توحيـد الذات). والشـيخ الطيـب نفسـه يقودنـا إلي أسـاس نظرتـه حـين يوثـق رايـه يقـول ابـن عـربي ثـم يقـول عبـد الكريـم الجيـلي تلميـذ ابـن عـربي حيـث يقـول ابـن عـربي:

١ عبد الرازق الكاشاني. معجم اصطلاحات الصوفية. دار المنار. القاهرة، ص ٣٧٢، ١٩٩٢.

ماوحد الواحد من وحده	**إذا كل من وحده جاحد**
توحيدمن ينطق عن نعته	**عـــارية أبطلها الواحـدُ**
توحيـــده إياه توحيـــده	**ونعت من ينعته لاحـدُ**

فما وحد الله إلا الله

ويقول الجيلي:

ومـــا الخلق في التمثـــال	**وأنت لها المـاء الذي هو نابع**
فلما يذوب الثلج يرفع حكمه	**ويوضع حكم الماء والأمر واقع**

والطيـب يفلسـف لنـا وحـدة شـهوده في ايغـالات رمزيـة اقـرب ماتكـون إلي الغربـة الغربيـة للسـهروري المقتـول (ت ٥٩٧ ه) تلـك التـي يقـول فيهـا وفي غيرهـا مـن رسـائله كالتلويحـات) ببابـك عبـد أتـى مـن رجـس الهيـولي إلي غرفـات المديـن الروحانيـة التـي هـي وراء الـوراء ... حتـى إذاأفنيـت عـن الشـعور بقيـت ببقـاء الحـق تعـالى). يقـول الشـيخ الطيـب امتـدادا أو ربطـا لمدرسـة السـهرودي الاشراقيـة ومدرسـة ابـن عـربي في وحـدة الشـهود والوجـود (مـن المحـال أن يفتـح لـك البـاب شـهود حضرتـه وأنـت لم تطهـر قلبـك مـن جنابـة الـشرك).

ولابـد في مذهـب الطيـب كإمـام صـوفي مـن الدعـوة إلى ضرورة وجـود رائـد لـكل مريـد سـلك في طريـق، وإلا خـرج بعيـدا عـن حـضرة الله لان (السـلوك عـلى توحيـد الحـال طريـق المقربـين لا الإبـرار. فمـن سـلكه عـلى يـد خبـير عـارف كان مـن أهـل حـضرة الله). فإذاسـألنه عـن الفـارق بـين مسـيرة المقربـين وسـيرة الإبـرار، أجـاب، بـان المقربـين سـيرهم بالأرواحوأماالإبـرار فسـيرهم بالأشـباح. (والأولـون المقربـون سـائرون، لاينتهـي لهـم سـير، لأنهـم مشـاهدون للكـمالات الإلهيـة. أماالآخـرون فينتهـي سـيرهم لأنهـم في أطـوار النفـوس الثـلاث في طريقتنـا

القادريـة، بخـلاف طريقتنـا الخلوتيـة البكريـة)، أمـا النفـس المطمئنـة عنـده فهـي النفـس الزاكيـة الكاملـة سـيرها مـع الله، في الله، عـن الله، بـالله، وعالمها هـو الحقيقة المحمديـة، عـالم اللاهـوت، وعـالم الوحـدة، في الكثـرة، والكثـرة في الوحـدة ولهـا الفنـاء الـذي هـو محـو الصفـات البشريـة ومقامهـا البقـاء بـالله تعـالى١.

أمـا التوحيـد فهـو أول قاعـدة مـن قواعـد الإسـلام (التوحيـد، والصـلاة، والـزكاة، والصـوم، والحـج). والتوحيـد يدخـل أركانالإسـلام السـت: الإيـمان بـالله، ورسـله، وكتبـه، وملائكتـه، واليـوم الآخـر، والقـدر. ومعنـى الإيـمان التصديـق القلبـي بذلـك. وإذنفالإيـمان بالقـدر هـو التصديـق بفعـل القـدر فينـا مـن خـير وشر وعـلى أيـة حـال ولا يكملأيضـا المـرء إلا بذلـك.

والإيـمان بـالله تعـالى يعتمـد عـلى ثلاثـة أقسـام في المعرفـة: معرفـة الواجـب والمسـتحيل والجائـز. فالواجبـات هـي: الوجـود، والقـدم، والبقـاء، والمخالفـة للحـوادث، والقيـام بالنفس، والواحدانيـة، والقـدرة، والإرادة والعلـم، والحيـاة، والسـمع، والبـصر، والـكلام، وكونـه تعـالى قـادرا ومريـدا، وعالمـا، وحيـا، وسـميعا، وبصـيرا.

والمسـتحيلات هـي: العـدم، والحـدوث، والفنـاء، والمماثلـة للحـوادث، والافتقـار إلي المحـل. والمخصـص، والتعـدد في الـذات والصفـات والأفعـال، والعجـز، والكراهيـة، والجهـل، والمـوت، والصمـم والعمـى، والبكـم، وكونـه تعـالى عاجـزا وكارهـا وجاهـلا وميتـا، واصـم، واعمـي، وأبكـم، تعـالى الله عـن ذلـك علـوا كبـيرا. والجائـز في حقـه تعـالى فعـل كل ممكـن أو تركـه٢.

هـذه هـي الدرجـة الثانيـة مـن المعرفـة. أمـا معرفـة الصوفيـة أو الخـواص فهـي المعرفـة الإلهاميـة وهـي التـي تحـدث عنهـا ابـن عـربي كـما يقـول الطيـب. وهـو يحـدد مكانهـا بالنسـبة للأوليـاء بغـير واسـطة ولكنهـا للأنبيـاء بواسـطة. ذلـك لان وحـى الأولياءبالإلهـام، وحـى الأنبيـاء بالملائكـة.

---

١ المصدر نفسه ص- ٨٧
٢ المصدر نفسه -ص - ٧٧

معرفة الله الإلهامية

أما معرفة الله الإلهامية فهي من عنده أصل العلوم اللدنية بدليل قول الله (وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا) (آية ٦٥ من الكهف) وبدليل (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (آية ٣٦٩ من البقرة). ومعنى لا الله إلا الله عندهم: أن تشهد بقلبك وتحضر بسرك وتذوق بروحك: أن لا فاعل في الوجود إلا الله، فإذا سرى في كليتك هذا المعنى شهدت انه لاحي في الوجود إلا الله. فإذا أدهشتك أنوار الأزل في مشهده المنزه عن ألاين والكيف والعلل وعرفت انه لا موجود إلا الله تعالى. والشيخ الطيب هنا يتدرج بنا ولاشك من وحدة الشهود إلي وحدة الوجود فيصل نسبه بمدرسة ابن عربي، التي تحولت معها شهادة أن لا اله إلا الله إلي لاموجود إلا الله.ونعود إلى التعرف على رأيه في حقيقة المعرفة الإلهامية فنجده يقسمها قسمين: كسبية ووهبية. أما الكسبية فتاتي للولي بواسطة ذكر الله تعالى حتى تهب عليه هبوب الرحمة منه تعالى. وأما الوهبية فهي خواطر تهجم على القلب من الحضرة الإلهية دون ماسبب، وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. قال تعالى: (كلا نمد) ... (آية ٢٠ من الإسراء) فالمدد للكسبية، والعطاء للوهبية. ويصل بنا الطيب إلى فلسفته لنظرية الحقيقة المحمدية التي تداولتها المذاهب السنية، وغير السنية، فملاحظ انه من البداية يتابع الاتجاه السني في مدرسة الغزالي مع تلميذ، الجيلاني في المدرسة السنية (والجيلانية في السودان ينبوع الفكر الصوفي)، ثم يعود ممتدا في مدرسة ابن عربي ناشرا ألويتها الجديدة[١].

الوجود

"الوجود كله ظلمة، والى الحق فيه، فمن رأى الوجود، ولم يشهد وحدة وجوده، فقد أشرك به".

"الوجود"، وهو عبارة عن كل ماسوى المعبود، وهو الوجود الحادث "كله ظلمة"، لاوجود له من ذاته، ولا قيام له بذاته، وإنما هو عدم في كل أحواله: الماضي، والحال، والمستقبل، وذلك بالنسبة إلى الوجود الحقيقي.

١ المصدر نفسه ٧٨

فافهـم ولاتتوهـم. قـال سـيدي أبـو مديـن رحمـه الله ونفعـن بعلومـه:

انا وجــودي بوجوده ايش غير الله موجود
دلني على ذلك شهوده ايش غير الله مشهود

"وإنـما أنـاره تجـلي الحـق فيـه"، اعنـي إنـما أنـار هـذا الوجـود الحـادث ظهـور الحـق فيـه.

قـال سـيدي ابـن عطـاء الله رحمـه الله: الكـون كلـه ظلمـة وإنـما أنـاره ظهـور الحـق فيـه بأسـمائه وصفاتـه وأفعالـه، ولـو لا ذلـك لأظلم.قـال سـيدي الشـيخ زروق: قلـت أنـاره، جعلـه نـيرا مضيئـا، أي بـما أولاه مـن الوجـود بـدلا مـن ظلمـة العـدم، ظهـور الحـق فيـه، ظهـور دلالـة وتعريـف، لاحلـول تكيـف، تعالى ربنـا وجـل، وافهـم هنـا قـول الله تعـالى: الله نـور السـموات والأرض. فأنهـما لا مظهـر لهـما سـواه.واعلم يـا أخـي إن شـهود الوحـدة في الوجـود أمـر زائـد عـن وجـه الشـهود، لان مـن شـاهدها غـاب عـن نفسـه وعـن كل موجـود، فشـهوده في الأشـياء عـلى ماذكـره سـيدي ابـن عطـاء الله شـهود فعلـه فيهـا، وعندهـا حضورهـا لهـا بالمرصـاد أي حضـور، وقبلهـا لوجودهـا بـه تعـالى، وبعدهـا لمـا جـرى علينـا مـن ظلمـة قلوبنـا بسـبب الفغـلات، فـان شـاهدناه التوحيـد كانـت لنـا الرؤيـة البصريـة، كل ماحجبـك عـن الله تعـالى فهـو ظلمـة[1].

القدرة

واعلـم يـا أخـي أن القـدرة عبـارة عـن المعنـى الـذي وجـد بـه الـشي القـدر بتقديـر الإرادة، والعلـم وافـق وفقهـما، والقـادر هـو الـذي أن شـاء فعـل وان لم يشـأ لم يفعـل، وهـو الله سـبحانه وتعـالى، الغنـي بنفسـه عـن معونـة غـيره.

والعبـد يخـترع الموجـدات بواسـطة قـدرة الله تعـالى، ولاتأثـير لـه في ذلـك إلا بـه، ومـن كان لا تأثـير لـه، كان عاريـا عـن قـدرة التأثـير، واصـل منـع العبـاد

[1] المصدر نفسه ٩٣/١٩٢

عــن حقائــق التكوينــات شــهود تأثــير أنفســهم في الأشــياء مــن دونــه في النفــع والــضر، فمــن شــهد تأثــيره في الأشــياء مــن الله، كان قــادرا عــلى كل شي بــالله، فــان كان صاحــب حــال صادقــة مــع الله تلاشــى ووصــل إلى منتهــى العــلا، لكــن هــذا المشــهد لايــدوم لأنــه صفــة الحــي القيــوم، والله فضــل الرجــال بعضهــم عــلى بعــض في معارفــه، فشــمس صفــة القــدرة إذا أشرقــت ونــارت وابتهجــت في ســويداء قلــب الســالك طريــق المقربــين، غــاب ذلــك الســالك عــن كل شي أوجدتــه القــدرة في الله، ولم يعــرف ســواه، وهــذه مــن مراتــب الوصــول إليــه تعــالى في كل شي، فعنــد ذلــك يدعــى في الملكــوت عارفــا بــالله، لأنــه لاشــعور لــه بســواه، وهــو اخــذ قلــب العبــد وقالبــه إلي حــضرة الرب.ولقــد حكــى عــن ســيدي الشــيخ عــلي الخــواص، حكايــة في هــذا المقــام وهــي انــه كان ذات ليلــة يصــلى وواحــد مــن أصحابــه جالــس، فمر أســد بالشــيخ، وتعــرك عليــه، ولكنــه لم يشــعر بــه، ولم يــل، وفي الليلــة التاليــة كان الشــيخ يصــلي أيضــا، وصاحبــه جالــس، فطلعــت علية بقــة فضــج منهــا، فقــال لــه ذلــك التلميــذ: أنــت ياســيدي مــر بــك الليلــة البارحــة أســد، وتعــرك عليــك، فلــم تلتفــت إليــه ولم تشــعر بــه، وفي هــذه الليلــة تضــج مــن البقــة: فقــال لــه الشــيخ ياولــدي كنــت أولا مأخــوذا عنــي، ولكنــي هــذه الليلــة مــردود عــليَّ، فهــذا هــو الأخــذ المطلــوب[1].

النور المحمدي

إن نظريــة النــور المحمــدي نجدهــا ماثلــة في تعاليمــه خاصــة اذا ماذهبنــا الى التعــرف عــلى صلاتــه التــى ســاقها ونظامهــا في الصــلاة عــلى النبــي فنجدهــا في الصــلاة اللاهوتيــة (نــور فــوق نــور) وكذلــك صلاتــه المعروفــة بالصــلاة النوريــة ٠ اللهــم صــلي عــلى ســيدنا محمــد النــور وآلــه).

«والصــلاة والســلام عــلى نبيــه الــذي نشــأ منــه الوجــود في البــدء والختــام» (ش) قلــت بــه عنــه، ناســجا لمــا انطــوت هــذه الحكمــة عليــه، مــن المعــاني والفضائــل في الصــلاة والســلام عليــه عــلى نيــة المقــرب لديــه: الصــلاة مــن الله (هــي) الرحمــة المقرونــة بالتعظيــم لنبيــه محمــد عليــه أفضــل الصــلاة وأتــم التســليم، ومــن الملائكــة استغفار، ومــن الآدميــين تــضرع ودعــاء. وقــال شــارح ياقوتــة التوحيــد في شرحــه

١ الحكم ص - ١٤٤

عليهـا: قـال مجاهـد رضي الله عنـه: الصـلاة مـن الله التوفيـق والعصمـة، ومـن الملائكـة العـون والنـصرة، ومـن المؤمنـين المتابعـة والمحبـة. اه. مـن الغنيـة للشـيخ عبـد القـادر رضي الله عنـه.

وقـال بعـض العارفـين رضي الله عنهـم: صـلاة الـرب عـلى نبيـه تعظيـم للحرمة، وصـلاة الأمـة عليـه طلـب للشـفاعة. وقـال الشـيخ عبـد القـادر الجيـلاني رضي الله عنـه في كتابـه المسـمى (الغنيـة) الصـلاة مـن الله تعـالى الرحمة، ومـن الملائكة شـفاعة واسـتغفار الـخ. ومـن هنـا كان الـكلام في أفضليـة الملائكـة عـلى الأنبيـاء، وفيهـا أقـوال ثلاثـة: الأولأن الملائكـة أفضـل، والثـاني أنالأنبياءأفضـل، الثالـث: فـرق بـين ملائكـة السـماء فهـم أفضـل مـن الأنبيـاء، وبـين ملائكـة الأرضفالأنبياءأفضـل منهـم. وهـذا الخـلاف جـار فيـما عـدا النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، فقـد انعقـد الإجمـاع عـلى أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أفضـل مخلوقـات الله عـز وجـل. قـال السـبكي: أفضـل مـن العـرش والكـرسي، ولـذا قـال النيسـابوري لـو احتـاج فضل نبيـا إلي دليـل، لاحتـاج النهـار إلي دليـل. واعلـم أن الجن صلاتهـم عليـه كالآدميين. والسـلام معنـاه الأمـان، وهـو زيـادة تامـين لـه، عليـه الصـلاة والسـلام، وتحيـة وإعظام[1]. وأماكليفياتهـا فكثـيرة ممـا قـرر مـن الـواردات وغيرهـا. وقـد سـالت شـيخي العـارف بـالله ورسـوله الشـيخ محمـد السـمان أمدنـا الله بمـدده في كل آن قلـت: ياسـيدي الصـلاة عـلى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم تحتـاج إلي شـيخ أم لا؟ فقـال رضي الله عنـه أنهـا تحتـاج إلي شـيخ. يعنـي مـن جهـة التربيـة والترقيـة لا مـن جهـة الأجـر والثـواب، فـان ذلـك حاصـل لامحالـة. هـذا مافهمتـه مـن كلامـه، فاعتـبر لهـذه النكتة[2]. وقـال أيضـا الشـيخ محمـد السـمان، أمدنـا الرحمن بمـدده في كل آن، ورحمـة الله وأكـرم مثـواه، في رسـالته المسـاة التصـورات: أن التعلـق المعنـوي بالجنـاب المحمـدي صـلي الله عليـه وسـلم عـلى قسـمين: الأول اسـتحضار صورتـه صـلى الله عليـه وسـلم والتـأدب لحالـة الاسـتحضار بالإجـلال والتعظيـم والهيبـة، فـان لم تسـتطع، يعنـي اسـتحضار الصـورة المذكـورة في شـمائله، فاسـتحضر الصـورة التـي رايتهـا في منامـك، فـان لم تكـن رايتـه في منامـك فاذكـره يعنـي بالصـلاة عليـه، وفي حـال ذكـرك لـه صـلى الله عليـه وسـلم تصـور نفسـك كأنـك

[1] المصدر نفسه ٣٤

[2] المصدر نفسه ٣٧

بـين يديـه متأدباأدبالإجـلال والتعظيـم والهيبـة فانـه يـراك ويسـمعك كلـما ذكرتـه، لأنـه متصـف بصفـات الله تعـالى وهـو سـبحانه وتعـالى جليـس مـن ذكـره، وللنبـي صـلى الله عليـه وسـلم نصيـب وافـر من هـذه الصفـات لان العـارف وصفـه وصف معروفـه، فهـو صـلى الله عليـه وسـلم سـيد العارفـين بـالله تعـالى، وقـد رأيـت في بعـض الأحاديـث المرويـة عنـه صـلى الله عليـه وسـلم انـه قـال: أنـا جليـس مـن صـلى عـلي، فافهـم تغنم.قـال رضي الله عنـه (والقسـم الثـاني) مـن التعلـق المعنـوي اسـتحضار حقيقتـه الكاملـة الموصوفـة بصفـات الكـمال، الجامعـة بـين الجـمال والجـلال، المتحليـة بأوصـاف الله الكبـير المتعـال، المشرقـة بنـور الـذات الإلهيـة في الآبـاد و ألازال، فـان لم تسـتطع، فاعلـم انـه صـلى الله عليـه وسـلم الـروح الـكلي القائـم بطـرفي حقائـق الوجـود، القديـم والحديـث، فهـو حقيقـة كل مـن الجهتـين ذاتـا، وصفاتـا وأفعالاواثـأرا، ومؤثراتهـا حكـما وعينـا.

ومـن ثـم قـال تعـالى في حقـه: ثـم ﴿ثُـمَّ دَنَـا فَتَـدَلَّى ۞ فَـكَانَ قَـابَ قَوْسَـيْنِ أَوْ أَدْنَـى﴾: وإنـما كان صـلى الله عليـه وسـلم برزخيـا بـين الحقيقـة الحقيـة والحقيقـة الخلقيـة، لأنـه صـلى الله عليـه وسـلم حقيقـة الحقائـق جميعهـا، ولهـذا كان مقامـه ليلـة المعـراج فـوق العـرش، وقـد علمـت أن العـرش غايـة المخلوقـات، إذ ليـس فـوق العـرش مخلـوق، فعنـد اسـتوائه صـلى الله عليـه وسـلم فـوق العـرش كانـت المخلوقـات بأسرهـا تحتـه وهـو فوقهـا، فصـار برزخيـا بالمعنـى، لأنـه موجـود مـن الحـق، والخلـق موجـودون منـه، فهـو المتصـف بكلتـا الصفتـين مـن الجهتـين صورة ومعنـى، حكـما وعينـا، فانـه صـلى الله عليـه وسـلم قـال: انـا مـن الله والمؤمنـون منـي، فـإذا علمـت ماذكرتـه لـك سـهل عليـك (تصـور) هـذا الكـمال المحمـدي إن شـاء الله تعـالى.

الحقيقة المحمدية

تمثـل نظريـة الحقيقـة المحمديـة اسـس واصـول مدرسـة الاسـتاذ الشـيخ محمـد السـمان وقـد عـبر عـن ذلـك في كتابـه الفتوحـات الالهيـة وعنـه فقـد نقـل عنـه تلميـذه الشـيخ أحمـد الطيـب هـذه النظريـة وقـد بانـت في كتاباتـه ولحقـه مـن بعـده تلاميـذه واحفـاده مـن بعـده خاصـة في مـا دونـوه مـن اشـعار.

واعلم وفقنا الله وإياك، وأذاقنا من هذا المشرب الصافي الزلال، ومن تبعنا من أهل الصفا والوفا: أن الحقيقة المحمدية لها ظهور في كل عالم بما يليق به، فليس ظهوره صلى الله عليه وسلم في عالم الأجسام، كظهوره في عالم الأرواح، وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى، فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع، وليس ظهوره في الأرض، كظهوره في السماء، وليس ظهوره في السماء كظهوره عن يمين العرش، وليس ظهوره عن يمين العرش، كظهوره عند الله حيث لا أين ولا كيف، فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم مما دونه، ولكل ظهور جلالة وهيبة يقبلها المحل (وتزداد هذه الجلالة والهيبة، كلما ازداد المقام علوا عن سابقه) حتى تتناهى إلى محل لا يستطيع أن يقوى عليه أحد من الأنبياء والملائكة والأولياء. وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم: لي مع الله وقت لايسعني فيه ملك مقرب، ولا نبيمرسل. فارفع همتك يا أخي لتراه في مظاهره العليا، بمعانيه الكبرى، فإنما هو هو، فاهم الإشارة، وأوصيك ياصفي بدوام ملاحظة صورته ومعناه، وان تكلفت ذلك أولالأمر تكلفا، فعن قريب تأتلف روحك به فيحضرك صلى الله وسلم عيانا: تخبره، وتحدثه، وتسأله. وتخاطبه. فتفوز بدرجة الصحابة، وتلحق بهم.، أن شاء الله.»[١].

قال صلى الله عليه وسلم: أكثركم علَي صلاة. أقربكم مني يوم القيامة (وأكثر الناس صلاة عليه أكثرهم) بالصورة الروحانية تعشقا، بموجب المحبة له، ولدوام الذكر بالصلاة عليه، صلى الله عليه وسلم. ولأجل ذلك يقرب منه، ويكون عنده، ويحشر معه. فإذا كان هذا نتيجة الصلاة عليه باللسان، فما تكون نتيجة الصلاة عليه بالقلب، فالروح، فالسر، نتيجة ذلك أن يكون معه عند الله تعالى (بلاشك) لان نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم باللسان، الفوز بالمكان وهو الجنة، ونتيجة العمل الباطن، وهو التعلق والإقبال واستحضار صورته، وهو الفوز بالمكانة، ومعناها القرب، فيكون عند الله في مقعد صدق، حيث لا أين ولا كيف، فاهم

١ أحمد الطيب بن البشير. كتاب الحكم المسمى بالنفس الرحماني في الطور الإنساني. مكتبة القاهرة – ٢٠٠٦– ٣٨-٣٩

الإشارة، تقو على البشارة[1].

ويبدو أن انتشار مفاهيم النور المحمدي، الحقيقة المحمدية، الفناء والبقاء وغيرها من مفاهيم التصوف الفلسفي غدت كثيرة الانتشار في أدبيات شيوخ وشعراء الطريقة، الذين أتوا ليشكلوا استمرار لتلك النزعة التجديدية للمجدد الشيخ أحمد الطيب. ولعل أول ما عبر عنها كان الشيخ عبد المحمود في أشعاره، ولحقه الشيخ قريب الله، ومازال سائرا في كتابات شعراء ومشائخ الطريقة. يقول الباحث الطاهر محمد علي في كتابه «الأدب الصوفي في السودان» الذي خص به أربعة من مشائخ وشعراء السمانية، ومنهم الشيخ عبد المحمود، والذي كتب عنه قائلا:» فإذا تطور التصوف في السودان على يدي جده الشيخ أحمد الطيب بن البشير من حيث الفكر الفلسفي والعمق الصوفي فانه قد تطور عند حفيده في شكل أدب لم نره عنده نفسه لأنه لم يكن شاعرا، وبتبليغنا لشعره نجد أن له عناية كبيرة بغرضين من أغراض الشعر الصوفي أولها شعر الحقيقة المحمدية وثانيهما شعر الحب الإلهي، وهما يدخلان ضمن تقسيمنا للشعر الصوفي فيما بعد. وقد ضمن الأول ديوانه «شرب الكأس» ووقفه عليه، كما ضمن الثاني ديوانه «الروض البهيج في مدح نبي الرحمة والتفريج» وكلاهما مرتبط بالأخر ربطا وثيقا لان منبعهما القلب وهو مصدر العقائد والوجدانيات.[2]

وتصوفه - الشيخ عبد المحمود- قائم على نظرية تنقل النور المحمدي وهي أن أول ما خلق الله نور سيدنا محمد فلما خلق ادم تنقل هذا النور إلى ابنه شيث إلى أخر الأنبياء فالتقى متكاملا مع صاحبه فاكتمل عنده ولهذا سمي خاتم النبيين.

يقول في أحدى قصائده:

لولاه ماهطلت غيوم هداية كلا ولا في اللوح سعد سطرا

فالأنبياء جميعهم من نوره جميع صب خصه هجر الكرا

١ المصدر نفسه ٣٩

٢ الطاهر محمد علي. الادب الصوفي في السودان. مصدر سابق.

فيه توســــل ادم من ذنبه وتشفعت حــــوا به مما جرى

وبه دعا إدريس فارتفعت به رتب وحاز مع المراتب مفخرا

ولهـذا نـراه كثـيرا مـا يصـف الرسـول بالنـور، ولا نـكاد نجـد قصيـدة في مدحـه إلا يسـتخدم هـذه الكلمـة مثـل قولـه:

هو منبع الأنوار والداعي إلي سبل الهدى بمهند ورديته

وقوله:

نور تجسم للبرية ظاهر سلك تضمن في الفضائل جوهرا

والشـيخ محمـد نـاصر كـبرا (١٩١٢- ١٩٩٤م) تلميـذ الشـيخ محمـد الفاتـح قريـب الله الطيبـي السـماني في الأبيـات التاليـة نجـده يتكلـم عـن الحقيقـة المحمدية، مـن حيـث أصالتهـا وعنصرهـا وأسـبقية نورهـا عـلى جميـع المخلوقـات، وعـبر عـن ذالـك بعبـارات فلكيـة فلسـفية عميقـة، يصعـب فهمهـا عـلى مـن كان بعيـدا عـن الفلسـفة الإسـلامية، اسـتمع إليـه وهـو يتحـدث عـن ذالـك النـور المحمـدي.

أحمـــــد المختار سيدنا خير خلــــق الله في الرتب

سيد الكونين اجمـــــع من ذكره من أعظـــم القرب

مجـــــمع البحرين برزخه كترك المخي أبو العجــــب

طلسم الأســــرار منبعها فيضه الأنوار جـــــد أبي

نقطة الأدوار محــــورها مــــــركز إلا عين والنسب

رفرف الرحمان ســــدرته والهيولا مـــــــن هباه هب

عنصر الأكوان جوهرها عرض الأكوان في الحقب

هاء هـــو الذات عنبره   نونه المخـــــــــبو للنوب

ءاوه الســــــاري حقيقته   في ذراري الاسم واللقب

إنما الدنيا وضـــــــــرتها   قطرة من بحره الســكب [1]

نلاحـظ حديثـه في الأبيـات السـابقة عـن النـور المحمـدي كان بتعابـير فلسـفية، يقـول عنـه صـلى الله عليـه وسـلم أنـه هـو مجمـع البحريـن والحاجـز بينهـما، بمعنـى أنـه صـلى الله عليـه وسـلم هـو الواسـطة أو الوسـيلة بـين العبـد وربـه، وهـو الكنـز المخفـي، وطلسـم الأسرار أي سر مكتـوم لا يعـرف ولا يفهـم حقيقتـه.

وإن الشـاعر عـلى وجـه العمـوم يريـد أن يبـين لنـا في أبياتـه، كـما هـو عنـد الصوفيـة، أن الحقيقـة المحمديـة أقـدم مـن الوجـود كلـه، ومنبـع فيـاض بـكل مـا في عـالم الغيـب مـن أرواح، وبـكل مـا في عـالم الشـهادة مـن صـور وأشـباح، وهـذا يعنـي أن هـذه الحقيقـة المحمديـة هـي المخلـوق الأول الـذي أبدعـه ، أو عهـود ، أو شـهود .

وحقيقـة النـور المحمـدي الـواردة في فلسـفة وتعاليـم الطريقـة السـمانية نجدهـا عنـد مبـدع أخـر مـن مبدعـي وشـعراء الطريقـة الشـيخ عبـد الرحيـم البرعـي (١٩٢٣-٢٠٠٥م) في قصيدتـه: «الأصـــلو نـــور من نـــور»

الأصلو نـور مـن نور من نخبـة نوح وحام

متنقـل فى أصـلاب اجـدادو والأرحـام

الله يا عـــلام

ذو العـرش والكـرسي واللـوح والأقـلام

عبـدك غريـق فى بحـور النـوم والأحـلام

نوره من ظـــلام

حسـن الختـام و يكون الموت على الإسـلام

ثنيت يا أنـــام

---

[1] ناصـر يافـث حسـن. الشـاعر الشـيخ محمـد ناصـر كبـر أنموذجـا للشـعر العربـي فـي نيجيريـا. بحـث تكميلـي لنيـل درجـة الماجسـتير جامعـة الجزيـرة كليـة التربيـة حنتـوب، ٢٠١٥، ص- ٧٧.

بالمصطفى المعصوم القلبو ما هو نام
الأسرى بجسد واو رؤيا فى المنام
كان يرعى بى الأغنام
يشرى ويبيع مجانا الهدم الأصنام
يوم وضعو عم الخير
جات البشاير يوت لامو غير تأخير
الرسل والأملاك زاروه قالوا خير
الأفضل الأخير
الآمر المأمور البيهو نستخير
أحمد شريف الذات
ناجى العلى الرحمن
بى عينو شاف الذات
منصور بالأملاك وبصحبه الغزاة
التارك اللذات
هو أماننا من خسوف الأرض والهزات

والنور المحمدي نجده في قصائد الشيخ محمد الصابونابي (١٨٩٨- ١٩٨٤) السماني الطريقة كما في نظمه الرائع «الدينو راسي كالمراسي» حينما قال:

النبي ليلة وضوعو شفيع الناس
وحاضرات الشفا وحواء مريم أسي
ما حكن مثله في الناس
صافي من عادة النفاس
مكسي نور طاهر الأنفاس

الإنسان الكامل

فكـرة الإنسـان الكامـل: تقـوم حقيقـة عـلى النظـر إلى النـوع الإنسـاني الـذي بـرز عينـا في صـورة ادم، « فخلـق بدنـه مـن الأرض، وروحـه مـن المـلأ الأعـلى، ولهـذا يقـال هـو العـالم الصغـير، وهـو نسـخة العـالم الكبـير ... ومحمـد سـيد ولـد ادم، وأفضـل الخلـق وأكرمهـم عليـه، ومـن هنـا قـال مـن قـال أن الله خلـق مـن اجلـه العـالم ... فـإذا كان الإنسـان هـو خاتـم المخلوقـات وأخرهـا وهـو الجامـع لمـا فيهـا، وفاضلـه هـو فاضـل المخلوقـات مطلقـا، ومحمـد إنسـان هـذا العـين، وقطـب هـذه الرحـى وأقسـام هـذا الجمـع؛ كأنـه غايـة الغايـات في المخلوقـات، فـما ينكـر انـه لأجلـه خلقـت جميعهـا، وانـه لـو لاه لمـا خلقـت، فـإذا فُسر هـذا الـكلام ونحـو، بـما يـدل عليـه الكتـاب والسـنة قبـل ذلـك ...هـذا ماقالـه ابـن تيمـة الداعيـة السـلفي. فـإذا فكـرة الإنسـان الكامـل وإطلاقهـا عـلى محمـد صـلى الله عليـه وسـلم فكـرة ولـدت في رحـاب تعاليـم الديـن؛ وهـي مبثوثـة في تضاعيـف النصـوص القرآنيـة والنبويـة، ولابدعـة في القـول بهـا، إذ هـي مقارنـة بـين موجـود وموجـود، وقـراءة صحيحـة لمراتـب الوجـود، اعنـي الامـكاني بعـد بـروزه إلى العـالم العيـاني، أو كـما يقـول ابـن عـربي:» واعلـم ان مرتبـة الإنسـان الكامـل مـن العـالم مرتبـة النفـس الناطقـة مـن الإنسـان، فهـو الكامـل الـذي لا أكمـل منـه وهو محمـد صـلى الله عليـه وسـلم» فـأي فـرق بـين قـول ابـن تيمـة وابـن عـربي في هـذا المقـام. قـال في مـدح نبينـا صـلى الله عليـه وسـلم:

ألا بأي من كان ملكا وسيدا   وآدم بين الماء والطين واقف

فذلك الرسول الأبطحي محمد   له في العلا مجد تليد وطارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى   كانت له في كل عصر مواقف

أتى الإنكسار الدهر يجبر صدعه   فانثنت عليه السن وعوارف

إذا رام أمرا لا يكون خلافه وليس   لذلك الأمر في الكون صارف

ومثـل هـذا القـول إلا يقولـه إلا محـب ولا يقـال إلا في محبـوب، وهـو ثمـرة

مـن ثمـرات المحبـة؛ ونـرى أن هـذه المحبـة تطـورت عنـد عبـد الكريـم الجيـلي محبـة عمليـة لا فلسـفية، في كتابـه النامـوس الأعظـم حيـث يقـول:» أوصيـك بـدوام ملاحظـة صورتـه صـلى الله عليـه وسـلم ومعنـاه ولـو كنـت متكلفـا مسـتحضرا فعـن قريـب تالـف روحـك فيحـضر لـك عيانـا تجـده وتحادثـه وتخاطبـه، فيجيبـك ويحدثـك ويخاطبـك فتفـوز بدرجـة الصحابـة وتلحـق بهم«١.وقريـب مـن العبـارة يقولهـا اسـتأذنا السـمان:» وأوصيـك ياصفـي بـدوام ملاحظـة صورتـه، ومعنـاه وان تكلفـت ذلـك أول الأمـر؛ فعـن قريـب تتألـف روحك بـه فيحـضرك صـلى الله عليه وسـلم عيانـا، تجـده وتحدثـه وتسـأله وتخاطبـه، فتفـوز بدرجـة الصحابـة وتلحـق بهـم (الصحبـة الروحيـة لا الزمانية).وتـرى هـذا القـول في قمتـه يبلـغ عنـد أحمـد الطيـب في صلاتـه المسـماة باللاهوتيـة « اللهـم صـلى عـلى سـيدنا محمـد لاهـوت الوصـال، وعـين الكـمال ...... النبـي الـذي هيئتـه نـور فـوق نـور، ورائحتـه مسـك ونـد وورد وعنـبر وكافـور، وريقـه شـفاء لـكل عليلـة ومعلـول؛ صـلاة تشـوقنا إليـه، وتهيمنـا عليـه، صـل اللهـم وسـلم عليـه كـما تحـب أن يُصـلى ويسـلم عليـه _ ويـزداد أحمـد الطيـب تولهـا بالـذات المحمديـة، راجيـا الإصطـلام فيهـا في عاطفـة جياشـة مواصـلا فيهـا _ اللهـم أفننـا في محبتـه وعشـقه، واسـقنا مـن كاسـأت خمرتـه، وارزقنـا يامولانـا في الداريـن صحبتـه؛ وأحيينـا عـلى إتبـاع سـنته؛ وامتنـا عـلى ملتـه؛ واجعلنـا مـن رفقائـه، وشـفعه فينـا كـما يحـب أن يشـفع فينـا، واجعلنـا مـن خيـار المصلـين والمسـلمين عليـه والحمـد لله رب العالمـين اللهـم ابلـغ روح سـيدنا محمـد منـي تحيـة وسـلاما».لذلك نجـد أن الصوفيـة تفننـوا في الصـلاة عـلى النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، والصـلاة والسـلام عـلى نبينـا عندهـم عـلى مقامـين، قـال أحمـد الطيـب:» واعلـم أن كل صـلاة لهـا معنيـين صاعديـن، أحمـدي ومحمـدي«٢.

الولي الكامل

يعـرف القاشـاني الولي بأنه : مـن تـولى الله أمـره وحفظـه مـن العصيـان، ولم يخلـه ونفسـه بالخـذلان، حتـى يبلغـه في الكـمال مبلـغ الرجـال، قـال الله سـبحانه

١ قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية.٢٠٠٣. ص ٣٧٨
٢ المصدر نفسه ٣٣٩

وتعـالى: " وَهُـوَ يَتَـوَلَّى الصَّالِحِـينَ ١"

قـال رضي الله عنـه: واعلـم أن الـولي الكامـل كلـما ازدادت معرفتـه بـالله ذكـره، وثبـت وجـوده عنـد ذكـره عـلى انـه لاينسـاه، وكلـما ازدادت معرفتـه برسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم اضطـرب وظهـرت عليـه الآثـار عنـد ذكـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، وذلـك لان معرفـة الـولي لله تعـالى إنـما هـي عـلى قـدر قابليتـه ومحبتـه في الله، ومعرفـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم تنتـشر مـن معرفتـه بـالله عـلى (قـدر) قابليـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم عنـد الله، ولأجـل هـذا لايطيـق أن يثبـت لـه (أي لذكـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم) وتظهـر (عليـه) الآثـار (عنـد ذلك).وقـال رضي الله عنـه أيضـا في: تصوراتـه: بشـارة، يـا أهـل الإشـارة، مـن خصائـص النبـي صـلى الله عليـه وسـلم أن كل مـن رآه مـن الأوليـاء في تجـل مـن التجليـات الإلهيـة لابسـا خلعـة مـن خلـع الكـمال، فانـه صـلى الله عليـه وسـلم يتصـدق عليـه بتلـك الخلعـة، وتكـون لـه هديـة منـه، فـان كان قويـا لبسـها عـلى الفـور في دار الدنيـا، وإلا فهـي مدخـرة لـه عنـد الله يلبسـها متـى قـوي اسـتعداده، أمـا في الدنيـا وإلا ففـي الآخـرة، ومـن حصلـت لـه هـذه الخلعـة ولبسـها في الدنيـا أو في الآخـرة، تكـون (لـه) هـذه (المزيـة) (مـن جـراء) فتـوة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، وكل مـن رأى ذلـك الـولي في تجـل مـن التجليـات وعليـه تلـك الخلعـة النبويـة، فـان ذلـك الـولي يخلعهـا عليـه، ويتصـدق بهـا لـه، عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، وتنـزل مـن المقـام المحمـدي للـولي خلعـة أخريأكمـل مـن تلـك الخلعـة عـوض مـا تصـدق بـه عـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم٢.وقال الأسـتاذرضي الله عنـه في تصوراتـه ... فـاني والله لأجـد محبتـه صـلى الله عليـه وسـلم في قلبـي وروحـي وجسـمي، وشـعري وبـشرتي، كـما يجـد الظمـآن سريـان المـاء البـارد في وجـوده إذا شرب بعـد الظمـأ الشـديد في الحـر الشـديد. واعلـم يـا أخيـأن حبـه صـلى الله عليـه وسـلم فـرض عـين قـال تعـالى: (النَّبِـيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِـينَ مِـنْ أَنفُسِـهِم) ، وقـال صـلى الله عليـه وسـلم: لـن يُؤْمِـنُ أَحَدُكُـمْ حَتَّـى أَكُـونَ أَحَـبَّ إِلَيْـهِ مِـنْ نفسـه ومالـه ..... وقالـرضي الله عنـه: فـان لم تجدهـا أي المحبـة، فاعلـم انـك ناقـص الإيـمان، فاسـتغفر الله، وتـضرع إليـه، وتـب مـن ذنوبـك، وتولـه بـداوم ذكـره

١ نفحات الطريق. الولي. Ta٣rif-Al-Wilaya.html/٠٧/٢٠١٧/http://www.nafahat-tarik.com
٢ المصدر نفسه ص- ٤٠

صلى الله عليه وسلم والتأدب معه، والقيام بما أمر مع الاجتناب عما نهى، فإذا صليت عليه صلى الله عليه وسلم فلا حظ انه هو المصلي لا أنت، لان جميع الأشياء خلقت من نوره، حتى تستغرق فيه صلى الله عليه وسلم، فعند ذلك تكون أنسانا كاملا وارثا للحقيقة المحمدية، جامعا للكمالات المصطفوية، فأحمدالله على ما أولاك وأعطاك، وكن عبدا طالبا مقام العبودية، غارقا في بحار الاحدية، عارفا بتصرفات الوحدانية.

وهنا وعندما يصل الواصل إلى هذا المقام فانه يكون لدى الشيخ الطيب أنسانا كاملا لوراثته للحقيقة المحمدية، فيصبح وارثا لها جامعا للكاملات المصطفوية. وهو في هذا يصل نظريته بنظرية الإنسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي ت ٨٠٥ ه في مدرسة ابن عربي، لكن دون تعميق أوإضافة جديدة. فإذا مضينا في تفصيل فلسفة الطيب الصوفية نجده قد ضمن حكمه فلسفته، وذلك في ستين حكمة، يسوقها حكمة حكمة، وهو يحدثنا في البداية عن المقامات الصوفية، محددا الطريق الصوفي بأنه ذو أركان أربعة: أولها الجوع، ومن التزم به لزمته الثلاثة الأخر (العزلة، والسهر وقلة الكلام) لأنه من شان الإنسانإذا جاع قل كلامه وكثر سهره، وطابت عزلته أو كما يقول هو شعرا:

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الإبدال

مابين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العالي

ويربط الطيب هذا بحديث يرؤيه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: الصمت يورث معرفة الله، والعزلة تورث معرفة الدنيا، والجوع يورث معرفة الشيطان، والسهر يورث معرفة النفس.

أول المقامات

في كتابه الحكم نورد ان الشيخ أحمد الطيب حديثه عن أول المقامت في التصوف بقوله: أول المقامات في طريق الله: التوبة لله، والتزام طاعة الله بخوف الله، والصبر على مراد الله، والزهد فيما سوى الله. أما التوبة في نظر الإمام

الطيب ، فهي ثبوت الواحدانية له، وافتقار المذنب إليه والندم على ما مضى خوفا من وقوع عقوبة. والذنوب عنده نوعان ظاهرة كالغيبة والنميمة والكذب والزنا، وترك الصلاة والربا. وباطنة كالكبر والعجب والحسد والرياء والحقد والبخل والطمع. أما التزام طاعة لله فهي الامتثال للأوامر واجتناب النواهي ، أما الصبر على مراد فهو يعني مجال ما يحب العبد ويكره مع الله، الذي إليه المصير. وهو مايفسر لنا قول ابن الفارض من النفس، بان العبد إذا صبر ولازم الصبر أورثه الله الرضا بالقضاء أو كما يقول (ابن الفارض)

فأورثتها ما الموت أيسر بعضه واتبعتها كيما تكون مرتجى

والموت أيسر الصبر. أما الزهد فيما سوى الله فمعناه عند الطيب الزهد عن غير الله بحيث لا يحب القلب إلا الله، ولا يتأتى حب القلب لله وفيه فضلة من حب الدنيا. ولاشك أن في هذا توكيدا للحديث الشريف: (ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، أنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك). وعلى هذا الصراط يجب أن يتنبه المريد الدخول في الطريق، فعليه أن يكون على بينة ويقين من نظر الله إليه، بالفكرة وجمع الهمة، ومنع القلب من الاستغراق في الشواغل الدنيوية، لان نظر الله سبل علينا أبدا) أما كيفية الحضور مع الله والمراقبة لله وإتباعأمر الله، والحياء من الله في كل وقت والشعور بنظر الله في كل زمان وداوم الخوف من الله، فمن وفقه الله تعالى على ذلك كان من أهلحضرة الله١.

وعلى هذا الأساس يدعو الشيخ الطيب المريد هاتفا به (أيها المريد الجاهل إقبالك، حط بالك لنظر الله إليك في جملة أذكارك، تكن من أهل حضرته في غدوك وآصالك) لكن الحضور أمام الله ليس مرتبة واحدة، فهو عند الطيب درجات ثلاث: الأولى وهي المراقبة ومعانها تحقق العبد برؤية الله له أينما كان. الثانية المشاهدة، ومعنى رؤية العبد الحق في كل ذرة من ذرات الوجود العليا وهي الشهود، ومعانها رؤية العبد الحق (به، بالحق، للحق). ويخطو بنا الشيخ الطيب إلى توكيد مدرسة وحدة الوجود في مذهبية فكرة الصوفي فيقول: أن الواصل العارف يدرك في النهاية أن فعله خيال ووهم،

١ المصدر نفسه - ٨٣

وحياته خيال ووهم، ووجوده خيال ووهم، وان وجودنا لهذا غير حقيقي على الإطلاق فالوجود هو الله. لقد تحولت لا اله إلا الله في مدرسة وحدة الوجود إلي لا موجود إلا الله.

الطريق إلي الله

السير إلي الله عبارة عن الترقي في مدارج القربى ومعارج الوصول إلي معرفة الله سبحانه وتعالى، وهو سير بالأرواح لا الأشباح في قطع الحجب والعوائق والعلائق، والتخلي عن الرذائل، والتجمل بالفضائل، والتحلي بالقرب والمحاب، والتزين بالخلع الربانية، والهبات الإحسانية، والتخلق بمكارم الأخلاق وبشمائل المصطفي صلى الله عليه وسلم، حتى يصفى ولذلك عبر عنه أهل الاصطلاح في هذا الفن بالسير تارة وبالسفر تارة أخرى، وشبهوا السالك فيه بالمسافر الذي لابد له من دليل يقوده حتى يسلم من قطاع الطريق وعوائقه، ودلوه على ضرورة اتخاذ الراحلة وزاد المسافر واصطحب الرفاق، إذ الرفيق عندهم قبل الطريق، ثم لابد من اتخاذ السلاح إذ الطريق مخوف والعدو مخادع مخاتل، فينتزع الشيخ أحمد الطيب صورة السفر المعنوي من صورة السفر الحسي تقريبا للمعنى حيث يقول مبينا لمعينات الطريق ولوازمه: « السير إلي الله تعالى لا يكون إلا بهذه الأحرف الخمسة وهي (خـزززس):

فالخاء : خبير عارف بالله تعالى.

والزاي الأولى: زاد وهو التقوى.

والزاي الثانية: الزاملة وهي الهمة التي تصل بها إلي عين النعمة.

والراء: رفاق وهم الإخوان المساعدون على الطريق.

والسين: سلاح ترهب به العدو، الأسماء واشتغال القلب بمعانيها في كل حال وعلى كل حال.

فمن سافر إلي حضرة الله تعالى بهذه الخمسة، نال السعادة الأبدية والنعمة

السرمدية إذ أنها أصل السلوك في طريق الأولياء القربين والتمكين والمشاهدة والتلوين. ولأهل هذا الفن من المعينات الخمسة شروط وآداب ومواسم، لابد من الوقوف عليها[1].

أولا: الخبير

أ/ وهو العارف بالطريق والمراد به الشيخ المربِّي والمرقِّي... ورتبة المشيخة من اعلي الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعوة إليه، وهو الوارث للكمال المحمدي، وهو الحجة القائمة لله سبحانه وتعالى الذي لا ينقطع وجوده ما دام الوجود، إذ هو علة وجوده فلا يخلو الزمان منه بحال و « إذا أراد الله إن يطلعك على ولي من أوليائه، طوى عنك وجود بشريته، وأشهدك سر خصوصيته) كما يقول الشيخ الطيب في حكمته التاسعة والخمسين. قال تعالى: (... الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا)[2] إي فاسأل عنه الخبير، وهو الوارث على القدم المحمدي بقدر أتباعه ومحبته لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. وهو الذي قطع الطريق جيئة وذهابا، فعرف منه كل سهل وجبل، وبر وبحر، وأودية ومتالع، ووهاد ومغاور، وقيعان ومهامه. يقول الشيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني نور الله مرقده" ... فالمشايخ هم الطريق إلي الله عز وجل والإدلاء عليه، والباب الذي يدخل منه إليه، فلابد لكل مريد لله عزَ وجلَ من شيخ. إلا على الندور والشذوذ، فيجوز أن يصطفى الله عبدا من عباده فيتولى تربيته، وحراسته من الشيطان، وهنات النفس والهوى ... كإبراهيم النبي ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهما. و أويس القرني من الأولياء وغيرهم رحمهم الله فلا ينكر، إلا انا أ بيَنا هو الأغلب والأكثر والأسلم والأحسن فلا ينبغي له أن ينقطع عن الشيخ حتى يستغني عنه بالوصول إلي ربه عزَ وجلَ ...". وقد اثبت ابن القيم مشيخة الإمام الهروري يقظة ومناما مع الفارق الزمني بينهما وما فتح الله عليه يقظة ومناما. " والله يشكر لشيخ الإسلام سعيه ويعلي درجته ويجزيه أفضل جزاءه ويجمع بينهما وبينه في محل كرامته ... كيف وقد نفعه الله بكلامه، وجلس بين يديه مجلس التلميذ من

---

[1] قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية- ٢٠٠٣-ص- ٢١٥

[2] سورة الفرقان، الآية (٥٩)

أستاذه وهو احد من كان على يديه فتحه يقظة ومناما"١ .

ب- أن يكون جامعا للعلوم إنأمكن كما قال الشيخ الجنيد: " من لم يحفظ القران ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لا نعلمنا مقيد بالكتاب والسنة". ويرى ابن عجيبة أن هذا تشدد يقول:" أما العلم الظاهر فالمطلوب من تحصيل ما يحتاج إليه في نفسه، ويحتاج إليه المريد حال سيره، وهو القدر الذي لابد منه في إحكام الطهارة والصلاة ونحو ذلك، إذ كثير من العلوم لا مدخل لها في السير والسلوك كالقضاء والحدود ... وإلا لزم منه الحط من رتبة كثير من فحول الطريقة وأعلام الوجود".

يقول الحفيد الشيخ عبد القادر الجيلي خليفة السمانية في طابت شعرا:

السير بالأرواح لا الأبدان	يا سالكا لطريقة العرفان
و السر إخلاص العبادة دائما	لله لا لهوى و لا لأماني
فاذكره ذكر أحبة هاموا به	في سيرهم عن سائر الأكوان
و تحققوه الذكر و المذكور بل	و الذاكر المشهور في الفرقان
إن شاء أكرمهم بجمع حقيقة	أو شاء أكرمهم بفرق ثاني
و هنا يرد إلى الشريعة منة	و يكلفوا بإقامة الميزان
ليهذبوا و يؤدبوا لمريدهم	بالسنة الغراء و القرآن
من لم يكن متقيدا بحقيقة	ما ذاق كأسات الطلا الرباني
فاتبع إمام المرسلين محمدا	و كتابه في السر و الإعلان
لكن بصحبة عارف متمكن	لتردك منه حقائق الإيقان
الشيخ شرط في الطريق و من يزغ	عنه فمرجعه إلى الشيطان

١ المصدر نفسه - ص- ٢١٦

لا وصل إلا بالشـــــيوخ لأنهم خلفاء رســـل الله في الأزمان

فألزم محبتهم و خــــــذ لطريق من يدنيـــك للمولى بغيـــر تواني

كالأوحـد السـمان شيخ طريقنا و الطيب القطب العظيم الشان

و منور الألبـــــاب نور الدائم الفياض سر خلاصة الأعيـــان

و وريثهم محمـــود محيي طريقهم مـــن فيضه كــالوابل الهتـان

طوبى لمن أخـــذوا طريقهم على حب و إخلاص و صدق جنان

و محبهم دنيا و أخــــرى آمن بحـماية من ذي الجلال الداني

يا رب ثبتنا عــلى منهاجهـم و أخـتم لنا يا رب بالإيمان

و أغفر لخادمهم تراب نعالهـم العبد عبد القادر الجيـــلاني

ثم الصـــلاة عــلى النبي محمد ما غردت ورقاء في الأعضـان

و الآل أعلام الهدى ما أنشدت الســير بالأرواح لا الأبدان

ثانيا: التقوى

قـال زيـن الديـن الـرازي في حدائـق الحقائـق" والتقـوى والتقـي، واحـد وهمـا في اللغـة بمعنـى الاتقـاء، وهـو اتخـاذ الوقايـة، وهـو مانـع الإنسـانأي يحفظـه ويحـول بينـه وبـين مايخفـه، مثالـه الـترس ونحـوه مـن الأجسـام، والتقـوى عنـد أهـل الحقيقـة اجتنـاب كل مايبعـد عـن الله، وقيـل هـي الاحـتراز بطاعـة الله تعـالى مـن عقوبيتـه، وقيـل هـي أن يجتنـب العبـد ماسـوى الله تعـالى". قـال ابـن مسـعود:" في تفسـير قولـه تعـالى:(يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ)[1]

[1] سورة آل عمران - الآية (١٠٢)

أن يطاع فلا يعصى.

وان يذكر فلا ينسى.

وان يشكر فلا يكفر.

وقال ابن عطا: التقوى: ظاهر وباطن، فظاهرها: مايحفظ حدود الشرع، وباطنها: النية والإخلاص».ولذلك أمر الشيخ أحمد الطيب باصطحابها في المسير، إذ هي إتباع الأوامر وترك الشبهات، والوقوف عند حدود الشرع لا يتقدم عنها ولا يتأخر، والوقوف عند الشبهات، فان عدم الوقوف عنها إشراف على السيئات حتى إذااطمأنت النفس بها، أفاض الله بها بركاته فانقمعت احابيلها وأوهاقها، وأصبح ديدنه في الأخذ والعطاء، وحاله من الحركة والسكون، وسمته في الكلام والصمت، وحليته إذا بطن، وزينته إذا ظهر، فصح منه المظهر والمخبر، وإنما يتقبل الله من المتقين، فلا تنال القربى من الله بمعاصيه[1].

ثالثا: الهمة

قال الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجيلي في تعريفها:» هي قوة انبعاث النفس لتحقيق مقصدها، والهمة بهذا التعريف ناتج من نواتج الإرادة، ولهذا يسمى المسترشد مريدا متى سلك طريق العرفان ومتعلق الإرادة هو الذي يشكل نوع الهمة». وهي عند الشيخ عبد القادر الجيلاني «نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وتعالى، وترك ما سواه، فإذا ترك العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا والآخرة فتتجرد حينئذ إرادته، فالإرادة مقدمة على كل امر ثم يعقبها القصد، ثم الفعل، فهي بدء طريق كل سالك واسم أول منزلة كل قاصد قال تعالي:) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ[2](وهي بمعنى الدافعية، ومعناه: العزم وصدق المقصد». ويسمى الفاعل لها مريد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: المريد من لا إرادة له، وكل مريد مراد في الحقيقة، لان مراد الله تعالى أن يكون مريدا لا محالة، وكل مراد

١ المصدر نفسه -ص- ٢٢٢

٢ سورة الإنعام - الآية (٥٢)

مريد أيضا هذا هو الصحيح. قال الإمام القشيري وغيره: المريد المبتدئ، والمريد المنتهى. وقيل كان موسى مريدا عليه السلام فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي)١، وكان محمد مرادا فقيل له: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)٢. وكذلك قال موسى: ربي ارني انظر إليك قال الله لن تراني، وقال لمحمد : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...)٣... والإرادة مطلوبة شرعا قال تعالى: (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)٤ وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله » قالوا: وكيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت)٥

وقيل من علامات المريد أن يكون:

❋ أكله فاقة.

❋ ونومه غلبة.

❋ وكلامه ضرورة.

وتتجلَى قوة الهمة في حمل المريد إلي منتهى قصده، وهو معرفة ربه، كأنه يراه، فإذا تمكنت منه هذه المعرفة، فقد وصل إلى عين النعمة التي عناها الشيخ أحمد الطيب قدَس الله سره.

قال أبو علي الكاتب:» الهمة معرفة الأشياء، فمن صحح همته بالصدق، أتت عليه توابعه على الصحة والصدق، فان الفروع تتبع الأصل، ومن أهمل همته أتت عليه مهملة، والمهمل من الأحوالوالأفعال لا يصلح لبساط الحق»٦.

١ سورة طه - الآية (٢٥)
٢ سور الشرح - الآية (١)
٣ سورة الفرقان - الآية - (٤٥)
٤ سورة الإنعام - الآية (٥٢)
٥ جامع الترمذي، كتاب القدر، باب أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار، رقم الحديث ٢١٤٢ ص- ١٨٦٦
٦ المصدر نفسه - ص- ٢٢٣

رابعا الرفقة

وهم الرفاق والإخوان المساعدون على الطريق، وهم الذين يأنس بهم السالك، ويترفق بهم الناسك، يجدُّ معهم إذا جدَوا، ويحمل معهم إذا حملوا، ويتحمل عنهم ما لم يتحملوا، وبوجودهم تظهر مروءته، وتبن نخوته، وتتجلى فتوته، ويسفر بمرافقتهم عن سني الأخلاق وكريم الخصال. لا يكلفهم ما لايطيقون، ولا يبحث عن زلاتهم ولا يؤاخذهم بجناية، ولا يحسدهم إذا حسدوه، ولا يظلمهم إذا ظلموه، وليكن حاله معهم حال يوسف عليه السلام مع إخوته، ويدعو لهم ولا يدعو عليهم، ويتواضع معهم حتى يصل معهم إلى الحي، قال تعالى: (...إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)[1]

خامسا: اخذ السلاح والحذر من العدو:

فان المسافر إذ لم يكن معه سلاحه طمع فيه العدو ولم يرهبه، والطريق مخوف، وعليه قطاع مخادعون مخاتلون، قد مردوا على المكر وبرعوا فيه، والسلاح هو اسم الله. فباسم الله يخنس الشيطان وتذل النفس» واسم الله له ظاهر، وله باطن، وله روح « وهو من العارف له تأثيرهاإذا استوفى شروطه، ولذلك يقول الشيخ أحمد الطيب: « إن للاسم جسدا ونفسا وروحا فان اختل منهن شي فانه لا ينتج أبدا (أي لا يصلح كسلاح نافذ فعال يحرق الشيطان). «

وأما جسده فجامع الأنوار، وأما نفسه الشعور بالعظمة، وروحه نفي الحول والقوة».

ومن أراد أن يضرب به فعليه بسبعة أمور:

١ – استحقار ما سوى الله.

٢– تعظيم أمر الله كشفا.

٣– إسقاط الأكوان شهودا.

---

١ سورة العصر، الآية (٣)

٤- الفناء في الجمع استغراقا.

٥- تعلق الهمة بالله أبدا.

٦- مراقبة الأنفاس سرا وجهرا.

٧- ذكر الله الأعظم ظاهرا وباطنا إلي أن يبدو منه الوله ما يستغرق وجوده فيه، فيفنى وجوده في حقيقة شهوده لا يرى غير، ولا يحس بمن سواه». وللشيخ أحمد الطيب فلسفة بسطها في مقدمة كتابه الحكم وقد شرح بعضها بأسلوب أشاريمنها « اعلم أخي أن الباء إشارة إلى عين القدرة:

والسين إشارة إلي سريانها في الأشياء

والميم إشارة إلي إحاطتها»

ويشبه أسلوبه أسلوب عبد الكريم الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيمفليراجع١.

بدايات الطريق إلي الله

وعن بدايات الطريق إلى الله نجد الشيخ أحمد الطيب يقول: وبداية السير إلي الله تبدأ من الانتباه من رقدة الغفلة، والندم على مافرط المريد في جنب الله، ويعقب هذا الندم إرادة صادقة في طلب الحق سبحانه وتعالى، ثم بفضل هذه الإرادة قصد ففعل، وبحث عن الشيخ الكامل والمرشد العارف والخبير بالله سبحانه وتعالى، وهو الوارث على القدم المحمدي، السالك للطريق جيئة وذهابا، العارف بإسراره ولن تتم بداية السالك إلا بالكون مع الشيخ، وحوارييه بعد استيفاء الشروط التالية:

ا- التعرف على الشيخ الكامل

وهو من ظهرت عليه اثأر الخصوصية بان طوى الله للمريد صورة بشريته، ودله على قرائن خصوصيته، ورفع عنه حجاب المثلية، وهو حجاب خطير

١ المصدر نفسه ٢٢٥

وشره مستطير، واعلم انه ما أضل أهل العناد إلا قولهم للرسل (...ما أنتم إلا بشر مثلنا)١ وكما يقول ابن عطاء الله:» إذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك شهود بشريته، واشهد وجود خصوصيته، كما انه لا يلزم من ثبوت خصوصيته عدم وصف البشرية»، فان أشهدك الله خصوصيته فقد ظفرت بالإكسير الذي يصير النحاس ذهبا، ويصير التراب تبرا، فاشدد يدك على يده واسلم له العنان حتى يربيك ويرقيك ويصل بك إلى ربك ويقول لك عند باب حضرته: ها أنت وربك.

٢- اصطحابه: وفيه ثلاث فوائد كما ذكرها أهل الفن قال ابن عجيبة:» وفائدة الصحبة ثلاثة أمور:

احدهما: أنها حصن من الانقلاب والرجوع، فان رؤية الشيخ والجلوس معه ترياق مجرب فلا تميل النفس إلى الفضول أبدا ما دام مع الشيخ، وقال شيخ شيوخنا سيدنا علي رضي الله عنه الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة، والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام، والجلوس مع العوام أفضل من الجلوس مع المتفقهة الجاهلين، والجلوس مع علماء الظاهر أقبح في حق الفقير من جميع ما تقدم.

الثاني: أن علم القلوب إنما يقوى مده بالصحبة فمن تحقق بحال لا يخلو حاضره منها، الطبع يسرق الطبع من حيث لا يعلم، والمرء على دين خليله، والمؤمن مرآة أخيه وما كان في المرآة انطبع في المرأة المقابلة.

الثالث:» الإنسان مبتلى بنفسه، فإذا انفرد وحده ظهر له انه على شي وليس كذلك» ومثال الشيخ هذا عجيب أما ترى القارئ إذا لم يمهر في قراءة القران إذا جلس وحده ولم يجد من يصوب، يرى أن قراءته كلها سليمة، وإذا جلس عند من يصوبه وجد نفسه لا يستطيع أن يقرا ثُمنا واحدا صحيحا.

٣- اخذ العهد عليه: وهو عهد على الطاعة فقط، من صيغها في طريق الشيخ أحمد الطيب قدس الله سره» هو أن يلقن الشيخ مريده قبل الكلمة الشريفة (لا اله إلا الله) وآية المبايعة بعد أن يمسك إبهام المريد من يده اليمنى:

١ سورة إبراهيم - الآية (١٠)

رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقران دليلا وبالكعبة قبلة، وبالشيخ فلان شيخا ودليلا إلى الله ورسوله وبالمؤمنين إخوة. الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا ثم يقرا الاستغفار مرتين، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، ولا اله إلا الله ثلاثا نافيا عن يمينه مثبتا عن شماله، وبعدها يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا ثم «هو» إحدى عشرة مرة، ثم اسم الإشارة المذكور آنفا، ثم يقول لا وجود بغير الذات المنزهة عن التشبيهات، ثم يقرا (صلاة تنجينا) ثم يقول سلكت هذه الطريقة القادرية الجنيدية العلوية المحمدية الجبرائلية الإلهية اللهم انفعنا بها» ثم يحركان يديهما من الاشتراك ويرفعاهما للفاتحة ثم يقبل يد شيخه ويشتغل بما أمره به من الأوراد.

٤- التزام الورد: « وهو الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله، وهو المأخوذ بالإذن والتلقين من شيخ واصل راشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية لاما يأخذه الإنسان بنفسه».

وينقسم إلي قسمين ورد الأساس ويفعل دبر كل الصلوات المكتوبات لاستفتاح الذكر الليلي أو النهاري ويحتوي من الشيخ على:

١- الاستغفار.

٢- الصلاة على النبي.

٣- التهليل.

٤- وقراءة شي من القران، كسور مخصوصة أو سورة.

٥- الالتزام بالجماعة: وهم الشيخ الكامل ومريدوه، وعدم التخلف عنه عند الملمات، وعدم السفر من عنده إلا بإذن، وحضور المواسم والمناسبات التي يقيمها الشيخ تقوية لرابط الجماعة التي يربيها.

٦- الالتزام بطاعة الله عز وجل سرا وعلنا: ولا رابط بين الشيخ وتلميذه إلا تقوى الله سبحانه وتعالى ولذلك الطاعة تجمع والمعصية تفرق. ولذلك يقول

الشيخ أحمد الطيب طريقتنا هذه على عدد حروف (نقط جم) أي المكافئ العددي لعدد حروفها ومجموعها بحروف الجُمُل الكبير (مائتان واثنان) وهي تُعد كالأتي: الباء تعادل العدد اثنين، الراء تعادل ماتين ومجموعها مائتان واثنان، تعادل كلمة ن بر وهي إشارة من الشيخ إلي التعاون على البر والتقوى قال تعالى:(... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى ...)١

أمهات مقامات السير

وعن أمهات مقامات السير في طريق القوم نرى أن الشيخ أحمد الطيب البشير قد أجملها في أربع:

أولا التوبة: يقول الشيخ أحمد الطيب :» أول المقامات في طريق أهل الله التوبة لله، ، أشير بذلك إلى ثبوت الواحدانية له، وافتقار المذنب إليه، والندم على ما مضى، خوفا من وقوع عقوبة الله عليه»، وهي تتضمن « انتباه القلب عن رقدة الغفلة، ورؤية العبد ماهو على من سوء الحال» وثمرة هذه الرؤية الندم والخوف من العقوبة عليه، ويقول صاحب مدارج السالكين :» فانتقل إلي منزلة وهو العقد الجازم على السير، ومفارقة كل قاطع معوق، ومرافقة كل معين وموصل، وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده ، فإذا استيقظ اوحت له اليقظة الفكرة وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا ؛ ولا يهتد إلي الفضيلة وطريق الوصول إلا به».

قال الأمام زين الدين الرازي :»واعلم أن التوبة أصل هذا الطريق وأساسه، فمتى تمت التوبة وخلصت لله، صح ما بنى عليها وأتم وأثمر، ومتى فسدت باختلال بعض شروطها، أو بان يشوبها شي من الإغراض الدنيوية، كطلب السمعة والشهرة، واجتذاب قلوب الناس وما أشبه ذلك، كان البناء عليها كالبناء على شفا جرف هَارٍ» ولذلك وصفها الشيخ أحمد الطيب أول مقامات السير إلى الله، ثم يلتفت إلى المريد قائلا له:» واعلم أيها الغافل المعتبر الناظر أن الذنوب التي تجب التوبة منها على قسمين: ظاهرة وباطنة وهي كثيرة في القسمين، وهاأنذا اذكر لك من الذنوب الظاهرة سبعة

١ سورة المائدة - الآية (٢)

ومـن الباطنـة سـبعة (مقتـصرا عـلى ذلـك) خـوف الإطالـة . فمـن تنحـى عـن السـبعتين نرجـو أن ينجيـه ويمنعـه بفضلـه جمعيـا انـه عـلى ذلـك قديـر».

ومن الذنوب الظاهرة التي عدها الشيخ

١ - الغيبة.

٢ -النميمة.

٣- الكذب.

٤ - الزنا.

٥ - شرب الخمر.

٦ - أكل الربا.

٧- ترك الصلاة.

ومن الذنوب الباطنة:

١ - الكبر.

٢ - العجب.

٣- الرياء.

٤ - الحسد

٥ - الحقد.

٦ - البخل.

٧- الطمع.

ثـم يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب بعـد السـبعتين الظاهـرة والباطنـة» وإذا علمـت

ذلـك أدركـت أن شرط التائـب أن يتـوب لله مـن كل وصـف ذميـم».

مراتب التائبين

يقسـم الشـيخ أحمـد الطيـب التائـب عـلى نحـو تراتبـي ينتقـل مـن المفضـول إلي الأفضـل عـلى النحـو التـالي:

توبة المريدين المبتدئين من المحرمات كلها.

توبة المريدين المتوسطين من المكروهات كلها.

توبة المريدين الواصلين من كل غفلة من رب العالمين.

أمهات الكبائر عند أهل التخصص

ثـم يتحـدث عـن أمهـات الكبائـر عنـد أهـل التخصـص مثـل أنـا، ونحـن وعنـدي ولي، وهـذه ليسـت محرمـة عـلى إطلاقهـا ولكـن في مواطـن مـع الطيـب قـدس الله سره:» قـال أكابـر الصوفيـة: لان أول مـن قـال أنـا إبليـس (قَـالَ أَنَـا خَـيْرٌ مِّنْـهُ خَلَقْتَنِـي مِـن نَّـارٍ وَخَلَقْتَـهُ مِـن طِـينٍ...)١ وهـي حقيقـة الكـبر الـذي منعـه مـن السـجود. و أول مـن قـال: نحـن قـوم بلقيـس، (قَالُـوا نَحْـنُ أُولُـو قُـوَّةٍ وَأُولُـو بَـأْسٍ شَـدِيدٍ ...)٢ (وإنهـم لم ينسـبوا القـوة لله). و أول مـن قـال عنـدي (قـارون) سـأله قومـه عـن سـبب مالـه فقـال: إنماأوتيتـه عـلى علـم عنـدي. و أول مـن قـال: لي؛ فرعـون (... قَـالَ يَـا قَـوْمِ أَلَيْـسَ لِي مُلْـكُ مِـصْرَ وَهَٰـذِهِ الْأَنْهَـارُ تَجْـرِي مِـن تَحْتِـي ۖ أَفَـلَا تُبْـصِرُونَ)٣.

وفي الحقيقـة: أن (أول) عنـد الشـيخ هنـا بمعنـى مـن اشـتهر بذلـك كما ذكـره الله في كتابـه، والشـيخ عندمـا اشـترط التوبـة؛ لان التوبـة أول القـدم في الطريـق إلي الله فـلا وصلـة لله سـبحانه وتعـالى بمعاصيـه؛ ولذلـك بعـد أن ذكـر أمهـات الذنـوب الظاهـرة والباطنـة أمـر المريـد باجتنابهـا ثـم طالبـه بالتوبـة مـن جميـع مايعـصي الله به٤.

١ سورة الأعراف ، الآية (١٢)
٢ سورة النمل ، الآية (٣٣)
٣ سورة الزخرف، الآية (٥١)
٤ المصدر نفسه ٢٣١

ثانيا التزام طاعة الله بخوف الله

والتـزام طاعـة الله مـن الإعـمال الايفيهـا إرادة وهـي كسـبه ولكـن بفضـل الله سـبحانه وتعـالى يـسره لليـسرى، فـإذا التـزم طاعـة الله في أول أمـره، لا يكـون إلا عـلى خـوف مـن التقصـير بعـد التوبـة، وخـوف مـن عـدم قبـول العمـل، وهـو خـوف يراعـي فيـه حـظ نفسـه، ولكـن إذا سـار عـلى هـذا النهـج ، ، ، سـلمت لـه العاقبـة بـإذن الله وكان لـه التفـات إلي الأجـر، فهـو ينظـر إلى سـوء عاقبـة المعصيـة بعـد التـزام الطاعـة، ويخشـى عـلى نفسـه مـن الطـرد والإبعـاد وعـدم قبـول العمـل ؛ ولذلـك يحمـل نفسـه عـلى امتثـال الأوامـر وتـرك النواهـي واصطحـاب الخـوف عنـد المريـد السـالك والمحسـن _ عنـد أحمـد الطيـب قـدَس الله سره _ عـلى السـواء، إمـا المريـد فحتـى لا يضيـع أجـره ؛ وأمـا المحسـن فـلا يـدري مـا عاقبتـه. قـال ذو النـون:" النـاس عـلى الطريـق مـا لم يـزل عنهـم الخـوف فـإذا زال عنهـم الخـوف ضلـوا". وسـئل الجنيـد عـن الخـوف فقال:"توقـع العقوبـة مـع مجـاري الأنفـاس" قـال بـشر الحـافي:" الخـوف ملـك لا يسـكن إلا في قلـب متـق". "فالخـوف مـن الله يـا أخـي أولى بـكل مسـلم ومؤمـن ومحسـن" أي في مراتـب الديـن الثـلاث الإسـلام والإيـمان والإحسـان، وينقـل لنـا الشـيخ أحمـد الطيـب القـول المنسـوب للإمـام أبي الحسـن الشـاذلي "السـعيد مـن علـم الله موتـه عـلى الإيـمان ولـو كان كافـرا، والشـقي مـن علـم الله موتـه عـلى الكفـر ولـو كان مسـلما "ولذلـك يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب قـدس الله سره: فاعتـبر في حـال نفسـك وانظـر في أي جانـب أنـت، فـان لم تعلـم فألـزم الخـوف منـه تعـالى.

ثالثا: الصبر على مراد الله

الصبر عند الشيخ أحمد الطيب

الصـبر لغـة: أصلـه الحبـس والمنـع والإمسـاك، والصـبر نقيـض الجـذع، وفي الصحـاح، الصـبر حبـس النفـس عـن الجـذع، وقـد صـبر فـلان عنـد المصيبـة يصـبر صـبرا وصبرتـه أنـا حبسـه قـال تعـالى: ﴿وَاصْـبِرْ نَفْسَـكَ مَعَ الَّذِيـنَ يَدْعُـونَ رَبَّهُـم بِالْغَـدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيـدُونَ وَجْهَـهُ﴾. واللسـان لابـن منظـور، وفيـه أيضـا: «

واصل الصبر الحبس وكل من حبس شيئا فقد صبره»[1].

والصبر عند الشيخ أحمد الطيب "احتمال المكاره في سبيل الغايات" والصبر عنده مقامات والصبر على مراد الله هو أول المقامات، ويليه الصبر على مراد الله ثم أن لا يكون للمريد مراد مع الله" _ يعني الفناء في الإرادة الربانية، بحيث لا تبقى له إرادة مع إرادة الله _ وصبر فيما يحب العبد ويكره أدبا مع الله"، وثمرة الصبر هو الرضا بالقضاء".

وأعظم الصبر ما حكى عن دلف الشبلي: انه وقف رجل على الشبلي:

فقال: أي الصبر اشد على الصابرين؟

قال: الصبر في الله.

قال السائل: لا.

قال: الصبر من الله.

قال: لا.

قال: فالصبر مع الله.

قال: لا.

قال: من هو؟

قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تزهق".

مبأدي الصبر:

١- على كل أمر ونهي بالإتباع في مشاق التكليف.

٢- منع النفس من الكسل والفتور في العبادة ،،، إناء الليل وأطراف النهار.

١ عبد الرازق الكاشاني. معجم مصطلحات الصوفية. دار المنار- القاهرة، ص ٢٤٠- ١٩٩٢

٣- الصبر على أذى الخلق.

ويـرى الشـيخ أحمـد الطيـب أن مـن أسـمائه الصبـور، "ويـرى أن العبـد لا يسـمى صبـورا لأنـه مفطـور عـلى العجلـة ،،، والحـق سـبحانه وتعـالى منـزه عـن العجلـة فهـو الصبـور لأنـه ينظـر العاصيـن في معاصيهـم ولا يعذبهـم في الدنيـا ،،، كـما يـرى الشـيخ أحمـد الطيـب أن الصـبر عـلى القضـاء والبـلاء أحسـن مـن الشـكر عـلى النعـماء"، وفيـه نظـر، للنـاس فيـه مذهبـان، مذهـب مـن انتـصر للصـبر عـلى الشـكر ومذهـب مـن انتـصر للشـكر عـلى الصـبر، فقـال الذيـن رأوا أن الشـكر عـلى النعـماء أفضـل مـن الصـبر عـلى القضـاء والبـلاء، قالـوا: أن الشـكر عبـادة اختياريـة (...ءأَشْـكُرُ أَمْ أَكْفُـرُ....)[1]

رابعا الزهد فيما سوى الله

الزهد

الزهـد: " إسـقاط الرغبـة عـن الـشي بالكليـة". والزهـد لغـة: ضـد الحـرص: وفي لسـان العـرب (زهـد)، الزهـد والزهـادة في الدنيـا ولا يقـال الزهـد إلا في الديـن، والزهـد ضـد الرغبـة والحـرص عـلى الدنيـا[2].

وجـاء في معنـى الزهـد قولهـم: "انـصراف الرغبـة عـن الشـئ إلى مـا هـو خـير منـه"، أو "تـرك الميـل إلي الشـئ وهـو ضـد الرغبـة، والزهـد هـو الإعـراض عـن الشـئ" "لاسـتقلاله واحتقـاره وارتفـاع الهمـة عنه".وشـاهده في كلام الله (لِكَـيْ لا تَأْسَـوْا عَـلَى مَـا فَاتَكُـمْ وَلا تَفْرَحُـوا بِـمَا آتَاكُـمْ ...)[3].

قال الإمامأحمد بن حنبل: "الزهد على ثلاثة أوجه:

زهد العوام: وهو ترك الحرام.

زهـد الخـواص: وهـو تـرك مـا زاد عـلى قـدر الـضرورة مـن الحـلال أيضـا بمعنـى تـرك الفضـول مـن الحـلال.

١ سورة النمل، الآية (٤٠)

٢ عبد الرازق الكاشاني. معجم مصطلحات الصوفية. دار المنار- القاهرة، ص ٢١٠- ١٩٩٢

٣ سورة الحديد، الآية (٢٣)

زهد العارفين: وهو ترك كل شي سوى الله تعالى".

قال سليمان الداراني:"الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى "ومثله ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الزهد قال:(أن نزهد فيما سوى الله). وهو قول زين الدين الرازي:" زهدوا في الآخرةأيضا حيث كان زهدهم ترك كل شي سوى الله".

وهذه الأقوالالأخيرة تؤازر مقام الزهد الذي أراده الشيخ أحمد الطيب قدس الله سره، لأنهرأس الدين، وعماد الصالحين، وقمته زهد العارفين لاستيحاشهم عن كل شي، وغيبتهم في الله عن كل شي ،،، وهو قول ابن عطاء الله:"وغاية منتهى الزهد أن لا يحب القلب إلا الله، لا الدنيا ولا الآخرة. فاثروا الخالق على المخلوق، إلا ما أثره الخالق من مخلوقات فتعلقهم به من حيث تعلقه بالخالق".

وهو معنى النصر آبادي" الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة،،، لأنه يريد رؤية ربه ولا يؤثره بأحد سواه"[1].

المعرفة بالله

في الحكمة السادسة وعن المعرفة بالله يقول الشيخ أحمد الطيب:"المعرفة بالله من الله أن تشهد الله كأنك تراه"يورد الشيخ ويقول أن: المعرفة هي الجزم المطابق للحق، لا الباطل، عن دليل. والحق هو الله والباطل كل ماسواه، ومرجع ذلك إلي نفس الوجود الحقيقي، لا الوهمي، والمقصود من المعرفة هنا، المعرفة الكاملة الإحسانية لا المعرفة الإسلامية أو الإيمانية، فمن أعظم فضل الله على عبده، أن يعرفه بأكمل معرفته، فإنها مختلفة بختلاف مراتب الدين الثلاث دنيا ... ووسطى ... وعليا[2].قال صاحب سير السلوك إلي ملك الملوك: المراتب ثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، فالإسلام أول مراتب الدين لعامة المؤمنين، ثم الإيمان أول مدارج القلب لخاصة المؤمنين، ثم الإحسان، أول مدارج الروح لخاصة المقربين، ومعرفة كل فرد بالله بحسب

١ المصدر نفسه ٢٣٥
٢ أحمد الطيب البشير. كتاب الحكم ص- ١١٧

مرتبته، فافهم. ومبنى هذه الحكمة على اعلي المعرفة وهو مقام الإحسان.

وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلي ذلك في الحديث المشهور الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : « يا محمد أخبرني عن الإسلام « ، فقال له : (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا) ، قال : « صدقت « ، فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : « أخبرني عن الإيمان « قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، قال : « صدقت « ، قال : « فأخبرني عن الإحسان « ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: صدقت. فقال صلى الله عليه وسلميا عمر :أتدري من السائل قلت : «الله ورسوله أعلم « ، قالذلك جبريل عليه سلم أتاكم يعلمكم دينكم.

قلت: ومعنى أن لم تكن تراه، أي أن لم تكن في المرتبة الاحسانية فانه يراك ببصره القديم القائم بذاته، المتعلق بجميع مخلوقاته الموجدات، يرى ذاتك ومافيها ظاهرا وباطنا، حتى شعرك شعرة شعرة بالتفصيل، ويرى ماهو أدق من ذلك منك، وأنت لا تراه، لاترى ذاته. ولكن صاحب وحدة الأفعال يرى ضربا من ضروب الذات يسر أن تشهد الله كأنك تراه، واعلم يا أخي أن المراقبة لله من حيث نظره إليك كسبية، والشهود وهبي، والمشاهد بينهما، والمحبة ثمرة لكل منهما.

فالمحب لاينوم والعارف لايلوم، والشهود لايدوم. فالولي تارة يشهد ربه، ولا يشهد معه فاعلا، وتارة يجهله فيشهد الأفعال من الخلق فيما يكون بينه وبينهم من الأقوال والأفعال، ويكون شهوده لربه على قدر معرفته الحقيقة بالله تعالى، فاعرف نفسك واعزلها عن الشرك به تعالى، تعرفه. قال صلى الله

عليه وسلم: من عرف نفسه عرف ربه. أي من عرف نفسه بالا تأثير لها في فعل عرف ربه الحي ومن عرف نفسه بأنها معدومة بالنسبة إلي وجود عرف الله بأنه هو الموجود الواجب الوجود لذاته، روى عن الشيخ عبد القادر الجيلي انه قال: إشارة منه إلى هذه المعرفة الاحسانية:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت لاشك أنت أنت

وقد رأيت الولي العارف بربه الشيخ عبد الكريم فقال لي: المعرفة الصرف خير من الغرف. يعني بذلك، المعرفة الصارفة للقلب عن رؤية غير الرب، ولاشي معها من العلوم الظاهرة.

هذه المعرفة خير من الغرف من بحر العلوم الظاهرة، وغاية معرفة الله الغيبية به عما سواه، وحقيقة العارف بالله أن تحرك وجد الحق، وان عرجت روحه في الملكوت وجد الحق، وان سكن جسمه باي موضوع وجد الحق، قال الشيخ العارف بالله أبو داود مشيرا إلي العارف القوم: أن لهم في كل حركة برهانا، وفي كل يوم معراجا، وفي كل سكون وجودا. قال أستاذي في تحفة القوم: أن الله لايتجلى عن عبد في تجل واحد مرتين، وفي كل يوم وليلة يرد على القلب سبعون ألف وارد، في كل وارد معراج.

وفي الغوشية قال: سالت الرب عن المعراج فقال: ياغوث الأعظم: المعراج هو العروج عن كل شي، وكما المعراج مازاغ البصر وماطغى. ياغوث الأعظم لا صلاة لمن لا معراج له إلي... فعليك أيها السالك طريق القربين بعروج قلبك عن شهود غير ربك لتكون عارفا به له في كل حال[1].

إسقاط الوسائط والأخذ بالأسباب

وإسقاط الوسائط معناه عند الصوفية: عدم رؤية الأسباب عند غلبة الحال، أو الاستغراق في الشهود، ويعنون بعدم رؤية الأسباب عدم إثبات الفاعلية لها أزلا وابدأ، وان اقترنت بمسبباتها فان مردها للمسبب الأول، وهذا الذي يذهب إليه الصوفية يوافق الحق، ومن أفعالهم ماقال الشاطبي:»

١ المصدر نفسه ص 118

ومـن تحقـق بـان الخـروج عـن السـبب كالدخـول فيـه، ولذلـك نجـد أصحـاب الأحـوال يركبـون الأهـوال؛ ويقتحمـون الإخطـار؛ ويلقـون بأيديهـم إلي مـا هـو عنـد غيرهـم تهلكـة، فـلا يكـون كذلـك؛ بنـاء عـلى أن مـا هـم فيـه مـن مواطـن الـضرر وأسـباب الهلكـة يسـتوي مـع مـا هـو عندنـا مـن مواطـن الإنـس وأسـباب النجـاة».

وفي ذلـك يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب :» تـارة يـشرق عليـك مـن صفاتـه، فتكـون قـادرا بـالله، وتـارة يحجـب عنـك فتقـول : ماشـاء الله، قـال في شرحهـا: تـارة أي وقتـا مقـدرا بتقديـره تعـالى (يـشرق عليـك) سـبحانه وتعـالى فيحصـل للعـارف في هـذا المقـام قـوة عظيمـة ناشـئة عـن قـدرة الله؛ يجدهـا الشـخص في نفسـه بحسـب الحـال المعنـي الـذي ظهـر لـه في فكـره، فـان كانـت الحالـة الناشـئة مـن قدرتـه تعـالى مـن جلالـه، وجـد في نفسـه قـوة وقـدرة عـلى مصادمـة جميـع الكائنـات علويهـا و سـفليها، وان كانـت مـن الجـمال؛ وجـد في نفسـه قـوة وقـدرة عـلى الاتصـال بمحبوبـه؛ وذلـك مـن أسرار استشـعارك بنفسـك للمعنـى المناسـب لحالـك عنـد ذكـرك بملاحظـة فكـرك وبهـذا المعنـى سرعـة الوصـول إلي المقصـود دفعـة واحـدة ... (فتكـون قـادرا بـالله) اعنـي تصـير باسـم الله منـك في هـذا المقـام بمنزلـة كـن مـع الله، لان البـاء مـن مضمـرات القـدرة، ويشـهد الأشـياء كلهـا موجـودة بقـدرة الله تعـالى شـهودا ذوقيـا لا نطقيـا؛ وحـال أهـل الـذوق مفهـوم عنـد السـادات الأخيـار، ولا تعتقـد أن معرفتـك الأشـياء أنهـا موجـودة بقـدرة الله تعـالى، وهـو عـين شـهود القـوم المتقـدم! ثـم يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب (وتـارة يحجـب ذلـك عنـك)، وهـذا هـو ردك أيهـا العبـد إلي صفتـك القائمـة بـك، وهـي العجـز؛ حتـى لا تقـف عـلى بـاب مـولاك إلا بالسـؤال؛ لأنـك قـد شـاهدت أصلك وهـو العجـز والافتقـار:

فـالأول: مأخـوذ عنـه (أي مجـذوب) في صفـات الله تعـالى مـن شـانه التأثـير باصطلامـه في المؤثر.والثـاني: هـو المـردود لشـهود أصلـه مـن شـانه العجـز، وعـدم القـدرة عـلى إيجـاد المعـدوم أو إعـدام الموجـود؛ حيـث أن وارده قـال لـه كل حـادث عاجـز في الحقيقـة فـلا حولـة ولا قـوة إلا بـالله؛ فاهـم عسـى أن تهـب عليـك ريـح مـن تحـت العـرش ب، والله يلقـي الـروح مـن أمـره عـلى مـن يشـاء مـن عبـاده ...

والله اعلـم وفي توحيـده احكـم».

فـإذا رده إلى عـالم الفـرق فلابـد مـن ملاحظـة الأسـباب بأنهـا مطلوبـة شرعـا، وتركهـا في عـالم الفـرق مـن الحمـق، فقـد كان حـال نبينـا صـلى الله عليـه وسـلم التـوكل عـلى الله، وكان مـن سـنته الأخـذ بالأسـباب تعبـدا. قـال ابـن الجـوزي :» مـا زالـت الأسـباب في الـشرع كقولـه تعـالى: (... وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ...)١، وقـال تعـالى: (... فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ ...)٢، وقـد ظاهـر النبـي صـلى الله عليـه وسـلم بـين درعـين، وشـاور طبيبـين، ولمـا خـرج إلى الطائـف لم يقـدر عـلى دخـول مكـة؛ حيـث بعـث إلي المطعـم ابـن عـدي فقـال: ادخل وفقـا للحكمـة، ولهـذا أرى أن التـداوي مندوب إليـه، وقـد ذهـب صاحـب مذهبـي (أحمـد بـن حنبـل) إلى أن تـرك التـداوي أفضل، ومقتـضى الدليـل مـن إتباعـه في هـذا، فـان الحديـث الصحيـح أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال: (مَـا أَنْـزَلَ اللهُ دَاءً إِلا أَنْـزَلَ لَـهُ دواء... فتـداووا ...)٣ وكانـت عائشـة رضي الله عنهـا تقـول : (تعلمـت الطـب مـن كثـرة أمـراض رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم)٤ والفـرق بـين مقـام أحمـد وابـن الجـوزي هـذا مـا أشـار إليـه الشـيخ أحمـد الطيـب وقبلـه ابـن القيـم فـان كان عـن غلبـة الحـال فنعـم، أم في مقـام الفـرق ، فالنبـي شـانه كأنـه مـع العامـة الرفـق، والعزيمـة مـن الحـال إذ هـي بـالله. ولابـن القيـم كلام نفيـس في إسـقاط الوسـائط الأخـذ بالأسـباب حيـث يقـول:

«إسقاط عن الوجود فمكابرة.

وإسقاط عن الشهود نقص.

وإسـقاط عـن قصـود الاعتـماد كـمال». واغـرب في الثانيـة، وإسـقاطها عـن الشـهود نقـص، يريـد بذلـك التكليـف بـاق وان عـذر صاحبـه باشـتغاله بحـال غلـب عليـه؛ وجعـل قمـة الإسـقاط مـع عـدم توجـه النيـة إليهـا أولا وآخـرا إذ

١ سورة النساء، الآية (١٠٢)
٢ سورة يوسف، الآية (٤٧)
٣ سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب ما انزل الله داء إلا وانزل له شفاء، رقم الحديث ٣٤٣٦، ص ٢٦٨٤
٤ المصدر نفسه ٣٨٧٤، ص ١٥٠٧

لا فعل لها من ذاتها، وهذا من توحيد الخاصة_ قال ابن القيم: « توحيد الخاصة هو إسقاط الأسباب الظاهرة ... وإسقاطها هو أن لا يرى لها تأثيرا البتة ولا تقديرا، وان باشرها بحكم الارتباط العادي، فمباشرتها لا تنافي إسقاطها». وقال بعض أهل العلم الالتفات إلي الأسباب شرك، أي الالتفات إليها بالقلب والتوجه إليها بالقصد». وقال في طريق الهجرتين في تعريف الدرجة الأولى من الغنى العالي:» غنى الطلب وهو:

١- سلامته من السبب.

٢-مسالمته للحكم.

٣- وخلاصة من الخصومة

قال في معنى سلامته من السبب:

أي من الفقر إلى السبب.

وشهوده الاعتماد عليه.

والركون إليه.

والثقة به».

وهذا ماعناه الشيخ أحمد الطيب؛ إذ جعل إسقاط الوسائط حال من غلبة الشهود؛ وهي حال المكرمين الذين خلع الله عليهم من حلله، وتجلى لهم بصفة من صفات عين جوده؛ وأكرمهم بعد أن أراح بواطنهم من منازعة مولاهم. قال أحمد الطيب :» فإذا تجلّى عليه بصفة القدرة والإرادة قدّره الله على كل شي أراده، فلو أراد إحياء ميت أحياه ...».

قال أحمد الطيب أيضا:» فمن شهد تأثيره في الأشياء من الله كان قادرا على كل شي بالله، فان كان صاحب حال صادقة مع الله تلاشى، ووصل إلى منتهى العلا، لكن هذا المشهد لا يدوم لأنه صفة للحي القيوم». ويعني هذا التأثير الجاري على يد عبد من عبيده منةً من الله عليه من عالم التصريف،

ولكنه تصريف جزئي، ودوام الحال من المحال. فلا يرى الأشياء إلا بالله، كما هي عليه في الحقيقة، وهو مشهد من مشاهد التعريف، والحائز له حائز للمعرفة الكاملة، وهو عند أحمد الطيب من العلم الذي أشار إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم (ما أن حملتهم إنما الله حملهم) وهو من دلائل الجمع والوصول.، وتلك الإشارة كانت لبعض أصحابه، لأنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله علما أمره بإفشائه وعلما خيره فيه، وعلما أمره بكتمه، وهذا أول كلام حفظته في هذه الطريقة».

فإسقاط الوسائطإذاًهو من إثبات الوحدانية في الفعل له تعالى، فلا فاعل إلا هو، وما في الكون إلا الله ومخلوقاته أو مفعولاته، وعند الشيخ أحمد الطيب هذا العلم من علوم الإشارة الذي اختص به قوما دون قوم.» فعلم من ذلك أن هنالك علم يلي الله عليه وسلم من أصحابه من خصه الله بذلك، وهو علم الإشارة المبعد عن الشرك الخفي، في كل حركة وسكون، والمودع في باء البسملة ... والله اعلم»١.

الجبر والاختيار

والشيخ الطيب يقف في مشكلة الجبر والاختيار موقفا اقرب إلى موقف الإمام جعفر الصادق حين قال: لأجبر ولا اختيار وإنما المسالة بين بين. ويفسر هذا الطيب دون إشارة إلى المصدر القديم فيقول (إن قلت ليست لنا القدرة فهذه بدعة وافقت الجبرية وطريق النجاة أن تقول: لنا قدرة حادثة ليس تأثير في شي حتى تقارن قدرة الله الأزلية فيحدث عند ذلك الفعل). وعلى هذا فمعنى قول الله (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (آية ٧٩ من النساء) ما أصابك منَ حسنة فمن الله حقيقة، ومن سيئة فمن نفسك مجاز لا حقيقة، فالقدرية سبب ضلالهم أنهم يرون القدرة لهم، والجبرية ينفون القدرة الحادثة المثبتة للتكليف والجزاء الاختياري»٢.

---

١ قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية ٢٠٠٣م- ص ٥/٤/٣٣٣

٢ عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان. ص- ٨٢/٨١

موقف الشيخ أحمد الطيب من الشريعة

يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب مبينـا حقيقـة تـلازم الشريعـة والحقيقـة:» اعلـم أيهـا الناظـر بالعقـل النـوراني، في العلـم الربـاني، والـسر العرفـاني، أن الحقيقـة مشـاهدة، والشريعـة مجاهـدة، وكلتاهمـا يشـهد لهـما الكتـاب والسـنة. إلا أن أدلـة الحقيقـة قليلـة في كتـاب الله وسـنة رسـوله (ص)، لأنهـا لخـواص خـواص عبـاده قـال تعـالى مربيـا لحبيبـه بالحقيقـة وشـاهدها: «وَمَـا رَمَيْـتَ إِذْ رَمَيْـتَ وَلَٰكِـنَّ اللَّهَ رَمَـىٰ «١ وقـال لأصحابـه: " ..... فَلَـمْ تَقْتُلُوهُـمْ وَلَٰكِـنَّ اللَّهَ قَتَلَهُـمْ٢. فنفـى بذلـك فعـل الإجـرام واثبـت الفعـل إليـه مـن غـير إبهـام .... وقـال تعـالي: " أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّـا نَسُـوقُ الْمَـاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُـرُزِ فَنُخْـرِجُ بِـهِ زَرْعًـا تَـأْكُلُ مِنْـهُ أَنْعَامُهُـمْ وَأَنفُسُـهُمْ أَفَـلَا يُبْـصِرُونَ"٣. قلـت والظاهـر إنـما سـاقها الحـراث. والى هـذا الفهـم يذهـب ابـن عجيبـة في إيقـاظ الهمـم ".... إن الكتابوالسـنة وردا بـين شريعـة وحقيقـة، أو تقـول بـين تشريـع وتحقيـق، فقـد يشرعـان في موقـع، ويحققـان في موضـوع آخـر، وقـد يـشرع القـران في موضـوع وتحققـه السـنة، وقـد تـشرع السـنة في موضـع ويحقـق القـران فالرسـول (ص) مبـين لمـا أنـزل الله قـال تعـالى:" .... أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّـا نَسُـوقُ الْمَـاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُـرُزِ فَنُخْـرِجُ بِـهِ زَرْعًـا تَـأْكُلُ مِنْـهُ أَنْعَامُهُـمْ وَأَنفُسُـهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْـصِرُونَ"٤. قولـه تعـالي :" .... ادْخُلُـوا الْجَنَّـةَ بِـمَا كُنتُـمْ تَعْمَلُـونَ"٥ هـذا تشريـع لأهـل الحكمـة وهـم أهـل الشريعـة وقولـه (ص): ((إِنَّـهُ لَـنْ يَدْخُـلَ أَحَدُكُـمْ الْجَنَّـةَ بِعَمَلِـهِ). هـذا تحقيـق لأهـل القـدرة، وهـم أهـل الحقيقـة كـما أنَّ

قولـه تعـالى: (..... وَمَـا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَن يَشَـاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِـينَ ...) تحقيـق وقولـه (ص):(..... إذاْ هَـمّ بِحسَـنةٍ كتبـت لـه حسـنة ....) تشريـع. والحاصـل أن القـران تقيـده السـنة، والسـنة يقيدهـا القـران، فالواجـب عـلى الإنسـان أن تكـون لـه عينـان، احدهمـا تنظـر إلى الحقيقـة، والأخـرى تنظـر إلى الشريعـة، فـإذا وجـد القـران قـد شرع في موضـع، فلابـد أن يكـون قـد حقـق في موضـوع آخـر. أو تحققـه السـنة وإذا وجـد السـنة قـد شرعـت في موضـع فلابـد أن تكـون قـد حققـت في

١ سورة الأنفال الآية ١٧
٢ سورة الأنفال الآية ١٧
٣ سورة السجدة الآية ٢٧
٤ سورة النحل الآية ٤٤
٥ سورة النحل الآية ٣٢

موضـوع آخـر، أو حققهـا القـران.

ويقــول الشــيخ أحمــد الطيــب:» لابــد مــن مراعــاة الشريعــة والحقيقــة حيــث يــروى حديــث عــن النبــي (ص) (الشريعــة مقــالي والطريقــة فعــالي والحقيقــة حالي).ثـم يـشرح الحديـث: «فالشريعـة آدابهـا: إتبـاع الأوامـر، واجتنـاب النواهـي.

والطريقة آدابها: أن تفرق بين مالك، وله.

والحقيقة آدابها: شهود المنة له.

ويـرى الشـيخ أحمـد الطيـب إن كلا مـن الشريعـة والطريقـة والحقيقـة لابـد مـن الإرشـاد والتوجيـه فيهـا جميعـا، لأنهـا متلازمـات كـما إنهـا متراتبـات.

فالشريعة لها حق مستحق يجب أداؤه

والطريقة لها حق مستحق يجب أداؤه

والحقيقة لها حق مستحق يجب أداؤه.

فالإرشاد في الشريعة: « التعريف بما يجب على المكلف في الحدود والأحكام».

والإرشــاد في الطريقــة: « تعريــف النفــوس بــما يكــون فيهــا البــؤس، وتعــين الــدواء لــكل مــا يــرد في الباطــن».

والإرشــاد في الحقيقــة: « هــو تعريفــك بالخــروج عــن أفعالــك وأحوالــك وأوصافـك وذاتـك، حتـى تخرج مـن شـهود الوجـود الوهمـي، إلي شـهود الوجود الحقيقـي، فعنـد ذلـك تغيـب عـن شـهود الآثـار بالمؤثـر، وان شـهدت الآثـار ولم تحجبـك عـن المؤثـر، فقـد بلغـت مجمـع البحريـن.

ويســعى الشــيخ أحمــد الطيــب إلي القــول بــان الحقيقــة القدريــة الكونيــة لا تتعـارض مـع الأمـر ألتكليفـي التشريعـي، وان الإذعـان فقـط إلي الحقيقـة القدريـة الكونيـة دون أعـمال الأمـر ألتكليفـي الشرعـي، تعطيـل لـه ووقـوع في الجـبر، ولكن لابـد للبيـب أن ينظـر بعـين إلي الشريعـة وعـين للحقيقـة فـلا يعطـل الشريعـة ولا

يغفل عن الحقيقة. يقول الشيخ أحمد الطيب: « إذا رأيت أو سمعت أقوالا وأفعالا في ضرب من ضروب الملاهي أو الإحزان أو غير ذلك وقلت أنها من الله، فقد اثبت الوحدانية (في الفعل) ولكنك في نفس الوقت خالفت شرع نبيك عليه السلام. وان قلت أنها من غيره فقد اثبت شريكا في وحدانيته وأشركت به ... (... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)١ .ثمَ يساءل المريد " فأية حالته تثبت عليها أيها الأخ، حتى تخرج من الوصفين؟ فالذي يخرجك أيها العبد القاصد حضرة الرب من هذا المأزق ... هو أن تجعل ظاهرك مجاهدا في الأمر والنهي، وباطنك مشاهدا له، فتكون بفضله عبدا زكيا. وقد أشار إلي ذلكقوله تعالي: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ففي الشريعة لابد من نسبة الفعل إلي المخلوق، لأجل ما كلف به من الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وفي الحقيقة لا فاعل إلا الله فلابد من الجمع بين النسبتين، والشهود للمحضرتين، والله اعلم» أ.ه. وهكذا نجد أن الشيخ أحمد الطيب قدس الله سره يسير على نهج سلفه الصالح من أئمة الطريقة الذين التزموه ظاهرا أو باطنا، وحقيقة وشريعة، فلم يقولوا بالظاهر على خلاف الباطن، ولم يقولوا بالباطن دون الظاهر.

والتمسك بالشريعة التي دعا إليها الشيخ أحمد الطيب بن البشير لهو مبدأ أصيل ومن أسس ومبادئ الطريقة كما جاء على لسان المؤسس السيد محمد بن عبد الكريم السمان(ت.١٧٧٥م) القائل:»من أحب أن يكون ولدي حقا فليحبس نفسه في قمم الشريعة وليختم عليها بخاتم الحقيقة، وليقتلها بسيف المجاهدة، ويتجرع المرارات، ومن رأى أن له عملا يقبل فقد سقط من عين رعاية الله تعالى».

وقد سار تلاميذه واحفاده من بعده على ذات النهج والسبيل داعين في ادبياتهم المنشورة نثرا وشعرا على ضرورة التمسك والتقيد بالشريعة وصولا الى الحقيقة عبر الطريقة. ولعل أول من يطالعنا بذلك شعر تلميذه الشيخ محمد توم ود بانقا (ت.١٨٥١) وهو من أبكار الشيخ اذ يقول:

١ سورة الحج - الآية ٣١.

ألا يا سالكاً طـــرق الرجال   فأحذر وأجتنب قبح الخصال

وكل محرم ينهاك عنه كتاب الله   أتركـــه بانعـــــــــــزال

تأدب بالشـــريعة في الظواهر   وألزم سنة النبي ذي الكمال ١

والتمسـك بالشريعـة هـو مـن أساسيات الطريقـة وهاهـو الشـيخ عبـد المحمـود (ت. ١٩١٥) يفصـح عـن هـذا حينـما نظـم منشـدا:

ومن يدع يوصلا بغير شريعة   فذاك هو الزنديق بين الخلائق

فلاتقبلواحـــالأمريم تبـــاعد   عن الشرع في قولوفعل خلائق

ويقول:

اتبع شريعة أحمـــــد المختار   إنرمت تنجو مـــــن دخول النار

الشيخ عبد القادر الجيلي (ت. ١٩٦٥م):

من لم يكن متقيداً بشـــريعة   ماذاق كأسات الطلا الرباني

فاتبع أمـــام المرسلين محمداً   وكتابه في الســـــر والإعلان

ويقـول الشـيخ قريـب الله (ت.١٩٣٦) في ديـوان شـعره (رشـفات المـدام) داعيـا للتمسـك بالشريعـة:

وتعلم نعلم الشـــــريعة واحترم   لأهليها وأحفظ لحرمة مسلم

كن صادقا فالصدق يورث حرمة   ومحبة ومـــــودة لم تفصم

يقـول الـوارث صاحـب العرفـان الشـيخ عبـد المحمـود الحفيـان(ت.١٩٧٣م)

١ يعقوب عبد الله الشيخ يعقوب. مشعل الصوفية عند اليعقوباب. ١٩٩٢م

في كتابه الوصية عن ارتباط الطريقة بالشريعة «وألزموا -بنيّ- الحزم والعقل مهما تقلّبت بكم الأيام ، وليكن كتابُ الله وسنة رسوله هدى ونوراً لكم ، في كل طريق تسلكون ، مبتغين به وجه الله ورضاءه . فهما العُروة الوثقى والسراط المستقيم ، والحق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم قدير ، فألزموهما-بنيّ- تفقهاً فيهما ، وعملاً بما فقهتم ، تكونوا من علماء الجنة»١.

الشيخ البرعي عن علاقة الطريقة بالشريعة نظم :

تمسك بالكتاب وهدي طه	**على النهج القويم بلا ابتداع**
وقل حقاوصدق اولا تماري	**ودع سبل التحيُّل والخداع٢**

وقال:

من يتبع غيرالشريعة منهجا فاضرب بهلج جالبحاروخلّه٣

ونلحظ الدعوة الى التمسك بالشريعة عند شيخ سماني آخر الا وهو الشريف محمد الأمين الخاتم في قصيدته « نطق الحفيد» حاثا على التمسك بالشريعة انشد قائلا:

وأتبع لسنة من أتى	**ينهي ويأمر بالكتاب**
وأخلص وكن عبداً منيب	**لله احتسب الشباب**

موقفه من الكرامات

الكَرَامَةُ لغة

اسْمٌ للإِكْرُام، مِثْلُ: الطاعَة للإِطاعَة، وهي من الكَرَم، وهو: ضدّ اللؤم،

١ عبد المحمود الحفيان. الوصية. الطبعة السابعة دمشق ٢٠٠٧. الناشر المجلس القومي للذكر والذاكرين.

٢ عبد الرحيم البرعي. ديوان رياض الجنة ونور الدجنّة. الناشر مركز الأسباط للإنتاج الإعلامي والنشر.الطبعة الخامسة ٢٠١٢. ص- ٧٦

٣ المصدر نفسه ١٠٦

يقـال: كَـرُمَ الرجـلُ يكـرم كَرَمًـا فهـو كريـم، ورجـل كـرّام: في معنـى كريـم، والمَـكارمَ واحدتهـا مَكْرُمَـة، وهـو مـا اسـتفاده الإنسـان مـن خُلـق كريـم أو طُبِـع عليـه، وجمـع كريـم كِـرام وكُرَماء.الكَرَامَـةُ اصطلاحا:أمـرٌ خـارقٌ للعـادة، يجريـه الله تعـالى عـلى يـد ولي، تأييـدًا لـه، أو إعانـة، أو تثبيتًـا، أو نـصرًا للدين.جـاء في كتـاب "الوجيـز في عقيـدة السـلف الصالـح" لعبـد الله بـن عبـد الحميـد الأثـري، أن الكرامـة: أَمـر خـارق للعـادة وغـير مقـرون بدعـوى النبـوة ولا هـو مقدمـة لهـا؛ يُظهـرُه الله عـلى يـد بعـض عبـاده الصالحـين ـــ مـن الملتزمـين بأحـكام الشريعـة ـــ إِكرامـا لهـم مـن الله عـز وجـل، فـإذا لم يكـن مقرونـا بالإيـمان الصحيـح والعمـل الصالـح كان اسـتدراجا.جاء في كتـاب "كتـاب أصـول الإيـمان في ضـوء الكتـاب والسـنة" لنخبـة مـن العلـماء، أن الكرامـة: أمـر خـارق للعـادة غـير مقـرون بدعـوى النبـوة ولا هـو مقدمـة لهـا تظهـر عـلى يـد عبـد ظاهـر الصـلاح مصحـوب بصحيـح الاعتقـاد والعمـل الصالـح[١].

ولـذا نجـد أن الشـيخ أحمـد الطيـب في هـذه الحكمـة الرابعـة والثلاثـين قـد بـيَّن ً معـالم الطريـق للسـالك تفصيـلا لهـذا الأصـل الكبـير الخطـير « مـا أحـب رجـل يعـرف بظهـور الكرامـات منـه، وانقيـاد الخلائـق عليـه، إلا ذهـب دينـه، وفسـد في مـولاه يقينـه، ادفـن نفسـك في الـتراب، واذكـره امتثـالا وحبـا بنيـة الأسـباب، تنـل مواهـب الوهـاب»، قـال الشـيخ في شرحهـا قلـت بـه عنـه: « هـذه الحكمـة نافعـة لـكل مـراد ومريـد خائفـين مـن الانقطـاع عـن الله، لان السـير إليـه مـع الالتفـات لسـواه حجـاب شـديد قطعـه بعيـد، لـكل مريـد ومـراد، فـكل قلـب نظـر تعـالى إليـه فوجـد فيـه غـيره مـن المخلوقـات اعـرض عنـه، لان تعـالى كـما لا يحـب العمـل المشـترك لا يحـب القلـب المشـترك. فحقيقـة الكرامـة عنـد أحمـد الطيـب حينئـذ هـي الاسـتقامة، فيجـب أن لا يلتفـت السـالك إلى شي مـن حظـوظ نفسـه، وإنـما يذهـب بكليتـه إلي مـراد ربـه بـلا التفـات، فـلا يلـوي عـلى شي سـوى تجريـد إخلاصـه مـن الالتفـات إلى رؤيـة الخلـق، وشـهوات النفـس الخفيـة، ويقـول سـيدي أحمـد الطيـب: « الكرامـة العليـا أن تغيـب عـن نفسـك والأكـوان بشـهود الله، ربـما بـرزت لـك الكرامـة وأنـت لم تـر الحـق أمامهـا» قـال الشـيخ في شرحهـا: « قلـت بـه عنـه ناسـجا لبعـض مـا انطـوت عليـه هـذه الحكمـة مـن

١ صحابة رسول الله (ص). الكرامة. على الرابط http://www.sahaba.rasoolona.com/Articles

المعـاني: (الكرامـة العليـا) عنـد العارفـين بـالله الفانـين في الله الباقـين مـع الله بـالله لله في الحـركات والسـكنات والإرادات والخطـرات (أن تغيـب) أيهـا السـالك طريـق القـوم (عـن نفسـك) فـلا تشـهد لهـا وجـودا ولا حيـاة ولا فعـلا مـع الله وعـن (الأكـوان) وهـي عبـارة عـن كل مخلـوق سـوى الرحمـن (بشـهود الله) بحيـث لا تـرى سـماء مبنيـة ولا ارض مدحيـة، ولا مخلوقـات حيـة، ولا بحـرا يجـري، ولا روحـا تتنفـس، ولا ... بـل وجهـه الباقـي الدائـم الوجـود، فـان لم تكـن مـن أهـل ذلـك فـلا تتبـع هـوى نفسـك، فيضلـك عـن سـبيل ربـك بالتطلـع إلى الكرامـات، ثـم يقـول: (ربـما بـرزت لـك الكرامـة وباطنهـا إهانـة واسـتدراج واعوجـاج عـن حقيقـة المنهـاج، لأنـك لم تـر الحـق إمامهـا اعنـي لا قبلهـا فتحجبـك رؤيتـه عـن الركـون إليهـا والوقـوف معهـا ولا بعدهـا فتشـهد منّـة منـه عليـك) وهكـذا نجـد أن الشـيخ أحمـد الطيـب يأخـذ بيـد السـالك المـراد والمريـد إلى حقيقـة التجريـد، وهـي أن لا يلتفـت إلى الكرامـة، لان الالتفـات إليهـا انحـراف عـن جـادة المنهـاج، وبذلـك يؤسـس طريـق السـالك عـلى الاسـتقامة، فـإذا اسـتقام عـلى السـير فـلا عليـه أخرقـت لـه العـادة أم لم تخـرق، ومـن معـالم السـير التـي أقـام عليهـا المريـد « تـارة يـشرق عليـك شـموس صفاتـه تكـون قـادرا بـالله، وتـارة يحجـب ذلـك عنـك فتقـول مـا شـاء الله»١ .

ما اتخذ الله وَلِيًّا جَاهِلا

وقـال صـلى الله عليـه وسـلم: ماأتخـذ الله وليـا جاهـلا، ولـو اتخـذه لعلمـه، أي علمـه معرفتـه الكـبرى التـي يعلمهـا لمـن يشـاء مـن عبـاده. واعلـم أن الـولي الأمـي معجـزة مـن معجزاتـه عليـه الصـلاة والسـلام، وإذا فتـح الله بالعلـوم اللدنيـة عليـه فـان ذلـك أعظـم منـة الله منـه في الـولي العـالم قبـل إعطـاء الولايـة بالعلـوم الظاهـرة، ولقـد علـم الله تعـالى جميـع العلـوم لنبينـا عليـه الصـلاة والسـلام وهـو أمـي، وذلـك مـن عجائـب قـدرة الله تعـالى. وأبونـا ادم عليـه السـلام علمـه الله تعـالى الأسـماء كلهـا مـن غـير سـابقة علـم تعلـم.

قـال الإمـام البـوني رضي الله عنـه: واعلـم أن الله تعـالى قـد أودع معلوماتـه في خلقـه، واطلـع عليهـا الأخـص مـن خلقـه. قـال تعـالى: (وَعَلَّـمَ آدَمَ الْأَسْـمَاءَ كُلَّهَا)

١ قمر الدولة زين العابدين. الحكم الطيبية . رسالة دكتوارة - ٢٠٠٣- ص- ٣٤٤- ٤٥

(أمده بمعلوماتها) ثم بعد (إمداده بالكل) انزل عليه الحروف، فركب منها الأسماء، فكانت تحت كل حرف تسعة الآلف وتسعمائة وتسعة وعشرون علما، وكل علم من هذه تحته ثمانية عشر علما، اطلع عليها ادم كلها، ثم الخلفاء من بعده الذين هم أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم خلفاء الباطن الذين هم أهل الولاية من الإفراد، وهم الذين يسمون بالأقطاب، فكانت أدنى درجة الولي منهم أن يكشف الله له من العرش إلى الفرش.

وقال سيدي الشيخ إدريس رضي الله عنه في قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) المولى علم ادم عشرين ألف اسم: عشرة الآلف اسم عربية، وعشرة الآلف اسم عجمية.

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: وعلم ادم الأسماء كلها علم ادم أسماء المخلوقات كلها، وكل منهم ينطق بما علمه من علمه في آلاته، وفوق كل ذي علم عليم، فإذا كان العلم علم الله، والعبيد عبيد الله، فالله تعالى يعلم من يشاء منهم بما شاء من علمه، لان القلب في يديه يقلبه كيف يشاء.

قال سيدي الشيخ زروق: إذ لايلزم من إتيان المتأخر مالم يأت به المتقدم أن يكون (ذلك) طعنا في واحد منهما. لكن الأمر كما قيل: إذا كانت العلوم منحا الإلهية ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر الله لبعض عبيده المتأخرين ماعسر على المتقدمين.. نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف، ويصد عن جميل الأوصاف. وقد قال الولي العارف بالرحمن سيدي الشيخ محمد السمان:

لقد كنت مكنونا لسر فهمته

وعن فهمه إدراك غيري قاصر

ولا شك أن ذلك السر الذي يشير إليه، علم من العلوم اللدنية الموهوبة من الله تعالى على بعض عبيده من غير منقول ولا معقول وتعالى الله أن يستعين على (تقريب) من أراد أن يعرفه به ذاتا وصفاتا وأفعالا بان يكون

عالما بالمنقول والمعقول حتى يقربه وهو الفعّال لما يريد. والله تعالى اعلم وفي توحيده احكم[1].

السكر

السكر لغة: نقيض الصحو. جاء في القاموس (سكر) كفرح سكرا ... وسكرانا: نقيض صحا. وفي اللسان (سكر)، السكران: خلاف الصاحي، والسكر: نقيض الصحو[2].

والسكر عند أهل العادة ذهاب العقل بشرب مسكر يحجب العقل عن التميز، ويصحبه خفة وطرب لاستتار العقل بظلمة الطبع. وعند أهل الحقيقة له تعريفات كثيرة؛ قال محمد بن أبي بكر الرازي:» السكر غيبة بوارد قوي، فهوا قوى من الغيبة وأتم منها؛ لان الغيبة قد يكون سببها الرغبة أو الرهبة أو الخوف أو الرجاء، والسكر سببه المكاشفة لنعمة الجمال، لأنه طرب الروح وهيام القلب ولا يكون إلا لأصحاب الوجد والمشاهدة:

فالذوق أول مقامات العارف؛ وهو وجدان لذة الحقيقة.

والشرب هو السكر بعد الكرع في كاس المشاهدة.

والري وهو دوام المواصلة بعد صفاء المعاملة.

فصاحب الذوق متاسكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الري صاح. قال الإمام القشيري:» مرادهم بالذوق والشرب وما يجدونه من ثمرات التجلّي، ونتائج الكشوفات وبوادة الواردات»، ومن قوي حبه دام شربه، ولا يؤثر فيه الشرب سكرا؛ لقوة حاله، فيكون صاحيا بالحق، فانيا عن كل حظ، لا يتأثر بما يرد عليه من الواردات، ولا يتغير عما هو به؛ ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب، ومن صار له الشراب غذاء لم يصبر عنه»، « والشرب والري كل ذلك من نتائج التجلي، فالخواص لهم دوام التجلي فهم في كمال الري، ومن دونهم في رتبة التجلي لهم كمال الشرب، ومن دونهم لهم

١ احمد الطيب ابن البشير. الحكم. ص- ٤٥/٦/٧

٢ عبد الرازق الكاشاني. معجم مصطلحات الصوفية. دار المنار- القاهرة، ص ٣٥٥- ١٩٩٢

كمال الذوق، ومن دونهم مع العوام وهم في غطاء الستر»١.

وعند أحمد الطيب سببه الفناء بمشاهدة جمال العزيز الجبار « فمن تناول كأسا من حضرة القرب وشرب حتى امتلأ باطنه من الحب؛ سكر سكرة يفنى فيها عن الأغيار، بمشاهدة جمال العزيز الجبار. ثم يتمثل هذه السكرة في حال الصحو فيقول فيالها من حضرة قدسية، ومملكة علوية، ثم يلحقه الدهش والهيمان، فلا يصحو إلا على كلمات:

« رايته هو الفاعل.

وسمعته هو الناطق.

وتحققت نفسي بالعدم.

وشاهدت القدم.

وتلاشى الناسوت

وبقي اللاهوت٢.

والسكر عند أحمد الطيب يعتري السالك في أول عتبة من عتبات الفناء؛ سواء كان في الأفعال، والصفات، والأسماء، أو الذات، و أول مدارج السكر عنده في تجلي الأفعال، قال الشيخ:

« فمن وصل إلى تجلي الذات؛ كان له الانعدام.

ومن وصل إلى تجلي الأسماء؛ كان له الإصطلام.

ومن وصل إلي تجلي الصفات؛ كان له الموت والانهضام.

ومن وصل إلي تجلي الأفعال؛ كان له السكر والإغماء» والأخير من اخطر السكرات؛ لذلك يحذر أحمد الطيب من شدة وطأته قائلا:» توحيد الأفعال لا يتثبت في سكره إلا كُمل الرجال، إذا حصل لك فيه الفناء عن الأنام، كن

١ قمر الدولة زين العابدين. رسالة في الحكم الطيبية ٢٠٠٣م ص- ٣٢١
٢ المصدر نفسه ص- ٣٢٢

رجلا جامعا لشرع من ظلله الغمام». قال في شرحها: (لا يثبت) لا يستقيم على الأوامر والنواهي الشرعية في سكره الذي يؤدي إلي تعدي الحدود المحدود من الله (إلا كُمل الرجال) وهم الذين ظاهرهم شريعة وباطنهم حقيقة - أي هم أهل الفرق والجمع - فمن سكر في توحيد الخواص ولو عمر ساعة يرى الدهر عبدا طائعا وله الحكم ... ولكن سكره صعبة المراس قد تؤدي إلي تعدي حدود الله؛ لان صاحبها لا يشهد لنفسه ولا لغيره فعلا؛ فيتعدى بذلك الحدود». ولكن أحمد الطيب وان وصف حال السكران بالنقص، وانه على مزلة قدم ما لم يأخذ الله بيده، أو كان له رسوخ قدم في علم اليقين وعينه؛ إلا انه لا ياثمه قائلا:» وعند علماء الحقيقة لا أتم عليه؛ إذا كان السكر مقتضى حقيقة السكر الموجب للفناء» ومثل هذا السكر عند الشيخ من المباح الذي لا تعدي فيه؛ ثم يستشهد ببيت لأبي مدين الغوث:

فلا تلم السكران في حال سكره   فقد رفع التكليف في سكرنا عنًا

أي في السكر الذي لا دخل للعبد فيه، كان غلبه وارد الحال على نور العلم؛ ولذلك يراه أحمد الطيب من كُمل الرجال، وتفضيل أحمد الطيب لصاحب الصحو على صاحب السكر يتمثل في قوله:» واعلم أن من دخل هذه الحضرة فلابد له ولا محال من الحال؛ ولكن الذي يغلب الحال ولا يتعدى إتباع الأوامر واجتناب النواهي، أكمل من الأول؛ قال العارف بالله ابن القيم الجوزية قًس الله سره فيه:» والسكران بالمحبة خير من الصاحي عنها؛ والصاحي بها خير من السكرا». وله في ذلك مغزى عجيب وهو أن السكران قد تفوت عليه بعض القرب بالغيبة عنها « وشهود العبودية أكمل وأتم وابلغ من الغيبة عنها بشهود المعبود، شهود العبودية والمعبود درجة الكُمل، والغيبة بأحدهما عن الأخر للناقصين فكما أن الغيبة بالعبادة عن المعبود نقص؛ فكذلك الغيبة عن بالمعبود عن عبادته حتى أن بعض العارفين من لا يعتدُ بهذه العبادة ويرى إيجادها عدما ثم يقول: هي بمنزلة عبودية النائم وزائل العقل؛ لا يعتد بها، ولم يُبعد هذا القائل. فالحق تعالى مراده من عبده استحضار عبوديته لا الغيبة عنها؛ والعامل على الغيبة عنها عامل على مراده من الله، وعلى حظه والتنعم بالفناء في مشهوده لا على مراد الله منه، وبينهما ما بينهما. فكيف يكون قائما

بحقيقة العبودية من يقول:» إياك نعبد» ولا شعور له بعبوديته البتة بل حقيقة « إياك نعبد» علما ومعرفة وقصدا وإرادة وعملا»[1].

الشطح

يعلق الدكتور عبد الرحمن في كتاب « شطحات الصوفية» عن مفهوم الشطح بقوله:» فالشطح كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه، مقرون بالدعوى» يمضي ليقول» الشطح إذن تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة في حضرة الإلهية»[2].

و أحمد الطيب لا يعد الشطح لازما من لوازم الطريق؛ ولكنه يعرض لبعض المحققين، منه ما جاء على سبيل الحكاية ثم ينكر سببه، ونوعه، ودرجته، حيث قال:» ومن ثبت قدمه عند كأس يحبهم قال هو ... ومن تجاوز سكره حد الثبوت حتى يتناول كأسه بكف محبوبه قال أنا، ...

فالشارب بكأس يحبهم؛ متمكن.

والشارب بكأس يحبونه؛ متلوَن.

والناطق بالأنانية؛ متكلم من وادي الفناء بلسان البقاء. فكلاهما ناطق صادق، ولتحقيقه موافق، وانّ من قال (أنا) ما أراد بها نفسه؛ لأنه مأخوذ عن نفسه، مجذوب عن حسه، فآخذه وسالبه وجاذبه هو المتكلم بلسانه ... أن صاحب المحبة لم يدر ما القرب، وصاحب الثانية أن تكلم، تكلم فتحا».

وقد حكي بعضا من أقوال الشيخ إبراهيم الدسوقي قدّس الله سره:

فما شاهدت ذاتي سوى عيني ذاتها وانّ سواها لا يلّم بفكرتي

فأوصلت ذاتي باتحاد بذاته بغير حلول بل بتحقيق نسبة

قال الإمام الغزالي:» وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى»[3].

---

١ المصدر نفسه، ص- ٣٢٤

٢ انظر عبد الرحمن بدوي. شطحات الصوفية. الناشر وكالة المطبوعات - الكويت، ص ٦

٣ قمر الدولة زين العابدين- رسالة دكتوراة في الحكم الطيبية ٢٠٠٣م- ص- ٣٢/٣٣١

العلم النافع

العلـم لغـة: نقيـض الجهـل: ففـي اللسـان (علـم)، والعلـم نقيـض الجهـل، علـم علـما، لا علـم هـو نفسـه، ورجـل عـالم وعليـم مـن قـوم علـما فيهـما جميعـا[1].

يبّـن الشـيخ أحمـد الطيـب العلـم النافـع في حكمتـه القائلـة: « العلـم النافـع ماحـال بينـك وبـين الأغيـار، وأشـهدك بـه لابـك جمـال العزيـز الجبـار». العلـم النافـع هـو الـذي يدخـل مـع صاحبـه في قـبره، والعلـم بـالله السـاري مشـهده في وحـدة الله، وهـو الـذي يحـول بينـك أيهـا المؤمـن وبـين ماسـوى الله، وليـس ماسـوى الله إلا الأغيـار المشـار إليهـا في الحكمـة. « وأشـهدك بـه لابـك، أي أشـهدك، شـهودا ذوقيـا بـه سـبحانه وتعـالى لابـك، الجـمال المطلـق الفائـق عـلى كل جمـال. فالعلـم النافـع هـو العلـم بـالله[2].

وقـد روي عنـه صـلى الله عليـه وسـلم انـه قـال: العلـماء ثلاثـة أقسـام عـالم بـالله، وعـالم بأمـر الله، وعـالم غـاب عـن نفسـه وعـن الأشـياء كلهـا. فأفضـل العلـماء عنـد الله هـم أهـل العلـم بـالله وهـو العلـم اللـدني. وهـو الـذي يـأتي مـن لـدن الله بـلا واسـطة قـال تعـالى:(وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّـا عِلْـمًا). والجاهـل بهـذا العلـم لم يفهـم عـن الله ولا واجهـة المـدد مـن الله. والعلـم بأمـر الله هـو العـالم بالحـلال والحـرام. المتبـع لأمـر الله ونهيـه وهـو اقـل مرتبـة مـن الأول، والعـالم الـذي غـاب عـن نفسـه لداعـوه العلـم. فلـم يعتـبر أن العلـم صفـة مـن صفـات مـولاه. فداعـوه العلم شرك وجهـل لقـواه صـلى الله عليـه الصـلاة والسـلام: مـن ادعـى بعلمـه كتبـه الله مـن الجاهلـين، وغيابـه عـن الأشـياء كلهـا لقلـة اعتبـاره لهـا مـع علمـه بهـا، فلـم يعتـبر الحـلال، ولم يبـال بالحـرام فغـاب عـن الأشـياء كلهـا مـن الوجهـين، وهـو ادني العلـماء مرتبـة، واقلهـم عنـد الله منزلـة. فلـزم مـن ذلـك إن علمـه هـذا ضـار لـه لا نافـع[3].

---

١ عبد الرازق الكاشاني. معجم مصطلحات الصوفية. دار المنار- القاهرة، ص ٢٨٢- ١٩٩٢

٢ قمر الدولة زين العابدين- رسالة دكتوراة في الحكم الطيبية ٢٠٠٣- ص ١٣٠

٣ المصدر نفسه ١٣٠

الرياء

الرياء إرادة غير الله عز وجل بالطاعة، فالرياء إرادة المخلوقين بطاعة الله عز وجل، قلت الرياء هذا الوجه وحده أم غيره في غيره من الوجوه، قال: الرياء هو الإرادةوحدها إلا انه على وجهين: احدهما أعظم واشد والأخرأهونوأيسر، وكلاهما رياء، وإنما الوجوه الذي هو اشد الرياء وأعظمهاإرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجل لا يريد الله عز وجل بذلك.

(الرياء) ثلاثة عقود في ضمير النفس حبٌ المحمدة وخوف المذمة والضعة في الدنيا والطمع لما في أيدي الناس١.

يقول الشيخ أحمد الطيب في هذه الحكمة:" الرياء مانع قوي عن حضرة وحدة المولى لأنه تعالى أغنى الشركاء. وهو على ثلاثة أقسام رياء في الأقوال، ورياء في الأفعال، ورياء في الأحوال عند ظهورها والخفاء". اعلم إن الرياء شرك بالله تعالى، وهو الشرك الأصغر.

وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال: إن أخوف مااخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يارسول الله قال لهم الرياء فإذا جاء العباد بإعمالهم يوم القيامة يقول الله لهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون، هل تجدون عندهم الجزاء٢.

وقال صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى انا اغني الشركاء، فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فانا منه بريو واعلم يااخي إن الرياء يكون عند الفقهاء في اقوالهم، وعند الفقراء في أعمالهم وأحوالهم، وذلك مانع قوي، وحجاب كثيف عن حضرة الله تعالى فانه لايدخل فيها إلا من كان مقدس الأقوال والأعمال والأموال.

قال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه: الفقهاء يعني بذلك العلماء يراءون بالأقوال، والفقراء يراءون بالأحوال، ومصدر ذلك قوله صلى الله

---

١ رفيق العجم. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي. مكتبة لبان ناشرون، ص ٤٧٢، ١٩٩٢

٢ المصدر نفسه ١٧١

عليه وسلم الشريعة مقالي والطريقة فعالي والحقيقة حالي، فرياء أهل الشريعة أكثره في أقوالهم، ورياء أهل الطريقة أكثره في أعمالهم، ورياء أهل الحقيقة أكثره في أحوالهم، وكل من ذلك على ثلاثة أقسام:

فأقسام الرياء في الشريعة

ويعني به أكثر المشتغلين بطبقات الفقه العلمي واغلبه يدور على الأقوال.

الأول: أن يتكلم الجاهل بها من غير علم لها، جلبا لرؤية الناس له، وتغطية لهم عن جهله بها، فعليه وزران، وزر الرياء ووزر الكبر.

الثاني: أن يقصد بأقواله في العلوم اللدنية تجهيل غيره بها، فيتصدر للمسائل، ويتعرض لمقابلة أهل العلم لإظهار شانه.

الثالث: أن يقصد بأقواله في العلوم اللدنية انتفاع الخلق، لوجه رب البرية، لكن يحب شعور الخلق بقصده وإخلاصه في ذلك، والكل رياء إلا أن بعضه اخف من بعض، إذ أن الرياء فيه اعلي و أوسط وادني.

وأقسام الرياء في الطريقة أي الإعمال الدينية هي:

الأول: أن يقصد السالك رؤية الخلق لإعماله ولولاهم لم يفعل خيرا، فهو يتعرض لهم، ويتصيد رؤيتهم له.

الثاني: أن يقصد السالك بأفعاله الدينية وجه ربه بالكلية، ولكنه مع ذلك يريد ظهور قصده لذلك عند الخلق.

الثالث: أن يقصد بإعماله وجه الله فقط ولا يحب اطلاع الناس على فعله، لكن أن أطلعهم الله بما من عليه فرح ورضي.

وأقسام الرياء في الحقيقة وهو يشمل الرياء في الأحوال هي:

الأول: أن يحاول إظهار أحواله الباطنية لأعين الناس طلبا للمكانة عندهم.

الثاني: أن يكون حاله صادقا مع الله تعالى لكن يريد ظهوره في الخلق.

الثالـث: أن تكـون أحوالـه صادقـة مـع الله تعـالى ولا يحب اطـلاع النـاس عليها، لكـن إن أطلعهـم الله عليهـا فـرح بذلك.

وكل ذلـك مـن الـشرك الخفـي، ومـن لم يجعـل الله لـه نـورا فـما لـه مـن نـور، ومـا منـا إلا لـه مقـام معلـوم. فالريـاء جـلي وخفـي، والخفـي اضر مـن الجـلي لعسر دوائـه، وخفـا سريانـه[1].

الحجب

الحجـاب: «حائـل يحـول بـين الشـئ المطلـوب، المقصـود وبـين طالبـه وقاصـده كان سري السـقطي رحمـه الله يقـول:» اللهـم مهـما عذبتنـي بشـئ فـلا تعذبنـي بـذل الحجاب»[2].

«مـا حجبـك عـن الحـق الاشـدة قهـره لـك، وقربـه منـك، أن أشـهدك قـرب ذاتـه منـك، اوجـب لـك الفنـاء في ذاتـه عنـك».

إنـما حجبـك عـن الحـق، أيهـا العبـد المقبـل عليـه أمـران مرجعهـما إليـه، وهـما حجـاب القهـر وحجـاب القـرب فحجـاب القهـر حاصـل مـن الأمـور القهريـة، وهـي مصائـب الدنيـا التـي تكـون في النفس والمـال والولـد، وغـير ذلـك مـن مـا لايحـصى ولا يعـد، وقـد يكـون القهـر بالشـهوات المسـلطة عـلى الإنسـان، فانـه تعـالى لـو قهـرك بشـهوة نحـو زوجـك حجبـك عنـه، إذ يشـتغل باطنـك بهـا دونـه تعـالى، هـذا حالـك مـع الشـهوة، فكيـف حالـك مـع المصيبـة، بـل المصائـب.

والحجـاب الثـاني حجـاب القـرب. قـال تعـالى ونحـن اقـرب إليـه مـن حبـل الوريـد، وقربـه تعـالى منـك بخمسـة أشـياء: العلـم، السـمع، والبـصر، والقـدرة، والإرادة، فمـن الإشـارة الدالـة عـلى البشـارة، تأمـل قدرتـه تعـالى، كيـف توهمـت أنهـا لـك في جميـع أفعالـك، وآنـت في الحقيقـة لسـت بفاعـل. ولا أطيـق التصريـح بأكثـر مـن ذلـك.

والحجـب بـين العبـد وربـه كثـيرة قيـل سـبعون، وقيـل سـبعون

---

[1] المصدر نفسه ١٧٣

[2] رفيق العجم. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي. مكتبة لبنان ناشرون. ص ٣٢٤، ١٩٩٩م

ألفا من نور وظلمة، وإنما صدَرنا هذه الحكمة بهذين الحجابين: القهر والقرب، واقتصرنا عليهما دون غيرهما من الحجب، لأنهما أقوى الحجب، من قطعهما حاز كل فخار، في مذهب الأخيار. وأعظم الحجب على الإطلاق قرب الذات العلية منا، بل إنها لأقرب إلينا من ذواتنا، ولذلك قلت:» أن أشهدك قرب ذاته منك» أي أن أشهدك ذلك بالشهود الحقيقي الذي يأخذ الروح والقلب « اوجب لك» وجوب تفضل عليك «الفناء» الذي يعقبه البقاء، في ذاته المنزهة عن كل نقص.. « والفناء عنك» معناها الفناء عن ذاتك الفانية عنك حالا ومالآ، بحيث تغيب عن وجودها بوجوده، وعن شهودها بشهوده، وعن بقائك بها ببقائك به.

تنبيه: بوجود الذات وتلاشي الحادثات: اعلم أن كل قول متصل بذات قائله، وكل فعل متصل بذات فاعله، فانظر في حقيقة نفسك، تر الحق إليك منك، فمن حصل له هذا الفناء الكامل، ومات عن ذاته وعن روحه، وهو الموت الأكبر، رأى الحق، وكان على حق[1].

الجذب

الجذب: المدّ ... التجاذب: التنازع» الجذب: مدّك الشيء، ومنه التجاذب». «جذبُ الحبل وغيره، واجتذبه إذا مدّه... وتجاذبوا أطراف الكلام، وكانت بينهم مجاذبات ثم اتفقوا الجذبة والمجذوب اصطلاحاً:الجذبة: هو تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج إليه في طي المنازل إلى الحق بلا كلفة وسعي منه». «المجذوب: من اصطنعه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه لحضرة أنسه، وطهّره بماء قدسه فحاز من المنح والمواهب ما فاز به بجميع المقامات والمراتب بلا كلفة المكاسب والمتاعب[2].

يقول الشيخ أحمد الطيب أن الجذب الإلهي يكون أولا جذبا من الكفر إلى الإسلام، ثم بعد ذلك يكون على ثلاثة أقسام:

١ المصدر نفسه ص ١٩٤/٩٥

٢طاهرة كرباسفروشها. شرح المصطلحات الصوفية. على الرابط http://www.diwanalarab.com/spip.php?ar-ticle28816

جـذب اصغـر، و أوسـط واكـبر. فالجـذب الأصغـر انجـذاب المسـلم مـن ظلمـة المعـاصي إلى نـور الطاعـة، والجـذب الأوسـط انجـذاب المسـلم مـن محبـة ماسـوى الله تعـالى، إلى محبـة الله، وهـو الزهـد في الأغيـار.

والجـذب الأكـبر انجـذاب المؤمـن مـن رؤيـة الأغيـار إلى مشـاهدة الملـك الجبـار في جميـع الأحـوال.

فـإذا حصـل للإنسـان نـور مـن هـذه الأنـوار ثـم رجـع إلى حالـه الأول فليعلـم انـه سـلب منـه ذلـك النـور لإسـاءة أدب مـع الله أو معصيـة، فليعـاود طـرق بـاب الكريـم، وليـدم الوقـوف عنـده بالـذل والفقـر العظيـم، وهـذه الأقسـام الثلاثـة تعـترى أصحـاب الأحـوال وقليـل مـن يعرفهـم، عـلى أن كلا منهـم ينطـق بحسـب مقامـه، فافهـم الجذبـة الرحمانيـة فـان هنالـك أيضـا الجذبـة الشـيطانية.

قـال بعـض الأشـياخ: المجاذيـب عـلى مائـة نـوع، تسـع وتسـعون جذبتهـم شـيطانية، وواحـد جذبتـه رحمانيـة.

وأمـا مجاذيـب عـوام النـاس الذيـن يبكـون ويتخبطـون عنـد سـماع الذكـر فهـم عـلى حالتـين، حالـة شـيطانية، وحالـة طبيعيـة، فالحالـة الشـيطانية تحـدث حـين يجتمـع النـاس في الذكـر، والجـن والشـياطين يجتمعـون معهـم لسـماع الذكـر، وعددهـم عـادة أكثـر مـن الإنـس، فيختلـط الإنـس والجـن في الذكـر، فيتلاصقـون ويتصادمـون، فيتخبطـون مـن اجـل ذلـك، فيظـن الجاهـل أنهـم مجاذيـب وهـم داخلـون في معنـى قولـه تعالى:(وَّيُحِبُّـونَ أَن يُحْمَدُوا بِـمَا لَمْ يَفْعَلُـوا فَـلَا تَحْسَـبَنَّهُم بِمَفَـازَةٍ مِّـنَ الْعَـذَابِ). وإمـا الحالـة الطبيعيـة فهـي أن بعـض النـاس لهـم كيفيـة مخفيـة في ذوات وجودهـم الوهمـي لاتقبـل الذكـر ومجالـس الوعـظ، فـإذا اجتمعـوا لذلـك فحينئـذ تتحـرك تلـك الطبيعـة عـلى صاحبهـا وتغلـب عليـه وتصرعـه، فيصيـح ويبكـي ويتلفـظ بـما يجرى عـلى لسـانه فيظـن النـاس انـه مجـذوب وهـو داخـل في معنـى قولـه تعـالي:(وَيَحْسَـبُونَ أَنَّهُـمْ عَـلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُـمْ هُمُالْكَاذِبُـونَ). وأمـا مجاذيـب الحـق فلهـم علامـات يعرفهـم النقـاد بهـا، منهـا تأثـير كلامهـم وذكرهـم في قلـوب السـامعين، فـان المجـذوب الحقيقـي إذا ذكـر الله، وتكلـم اثـر ذلـك في قلـوب السـامعين، ومنهـا أنهـم يتكلمـون عـلى الحقيقـة أبـدا.

واعلم يا أخي أن الرجال ثلاثة: مجذوب، وسلك، وسالك مجذوب معا. فمن كشف له عن كمال الذات من غير سلوك في أطوار النفوس سمي مجذوبا، ومن سلك على أطوار النفوس السبع ثم جذب، سمى سالكا ومجذوبا، فان لم يجذب إلى الذات وتجلياتها كان سالكا فقط، وهو أكثر في القوم١.

الحال

الجمع الأحوال و (الحال) بتخفيف اللام في اللغة: الصفة، يقال: كيف حالك؟ أي صفتك، وقد يطلق على الزمان الذي أنت فيه سمي بها لأنها تكون صفة لذي الحال»٢. وقد ورد أيضا في هذا المجال مايأتي: «الحال معنى يرد على القلوب، والتجلي مايكشف لك الله به أنوار الغيوب».

يقول الشيخ أحمد الطيب «الحال» حقيقة هو السالب للاختيار، واصله معنى يرد على القلب من حضرة الرب. وهذا الوارد يختلف باختلاف حال السالكين، ومشارب العارفين، وتكلم فيه القوم بعبارات جليلة افيضت معانيها على قلوبهم.

وقيل: انه يرد على القلب في اليوم والليلة ألف وارد من خير وشر، وهذا بمعناه العام، وليس مرادنا، وإنما مرادنا في هذه الحكمة وارد أهل السلوك المقبلين على الله تعالى، يرد على قلوبهم فيحصل لهم منه مايدلهم على الله تعالى رغبة أو رهبة.

والواردات الدينية التي ترد فتنتج الأحوال ثلاثة: وارد شريعة، وارد طريقة، وارد حقيقة.

فوارد الشريعة إذا ورد على قلب السالك، حثه على إتباع أوامر الله، واجتناب نواهية .. ووارد الطريقة إذا ورد على قلب السالك رغبة في الأخلاق المحمدية، كالرضا بمراد الله، وحب الله، وحب رسول الله من اجل الله، والحلم واللطف والكرم، والرحمة، والشفقة على الخلق، والصبر على أذاهم، والزهد فيما أيديهم، والمجاهدة في ذكر الله، ومخالفة النفس وتسيرها فيما

١ المصدر نفسه ص ١٩٧/٩٨

٢ عبد الرازق الكاشاني. معجم مصطلحات الصوفية. دار المنار- القاهرة، ص ٣٠١- ١٩٩٢

يـرضي الله، إلي غـير ذلـك مـن الأخـلاق المحمديـة.

وارد الحقيقـة يـرد عـلى القلـب فينفـي عنـه السـوى ويبقـى الـرب لاشريـك لـه، ويشـهد صاحبـه نفسـه بنفسـه بـلا نفسـه وهـو أعظـم الأحـوال وأقربهـا مـن حضرة الله، وهـو مقصـد القـوم.

روي عـن الشـيخ عبـد القـادر الجيـلاني رضي الله عنـه انـه قـال: سـحت خمسـا وعشريـن سـنة حتـى طرقنـي الحـال الـذي يطـرق أهـل الله تعـالى، يعنـي بذلـك حـال أهـل الحقيقـة الـوارد منـه تعـالى عـلى قلـوب بعـض الخليقـة.

الحب

في اللغةحــبَّ الــشيء أو الشــخص : وده أو مــال إليــه ...الحــب الإلهــي : بهجــة وليــدة كــمال معرفــة الله يشــعر بهــا العارفــون مــن المتصوفــة " في القرآن الكريم

قــال تعــالى :» فسَـوْفَ يَـأْتِي اللهُّ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُـمْ وَيُحِبّونَـهُ أَذِلَّـةٍ عَـلى الْمُؤْمِنـينَ أَعِـزَّةٍ عَـلى الْكافِريـنَ " .

في السـنةعن أبي هريـرة {رضى الله عنـه} عن النبي قـال : «إذا أحـب الله العبد نادى جبريـل إن الله يحـب فلانـا فأحببـه فيحبـه جبريـل فينـادي جبريـل في أهـل السـماء إن الله يحـب فلانـا فأحبـوه فيحبـه أهـل السـماء ثـم يوضـع لـه القبـول في الأرض " . في الاصطـلاح الصوفيالشـيخ إبراهيـم بـن أدهميقـول : « المحبـة : إيثـار المحبـوب عـلى جميـع المصحـوب ، فيكـون محبوبـه مؤنسـه في خلوتـه ، وعوضـاً مـن جميـع راحاتـه " .ويقـول : « المحبـة : الميـل الدائـم بالقلـب الهائـم . فهـو كـما قيـل : المحبـة رق الأبـد في حيـاة إلى غـير أمـد[1] "

يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب عـن الحـب في الحكمـة الثالثـة والخمسـون:» الحـب حبـان، حـب منشـؤه التصديـق والإيـمان، وحـب منشـؤه شـهود المنعـم بالعيـان». «الحــب» هــو ميــل القلــب إلى المحبــوب، وحــب الســالكين، ميــل قلوبهــم إلى

[1] نفحات الطريق. الحب. على الرابط http://www.nafahat-tarik.com/٢٠١٧/٠٩/Alhabu-walmahabat-eind-al-soufia. html

الحضرة الإلهية، والشوق أعلى منه، وهو اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وكل منهما مرتبط بالآخر، وان كانا مختلفين في المراتب، فان من أحب شيئا اشتاق إليه ولابد، ومن تشوق لشئ كان له محبا.

والشوق إذا عظم كان فناء، والفناء ماغاب صاحبه عن نفسه، وتلاشى في محبوبه، فقال: هو أنا.

والحب على الحقيقة، حبان: حب ناشئ عن تصديق وإيمان بما وعدنا الله به، من النعيم في الدار الآخرة، وان الله تعالى هو خالقنا ورازقنا وهو المنعم علينا بجميع النعم الظاهرة والباطنة؛ فنحن نحبه لهذا الإحسان، وكذلك نحب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لإيماننا بأنه محبوب لله ومحبوب المحبوب محبوب، وكذلك نحب الأنبياء أجمعين، وان كانت محبتنا لهم دون محبتنا لسيد الخلق، صلواته وسلامه عليه وعليهم أجمعين، فانه حبيب الله الأعظم، ومنزلته عند الله بالنسبة لغيره من الرسل والأنبياء كمنزلة الاسم الأعظم لله تعالى، من بين سائر أسمائه الحسنى.

«وحب منشؤه شهود المنعم بالعيان» وهو حب العارفين بالله، أهل المعاينة في حضرة الله المنزهة عن كل نقص، وهم في ذلك دراجات عند ربهم. فالمحبة نار تحرق، وان كانت ناشئة عن التصديق والإيمان، فكيف بها إذا كانت عن شهود وعيان، واعلم يا أخي أن الطريق إلى محبة الله تعالى مننه وآلاؤه، فلو فتح لك باب التودد إلى الله لرأيت العجب اى من منن الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله. قال تعالى: ومابكم من نعمة فمن الله.

واعلم أن حقيقة الحب أن يلتذ المحب بمحبوبه في كل لذة، وكيفية ذلك أن يعلم ويشهد أن حصولها له إنما كان به، وعطاءها إياه إنما كان منه، فيغيب بذلك عن اللذات بشهود الملذ، وعن المحبوبات بشهود المحبوب، وعن النعم أيا كانت بشهود المنعم.

والالتذاذ إنما يحصل عن طريق الحواس الخمس، وهي السمع والبصر والشم والذوق والحس، فلذة السمع مايلتذ به سمعك من اللغات من

الإنـس وجميـع الحيوانـات، ولـذة البـصر مايلتـذ بـه بـصرك مـن الجـمالات، ولـذة الشـم مايشـمه انفـك مـن طيـب الرائحـات ولـذة الـذوق مايلتـذ بـه عـن طريـق لسـانك مـن المذوقـات، ولـذة الحـس ماتلتـذ بـه ذاتـك مـن الراحـات، وهـو مشـتمل عـلى مايحصـل للـذات مـن لـذة هـواء طيـب يمـر عـلى الجسـم، أو لـذة جمـاع، أو راحـة مـن خـروج غائـط. فالعقـل هـو ملـك هـذه الحـواس جميعهـا وهـي الطريـق الموصلـة إلى التلـذذ بنعـم الله. والعـارف بـالله المحـب لله يلتـذ في كل مـا يلـذ بـالله، لأنـه يـذوق بروحـه ويعـرف بعقلـه الروحـاني النـوراني لـو لا الله لم تحصـل لـه ولم تكـن، فيشـهد اللـذة مـن الله فيحبـه.

وقـال الشـيخ الـسري السـقطي: لاتصـح المحبـة بـين اثنـين حتـى يقـول احدهمـا للآخـر: يـا أنـا. وقيـل: المحبـة أن تنطبـق جميـع مـرادات المحـب عـلى جميع مـرادات الحبيـب فـلا يبقـى لـه معـه إرادة.

وقيل للشبلي: مابال المحبة مقرونة بالمحنة، فقال لئلا يدعيها كل سفلة.

وقيـل: المحبـة أولهـا يحبهـم، وأخرهـا يحبونـه، وبينهـما مهـج تـذوب، وأرواح تطـير إلى المحبـوب.

التجلي

جاء في تعريف التجلي مايلي: « هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب»١.

” الجَـليُّ: نقيـض الخفـيّ. والجليّـةُ : الخـبر اليقـين. والجَـلاءُ بالفتـح والمـد : الأمـر الجـليّ. تقـول منـه : جـلا لي الخـبر، أي وَضَـحَ... وجَلَـوتُ ، أي أوضَحـتُ وكشـفت... ويقـال أيضـاً : جَلّـى الـشيء، أي كشـفه. وهـو يُجـلّي عـن نفسـه، أي يُعـبّر عـن ضمـيره. وانجـلى عنه الهَـمُّ، أي انكشـفَ. وتجـلّى الـشيء، أي تكشّـف»٢.

يقـول الشـيخ أحمـد الطيـب « التجـلي»: هـو تكشـف لقلـب السـالك مـن أنـوار الغيـوب، واصلـه اللغـوي الظهـور بعـد الخفـا٣.

١عبد الرازق الكاشاني. معجم مصطلحات الصوفية. دار المنار- القاهرة، ص ١٦٨- ١٩٩٢

٢طاهرة كرباسفروشها. شرح المصطلحات الصوفية. على الرابط -http://www.diwanalarab.com/spip.php?arti cle28816

٣ قمر الدولة زين العابدين- رسالة دكتوراة في الحكم الطيبية - ص ص ٢٢٢/٢٣

والتجلي على أقسام ثلاثة: جلالي، وجمالي وكمالي. فمن تجلى له الله بالجلال قبضه، وإذا نظر إلى شخص بعين غضب أهلكه، ومن تجلى الله عليه بالجمال بسطه، وإذا نظر إلى شخص بعين الرضا أصلحه ؛ ومن تجلى الحق عليه بالكمال كان دائرا بين ماتقدم من جلال وجمال، فأعطى كل رتبة حقها.

وأهل تجلى الجلال لهم كتم السر، وأهل تجلى الجمال لهم كشف السر وإفشاؤه، وصاحب تجلى الكمال دائر بينهما، فافهم التجليات، فالله خوارق العادات. وقد سمعت من شيخي قطب عصره الشيخ محمد السمان رحمه الله تعالى: إن التجلي لايدوم مع العبد.

وكان بعض الأولياء إذا كان في حال التجلي يقول للناس: حدثني قلبي عن ربي، فكان الحجاب الذي يخاطبه ربه من ورائه قلبه، فافهم الأخذ عن الله بواسطة القلب النوراني.

قال سيدي الشيخ محمد السمان رضي الله عنه: فمن زالت بشريته، كلمه ربه، وماسمي البشر بشرا إلا لمباشرته للأمور المانعة له من التوجه للخالق، فلو زال حكمها وانسلخ منها صاحبها سمع خطاب الحق من غير حجاب اه.

هذا والولي الكامل، والوارث المحمدي، العارف بالله تعالى : حدثني قلبي عن ربي، ولا يقول كلمني ربي، كما كلم موسى لما في ذلك من المكر الخفي الذي يعرفه الكاملون من أهل الله تعالى.

والتجلي يكون من العرش إلى الفرش كشفا، بعد المشاهدة القدسية، لكن ذلك لاثبوت له كما مر آنفا، والكشف على حسب المنح، قل أو ج، فافهم، وبعض الأولياء لايكشف لهم سبحانه وتعالى لا عن تجليات ذاته فقط، فلا يشهدون غيره.

قال صاحب مفتاح الكنوز في ذلك المعنى: الحق سبحانه وتعالى إذا تجلى على قلب عبده المؤمن يشاهده بعين يقينه، ويجتليه ببصيرته من غير حلول، ولاتحيز ولا انفصال ولا اتصال، مثال ذلك _ ولله المثل الأعلى _ التجلي للمرآة ومقابلتها انعكاس أشعة أنوارها لناظرها، والولي يشهد جمال حبوبه في قلبه

مـن غـير حـصر ولا تحيـز، ولا حلـول، وقـال رضي الله عنـه وأرضـاه في ذلـك المعنـى مايـشرح الصـدور ويفـرح ويبهـج النفـوس:

ولما تجلى من أحب تكرما وأشهدني ذاك الجناب المعظما
تعرف لي حتى تيقنت أنني أراه بعيني جهرة، لا توهما

وفي كل حال أجتليه ولم يزل على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصلي بمتصل ولا بمنفصل عني، وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بمثله وأين الثرى من طلعة البدر، إنما
أشاهده في صفو سرى فأجتلي جمالا عليا جل أن يتقسما

واعلـم أن هـذه الخصوصيـة لابـن ادم دون الملـك لمـا ذكرنـا مـن أن الآدمـي مخلـوق مـن العالمـين اللطيـف والكثيـف فينـزل القلـب منزلـة المـرآة في لطيفهـا وكثيفهـا اللذيـن لولاهمـا معـا لمـا انطبـع فيهـا مايقابلهـا مـن المرئيـات، وليـس كذلـك الملـك، فانـه مخلـوق مـن اللطـف فقـط، فهـو نـور كلـه، ظاهـره وباطنـه، كالزجاجـة الشـفافة التـي تخترقهـا الأشـعة فـلا تنعكـس منهـا، لعـدم الكثيـف[1].

تجلي الجلال والجمال

وعـن تجـلي الجـلال والجـمال يـورد الشـيخ أحمـد الطيـب في الحكمـة التاليـة مـا نصـه:(تـارة يـشرق عليـك شـموس صفاتـه، فتكـون قـادرا بـالله، وتـارة يحجـب ذلـك عنـك فتقـول: ماشـاء الله). يسـتخدم الشـيخ كلمـة «تـارة» لتشـير عـلى وقتـا مقـدرا بتقديـره تعـالى «يـشرق عليـك» سـبحانه وتعـالى شـموس صفاتـه القائمـة بـه كالقـدرة والإرادة، بالتجـلي عنـه تعـالى، فتحصـل للعـارف في هـذا المقـام قـوة عظيمـة ناشـئة عـن قـدرة الله يجدهـا الشـخص في نفسـه بحسـب المعنـى الـذي ظهـر لـه في فكـره، فـان كانـت الحالـة الناشـئة مـن قدرتـه تعـالى مـن جلالـه، وجـد في نفسـه قـوة وقـدرة عـلى مصادمـة جميـع الكائنـات علويهـا وسـفليها، وان كانـت مـن الجـمال وجـد في نفسـه قـوة وقـدرة عـلى الاتصـال بمحبوبـة وذلـك مـن إسرار استشـعارك بنفسـك للمعنـى المناسـب لحالـك عنـد ذكـرك بملاحظـة فكـرك، وبهـذا المعنـى سرعـة الوصـول إلى المقصـود دفعـة واحـدة.

[1] المصدر نفسه ص ٢٢٤

قـال بعـض العارفـين بـالله: نفـس الإنسـان لهـا قوتـان: قـوة قهـر وعـزة، وقـوة محبـة وتشـوق، والأولى جـلال والثانيـة جمـال.

«فتكـون قـادرا بـالله» أعنـي تصـير باسـم الله منـك في هـذا المقـام بمنزلـة كـن في الله، لان اليـاء مـن مضمـرات القـدرة، وتشـهد الأشـياء كلهـا موجـودة بقـدرة الله تعـالى شـهودا ذوقيـا لانطقيـا، وحـال أهـل الـذوق مفهـوم عنـد السـادات الأخيـار ولا تعتقـد أن معرفتـك الأشـياء بأنهـا موجـودة بقـدرة الله تعـالى هـو عـين شـهود القـوم المتقـدم.

ولقـد أشـار صـلى الله عليـه وسـلم لأهـل هـذا المقـام في حديـث رواه عـن ربـه قـال، قـال تعـالى: (الإنسـان سري، وسري صفتـي، وصفتـي لاتنفـك عـن ذاتي) فمـن شـهد اتصـال الأزل بالحـدوث مـن غـير حلـول في النفـوس، كان صفـة مـن صفاتـه تعـالى وهـو معكـم بقدرتـه بـل هـو عينهـا، فافهـم الإشـارة، ولاتطلـب العبـارة، لأنـك لم تصـل إلى هـذا المقـام، ولله الأمـر والإبـرام.

الأنفع للمريد

مُريـد وجمعهـا المُريـدُون هـو المتعلِّـم عـلى شـيخ طريقةوفـق منهـاج، والمُريـد رتبـة مـن رتـب الصّوفيَّـة.. وللمريـد درجـات وعليـه أن يقـرأ أورادافي اليوموالليلـة يكلفهـا بهـا شـيخه ليسـير عـلى طريقتـه في التصوفوذلـك ضمـن تربيتـه للمريـد[1].

فالجـواب: أن الأنفـع لـه سـلوك طريقـة القـوم. وإيضـاح ذلـك أن معرفـة الله تعـالى متوقفـة عـلى معرفـة النفـس كـما ورد عنـه ذلـك ﷺ:[مـن عـرف نفسـه فقـد عـرف ربـه] ونقيضـه مـن لم يعـرف نفسـه لم يعـرف ربـه. فمعرفـة الـرب فـرض عـين لأن عبـادة الـرب تعـالى تتوقـف عـلى معرفتـه لأن مـن لم يعرفـه لم يعبـده، وعبـادة الـرب فـرض لقولـه تعالى:{ومـا خلقـت الجـن والإنـس إلا ليعبـدون} قـال ابـن عبـاس ﵁: أي يعرفـوني ويوحـدوني، وكل مـا يتوقـف عليـه فـرض فهو فرض فمعرفـة النفـس فـرض عـين، فمـن جهـل معرفـة نفسـه فهـو أجهـل بمعرفـة ربـه: فـلا بـد مـن معرفـة نفسـه حتـى يعـرف ربـه ويعبـده وذلـك لا يكـون إلا

١ ويكيبيديا. مريد.https://ar.wikipedia.org/

بصحبة العارفين الواصلين الكاملين لأنهم يُطلِعون المريد على دسائس نفسه ويطهرونها من نجاستها المعنوية المانعة لها من دخول حضرة الله تعالى ولا يكون ذلك بكثرة العلم ولا بتدريسه ولا بتأليفه ولو أقام المريد في ذلك ألف سنة، فإن آخر مجالسه فيه كأول مجلس من عمره فيه. لذا قال الشعراني في الأنوار القدسية: واعلم أنه لا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه ويصير[1] عليه الأنس والخير إلا إن كان معتقداً في طائفة الفقراء مخالطاً لهم لأنهم ينبهونه على الدسائس المانعة للقلب عن قبول الخير لأن العلم قوة للنفس وكلما كثر قويت وتكبرت وبعدت عن الخير وكثيراً ما أسمع شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ﵁ يقول: الفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريق القوم وملاحظهم وإصلاحهم ومآخذهم فهو جافٍ، ولذلك عدم أهل الجدال من الفقهاء والعباد الترقي في درجات الولاية وجمدوا على ما فهموا من ظواهر النقول، ولم يتعدوا إلى ما وضعه الشارع في طيها من الزواخر[2] والتوادع، فلم يزدادوا بكثرة العلم وتلاوة القرآن زهداً في الدنيا وإقبالاً على ربهم، وماتوا وأحدهم يود لو كان عنده واديان من ذهب، بل يود أنْ لو زِيد له رغيف آخر على خبزه. فافهم يا ولدي فإن السالك على يد الفقراء كالطيار إلى حضرات القرب، والسالك من غير طريقهم كالذي يزحف تارة ويسكن أخرى مع بعد الطريق.

وقال اليافعي ﵁: مكثت نحو عشر سنين وأنا بين خاطرين خاطر يدعوني إلى طريق الفقهاء وآخر يدعوني إلى طريق الفقراء فاجتمعت بشيخ من أولياء اليمن فكاشفني وعرف ما في قلبي وقال لي: يا ولدي مبدأ الفقير نهاية الفقيه، لأن مبدأ الفقير الفقر عن كل شئ والإخلاص لله تعالى في جميع عباداته ولا يطلب منه عوضاً على عبادته، وهذا نهاية الفقيه، ثم يترقى الفقير درجات القرب والمواهب. ثم قال: إن أحببت أن أريك شيئاً من ثمرات العلم الذي تريده وثمرة الفقر فعلت ذلك، فقلت له: نعم. فأرسل إلى شخص من أكابر العلماء أن يأتي وأمر الجماعة أن لا يقوموا له ولا يفسحوا له فجاء ولم يجد إلا موضع النعال ولم يلتفت أحد إليه فتكدَّر وكاد أن

١ – قوله ويصير أي ويحصل له.

٢ – صوابه الزواجر والروادع.

يكفِّرَهم. فقال له الشيخ: يا فقيه أجد في نفسي منك شيئاً. فقال: وأنا أيضاً في نفسي منك شيئان وقرن بين إصبعيه وولى ساخطاً يسب الشيخ وجماعته. فقال: انظر ثمرة هذا العلم الذي تطلبه. ثم أرسل إلى فقير من الفقراء فجاء ووقف ولم يجد موضعاً كالأول وسلم ولم يرد عليه أحد سوى واحد فضحك ووقف صف النعال وأدارها لهم. فقال له: أنا في نفسي منك شئ. فقال: يا سيدي أنا أقول أستغفر الله وكشف رأسه. فقال: انظر ثمرة طريق الفقراء قال: فلزمت طريق الفقراء إلى أن صرت كما تروني. فاسمع يا أخي هذه الحكاية واشتغل بما يثمر لك هذه الثمرة واحذر أن تكون ممن يكثر من جمع العلم من غير عمل اعتماداً على الأحاديث الواردة في فضل العلم كقوله ﷺ:[علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل] و[العلماء ورثة الأنبياء] فقد قال ﷺ:[من ازداد علماً ولم يزدد هدى فقد ازداد من الله بعداً] وقد اجتمع الشيخ عبادة المالكي بالشيخ مدني رضي الله عنه فلم يعظمه ولم يلتفت إليه فقال له: يا سيدي ما منعك أن تعطيني حقي في الإكرام ؟ فقال: وكيف وأنت مشرك. فقال: وما وجه إشراكي ؟ قال: حالك الذي أنت فيه الآن، وطلبك التعظيم والخضوع لك وليس ذلك إلا لله تعالى. فمن ينازع الله في ما يستحقه ويطلب أن يكون له مثله كيف يكرم وإنما يستحق الإهانة والاحتقار فسكت الشيخ عبادة ساعة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تبت إلى الله تعالى وهذا أوان دخولي في الإسلام بعين بصيرة وكمال صدق رحمه الله لأن الإسلام هو الانقياد وترك المنازعة لله تعالى في أوصافه وما يستحقه وملازمة الأعمال الصالحة ورؤية نفسه أنه أحقر خلق الله فافهم أرشدنا الله وإياك إلى الصراط المستقيم١.

ملازمة الذكر

الذكر لغة:الذكر: الحفظ للشيء تذكره.

والذكر أيضاً: الشيء يجري على اللسان.

الذكر اصطلاحاً:الذكر: الخلاص من النسيان بدوام حضور القلب مع

---

١ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض. ص- ١٠٦/٧/٨

الحق ١.

وللذكر عند أحمد الطيب عمق بعيد، لابد للذاكر أن يلحظه « وهو أن للذكر ظاهرا وباطنا فظاهره الاسم، وباطنه ملاحظة معناه، فمن وُفق لذلك فلا يستبطئ الفتح من الله تعالى».

وهذا هو روح الذكر المشار إليه عند القوم. يقول الإمام الدهلوي وروح الذكر الحضور والاستغراق في الالتفات إلى الجبروت، وتمرينه أن يقول: «لا اله إلا الله والله الكبر ثم يسمع من الله انه قال: لا اله إلا أنا وأنا اكبر؛ ثم يقول: لا اله الله وحده لاشريك له؛ ثم يسمع من الله لا اله إلا أنا وحدي ولا شريك لي. وهكذا حتى ترفع الحجاب ويتحقق الاستغراق»

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فيما رواه الترمذي (حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا إسمعيل بن محمد بن جحادة حدثنا عبد الجبار بن عباس عن أبي إسحق عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده قال يقول الله لا إله إلا أنا وحدي وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وقد رواه شعبة عن أبي إسحق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد بنحو هذا الحديث بمعناه ولم يرفعه شعبة حدثنا بذلك محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة بهذا).٢

١ طاهرة كرباسفروشها. شرح المصطلحات الصوفية. على الرابط http://www.diwanalarab.com/spip.php?ar-ticle28816

٢ قمر الدولة زين العابدين. الحكم الطيبية٢٠٠٣م - ص ٢٠٩

الفكرة

ملازمة الفكرة: وميادين الفكرة عند الشيخ أحمد الطيب أربعة:

١- فكرة في ذاته.

٢- فكرة في أسمائه.

٣- فكرة في صفاته.

٤- فكرة في أفعاله: الأولى منها ممنوعة، والثلاثة الباقية مطلوبة.

قال الشيخ أحمد الطيب:»والفكرة مما حثت عليه الآثار، و ورغبت فيه كل الترغيب، قال رضي الله عنه:(عليكم بالفكرة العليا حتى تعرفوا الله حقا وصدقا) وقال عليه السلام (فكر ساعة خير من عبادة سنة) وفي رواية (خير من عبادة سبعين سنة). وقال أيضا: «الفكر سير القلب في ميدان الأغيار « وقال أيضا الفكر سراج القلب؛ فإذا ذهبت فلا إضاءة له فمن أراد تنوير باطنه بالمعرفة ؛ فعليه بها. وان يصمت منعزلا عن الخلق ولو كان معهم».

ويقول الشيخ أحمد الطيب في حكمته الثانية والخمسين:» الفكرة فكرتان فكرة تستدل بها على خالق الأكوان، وفكرة تشهدك مقام الإحسان. والفكرة فكرتان دنيا وعليا فالدنيا لأهل الظاهر؛ وهي شريعة، والعليا لأهل الباطن؛ وهي حقيقة. فالأولى بمنزلة الجسد، والثانية بمنزلة الروح، والجسد خلق من التراب الأسفل، والروح خلقت من النور الأعلى، ولكل من الفكرتين أهلها وقبيلها، فالأولى للمريدين والثانية للعارفين المحققين؛ فمن لازم الأولى كان له قوله صلى الله عليه وسلم:(فكرة ساعة خير من عبادة سنة) ومن لازم الثانية كان له قوله صلى الله عليه وسلم: (فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة)، وكلاهما خير وان تفاوتا في الدرجات.

الفكرة الأولى عند أحمد الطيب فكرة قيمتها استدلالية؛ وهي اقل درجة ومثوبة من الفكرة التي تبعث على الشهود؛ وهي الفكرة الإحسانية. ويسوق الفكرة على نحو تراتبي ابتداء بالذات والأسماء والأفعال، ثم يأتي إلي الفكرة

الاستدلالية إلى اقل وأتم، فالأقل هو الفكرة في عالم الأكوان؛ ولأتم منها الفكرة في عالم الأنفس لا الأفاق. الفكرة عند الشيخ أحمد الطيب فكرة في الحدوث، وفكرة في القدم. فالفكرة في الحدوث: الفكرة في صنائع قدرته وهذا هو النوع الأول.

وفكرة في القدم:

١- فكرة في الذات.

٢- فكرة في الاسم.

٣- فكرة في الصفة.

٤- فكرة في الفعل.

وهذه الأربعة هي الأعلى من الفكرة في الحدوث، وتنقسم عند الشيخ أحمد الطيب إلي أدنى وأعلى.

الفكرة الذاتية: ويقسمها الشيخ أحمد الطيب إلى مطلوب وممنوع، والمطلوب في الفكرة الذاتية أدنى وأعلى، فاعلاه: هو الدهشة في كبريائها أي كمالها عن كل نقص وعيب والغيبة بها عن سواها. وأدناها: الفكرة في وجود الذات.

الفكرة في قدم الذات.

الفكرة في مخالفة الذات للمخلوقات.

الفكرة في قيامها بنفسها.

الفكرة في وحدانيتها.

والممنوع في الفكرة في الذات هو الفكرة في:

* كيفية الذات.

* وماهيتها.

* وأينيتها (أين هي).

* وعينيتها (تعينها).

قال تعالى: (... وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ...) أي ذاته ... وقال صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في مخلوقاته لا تتفكروا في ذاته).

الفكرة في الأسماء: « على قسمين ادني واعلي: «فالأدنى: معانيها ومظاهرها وعظمتها.

والأعلى: قيام الوجود بالحروف المقررة الثمانية والعشرين حرفا وتركيبها في الأسماء، والاسم عين المسمى وذاته وهو عجيب.

الفكرة في الصفات على قسمين

فالأدنى: جولان القلب فكرة وعبرة بأنه تعالى قادر مريد وحي وسميع وبصير ومتكلم ومغلق ذلك بالممكنات والموجدات والواجبات والمستحيلات والجائزات.

والأعلى: مشاهدة أن كل ماسوى الله مما يوصف بالحياة ميت في الحقيقة وان لا حي إلا الله. وهي مما يورث الحضور مع الله سبحانه وتعالى باستشعار مراقبته وهي الشطر الثاني من الإحسان في قول النبي صلى الله عليه وسلم:(... نْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ...) وقوله النبي صلى الله عليه وسلم: (... أحفظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أحفظ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ...) وهي معنى حديث ابن عباس (...وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ...).

الفكرة في الأفعال: على قسمين

فالأدنى: انه تعالى فاعل من غير معين، ومن غير آلة، بخلافنا نحن في أفعالنا، فإننا محتاجون إلى العون والآلة. واعلي: انه هو الفاعل وليس لسواه

فعل لان بيده ملكوت كل شي وتارة يفعل بالى وتارة يفعل بغير آلة، ودليل فعله قوله تعالى للصحابة، (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ...)١.

المتفقه الغافل

يورد الشيخ عبد المحمود نور الدائم في كتابه أزاهير الرياض عن جده الشيخ أحمد الطيب قوله:» اعلم أن المتفقه الغافل هو أضر عباد الله تعالى في أوامر الله ونواهيه. قال الجنيد قُدِّسَ سِرُّه : الغفلة أشد من دخول النار، وعلامة هذا صرف نيته وإقباله عن طريق الآخرة، كالزهد والقناعة والتوكل والصبر وغير ذلك، وإعجابه بما عنده من الألفاظ العلمية، معتمداً على الأحاديث الواردة في فضل العلم، كقوله عليه الصلاة والسلام:[العالم في قومه كالنبي في أمته] أو قال:[الشيخ في أهله كالنبي في أمته]. وقال:[العلماء ورثة الأنبياء]. وقال:[علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل]. والعلماء المشار إليهم بهذا الحديث إنما هم العلماء بالله الذين علمهم في قلوبهم، لا من يكون علمه في لسانه، مثل علماء هذا الزمان. أما هؤلاء فعلمهم حجة عليهم لكونه في ألسنتهم فقط، قاصدين بذلك زخرف الدنيا لحبهم إياها، وجمعهم لها، وتكالبهم عليها، فهم بهذه الواسطة مبدلون مغيرون. وقد قال ﷺ:[بعداً بعداً سحقاً سحقاً] أي للمبدلين والمغيرين. وقال ﷺ:[العلم علمان، علم اللسان فذلك حجة على ابن آدم، وعلم في القلب فذلك العلم النافع]. وكل عالم لم يكن علمه في قلبه فهو عالم اللسان، فمن علم من حاله الجنوح لحب الدنيا من زاعمي العلم فهو قرين الشيطان ووليه، وتولاه الشيطان بواسطة ذلك، فلا يجوز السلام عليه ولا رد السلام، ولا محبته ولا الجلوس معه ولا التخلق بأخلاقه، لأن أخلاقه شيطانية، فإن الشيطان محب للدنيا ومدَّع للعلم. كذلك كل من اتصف بهذا الوصف من زاعمي العلم فهو قرين الشيطان ووليه وتولاه الشيطان بواسطة ذلك. قال تعالى:{وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً}. قال:{وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً}. وقال:{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}. وقال ﷺ:[جليس القوم منهم]. وقال:[من أحب قوماً حُشِرَ معهم]. وعدم السلام

١ المصدر نفسه ص- 212

على من تخلق بهذه الأخلاق ردع وزجر له ولأمثاله ومن قدر على ذلك ولم يفعله أو يقله فقد أعان على هدم الإسلام وظلم نفسه. قال تعالى:{إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} اهـ. من الرسالة الميمونة في توحيد الجرومية للشيخ العارف بالله تعالى علي بن ميمون الإدريسي الحسني المغربي نفعنا الله تعالى به.

قال سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي، في شرح الطريقة المحمدية على الحديقة الندية، بعد كلام على العلم النافع: وذكر أنه هو علم الشريعة المحمدية قولاً وفعلاً، مع الإخلاص والمراقبة لله تعالى، بحيث تقع في القلب الخشية من الله تعالى وتتربى فيه، والخشوع والخضوع، وهو قوله تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}. فيستغني به صاحبه عن جميع الدنيا وأهلها، والآخرة وأهلها، ولا يصير له احتياج إلا إلى الله تعالى، ولا افتقار إلا إليه في جميع أموره، لا العلم المضر الذي صاحبه كلما ازداد منه ازداد احتياجاً إلى الدنيا وإلى أهلها، ونسي الله تعالى وتربى في قلبه الكبر والعجب والحسد والجور، والبغض والأمل، فإنه العلم الذي تعوذ منه النبي ﷺ بقوله:[اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع]، وإن كان ظاهره بحثاً وتكلماً في أحكام الله تعالى وفي تقرير شعائر الإسلام وعقائد الإيمان. فإن الباعث على بيان ذلك كله، أمر الدنيا من حب الرئاسة، وتحصيل شهوات النفوس وغير ذلك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم اللسان، فقالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل. اهـ. قلت: وحيث كان حاله على مثل هذا الوصف، فإنه لا ينفع جليساً ولا متعلماً، بل يربي في قلوبهم كل ما يبعدهم عن الله تعالى، مع ما يوقعه في قلوبهم من الغرور بتسمية العلماء، فيأخذون في الاستراحات والترفهات، ويستعظمون أنفسهم ويستحقرون الناس، ويصيرون تبعاً للرجيم الخناس، فتسوء منهم الأخلاق، وينشأ منهم سوء الظن بالخلاق، كذا بكافة العِباد والعُبَّاد، فيقعون في شبائك الغيبة ومهامه الفساد، لإصغائهم إلى ما يلقيه إليهم الشيطان الرجيم بقوله: افعلوا ما شئتم إن الله غفور رحيم، وإنه حليم. حاشا أن يطالبني بحقه الكريم، وأمثال ذلك، حتى يدخلهم بحيله دائرة الجحيم،

فـإذا شرع أحدهـم في عمـل صالـح أو صحبـة عـارف، ثبطـه عـن ذلـك ويعميـه عـن طريـق الإحسـان والإقبـال عـلى الرحمـن، وينقلـه مـن مقـام أحسـن الأخـلاق، إلى البخـل وضيـق الصـدر. وإذا ابتـلي مثـلاً بحـب امـرأة وأراد نكاحهـا مـن غـير ولي ولا شـهود، تـزوج بهـا واقـض مـرادك فإنـه صحيـح عـلى مذهـب داود، وللشـافعي بغـير ولي عـلى مذهـب أبي حنيفـة، ومذهبهـم مشـيد بالكتـاب والسـنة المنيفـة. فـإذا طالبتـه بالنفقـة والكسـوة الشرعيـة، قـال لـه: احلـف لهـا أنـك سـتعطيها، ويجـوز الحلـف للزوجـة لتمسـي راضيـة فـإذا دعتـه إلى قـاضٍ أنكـر أنهـا زوجتـك، وفي الحقيقـة عـلى مذهبـك لا زواج. ولم يـزل سـائراً عـلى بـه في أسـارير تلـك القفـار، سـالكاً بـه نهـج تلـك الفجـاج حتـى يتحصـل لـه عـلى ذلـك الاندمـاج، فيكمـل لـه تمـام الاعوجـاج، ويتركـه في المهـاوي معكوسـاً غاويـاً. اهــ. وهـذا كلـه مـن ظلمـة الباطـن ورد العلـم لـه، حيـث إنـه لم يقـم بشرائطـه، ولم يعمـل بعملـه، ومـا ارتكبـه مـن التأويـلات والرخـص، والإفتـاء بغـير الحـق. وبهـذا قـد التبـس عليـه الأمـر في أمـوره، كمغويـه إبليـس لعنـه الله، فـإن الحـق تعـالى قـد قـال لـه: لا تعبـد غـيري مـن شريـف وخسـيس، ثـم أمـره بالسـجود لآدم عليـه السـلام، فالتبـس عليـه مـن أنـه إذا سـجد لـه كان عابـداً لغـير الله تعـالى، فامتنـع مـن السـجود لحكمـة اقتضتهـا إرادة الله تعـالى فطُـرِدَ ولُعِـنَ إلى يـوم الديـن. ذكـر النجـم القـري في حسـن التنبيـه: إن مـن أخـلاق اليهـود والنصـارى الأخـذ بالـرأي مـع وجـود النـص والقيـاس الفاسـد، والإفتـاء بذلـك[1].

روى البـزار بإسـناد حسـنه ابـن القطـان عـن عبـد الله بـن عمـر رضي الله عنهـما قـال: قـال رسـول الله ﷺ:[لم يـزل أمـر بنـي إسرائيـل معتـدلاً حتـى بـدا فيهم أبنـاء سـبايا الأمم فأفتـوا بالـرأي فضلـوا وأضلـوا]. ورواه ابـن ماجـة:[لم يـزل أمـر بنـي إسرائيـل معتـدلاً حتـى نشـأ فيهـم المولـدون وأبنـاء سـبايا الأمـم التـي كانـت بنـو إسرائيـل تسـبيها فضلـوا وأضلـوا]. وروى البـزار ورجالـه رجـال الصحيـح في الكبـير، عـن عـوف بـن مالـك رضي الله عنه عـن النبـي ﷺ:[قـال سـتفترق أمتـي عـلى بضـع وسـبعين فرقـة أعظمهـا فتنـة عـلى أمتـي قـوم يقيسـون الأمـور برأيهـم فيحلـون الحـرام ويحرمـون الحـلال]. اهــ. وكل مـن اقتـدى النـاس بـه وصرفهـم عـن صريـح السـنة والكتـاب فهـو ملحـق بهـؤلاء الملاعـين. فينبغـي للعـالم أن لا يقطـع طريـق العلـم فيقـع في مهـاوي التلـف، وكـما أضل الله بذلـك الجاهـل نفسـه يضـل بـه قومـاً آخريـن، أعاذنـا الله مـن ذلـك[2].

١ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض. ص- ٢٠٢
٢ المصدر نفسه ص- ٢٠٤

المتصوف الجاهل

المتصوف فهو الذي يتكلف ان يكون صوفيا ويتوصل بجهده الى ان يكون صوفيا، فاذا تكلف وتقمص بطريق القوم واخذ به يسمى متصوفا، كما يقال لمن لبس القميص تقمص ولمن لبس الراعة تدرَّع ويقال متقمص ومتدرع. وكذلك يقال لمن دخل في الزهد متزهد، فاذا انتهى في زهده وبلغ وبغضت الاشياء اليه وفنى عنها فترك كل واحد منهما صاحبه سمي حينئذ زاهدا[1].

وأما المتصوف الجاهل أي بأوامر الله ونواهيه، فإنه ضال مضل مهلك لنفسه ولغيره، فإن حركاته وسكناته يأخذها من أهوية نفسه ودعاويه ولا يشعر بذلك، فيجعل الحلال حراماً والحرام بالعكس ويبدل ويغير حسب واردات النفس والشيطان على قلبه، فهو السم الناقع لكل من اعتقده أو جالسه وأخذ عنه شيئاً من أمور الدين، فمن أين له أن يصدر نفسه لأخذ شيء من الدين مع جفائه له، وعدم مجالسته لأهله والتسليم لهم في أمر العلم وغاية ما يلذ له الركوض إلى ميدان الغفلة، والتمسك هو ومن تبعه بالعوائد الشنيعة ونبذ الحق وأهله، وتبديل السنن بالبدع، ويتأدب بآداب الشيطان ويتخلق بأخلاقه فإذا فعل ذلك دعا له الشيطان الناس فأجابوه من كل حدب، وتركه بينهم يقودهم إلى أودية الفجور، ويبعث فيهم روح الغرور، ويسمي لهم المعصية طاعة، ويفعلها معهم جماعة، ويعلمهم معالم الخطأ، والناس أهدى إلى القبيح من القطا، وربما اكتفى هو عن شيخ ولو أخذ عنه بالاسم فقط، متسربلاً بجلباب الجهل والشطط، نشوان بالكبر والعجب والرئاسة، والحال أنه لم يفرق بين باب الطهارة والنجاسة أو يكتفي بالدوران في القرى والبلدان، ناشراً علم التلبيس والطغيان، سائراً معه أعوان النفس والشيطان، ينهب أموال الخلق بسيف الحياء، ممتلئاً بالشح والبخل وقلة الحياء، لا يفرق بين السنة والفرض، ولا يعرف الطول من العرض، شاكاً في قسمة الله، بائعاً دينه بدنياه. فإذا سمع شيئاً من العلم الشرعي تغير باطنه إن كان له منزلة عند الناس، ويصعب عليه الجلوس مع العلماء وإذا رأى ترنماً بالأشعار والذكر الملحون، غرق في بحر الجهل والاغترار لاسيما إن ضربت الدفوف والمزامير وغيرها من الأوتار. وقال الإمام المقدسي مبتدئاً بمن تزيا بزي

[1] رفيق العجم. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي. مكتبة لبان ناشرون، ص ٨٧١، ١٩٩٢

العارفـين مـن المتصوفـة المبتدعـة الجُهـال:

ذهب الرجال وجال مثل مجالهم
زمر من الأوبـاش والأنذال
زعمـــوا بأنهم على آثارهم
ساروا ولكن سيرة البطال
لبســوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا
كتقشف الأبطـال والبدال
قطعوا طريق السالكين وأظلموا
سـبل الهــدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى
وحشوا بواطنهم من الأدغــال
إن قلت قال الله قال رسـوله
همزوك همز المنكر المتغـالي
ويقول قلبي قال لي عن خاطري
عن سر سري عن صفا أحوالي
عن حضرتي عن فكرتي عن خلوتي
عن جلوتي عن شاهدي عن حالي
عن صفو وقتي عن حقيقة حكمتي
عن ذات ذاتي عن صفات فعالي
دعــواه إن حـققتها ألفـيتها
ألقـــاب زور لفقت بمحال
تركـوا الشرائع والحقائق واقتدوا
بطــرائق الجهال والضلال
جعـلوا المرا فتحاً وألفاظ الخطأ
شطحاً وصـالوا صولة الأدلال
وترصدوا كل الحرام تخـادعاً

كتخـــادع المتلصص المحتال

فاحذرهمُ وأحفظ مودة ســادة

قاموا بذكر الله في الآصـال

القــانتين المخــبتين لربهـم

الناطقين بأصـــدق الأقوال

التــاركين حظوظهم ونفوسهم

المؤثرين بخـــالص الأموال

ما شــانهُمُ في شأنهم كذب ولا

عمـــل لقصد رياً ولا لجدال

عمـــلوا بما علموا وجادوا بالذي

وجــدوا وما بخلوا بفضل نوال

وإذا بدا ليل سمعت أنينهم

وحنينهم بتضـرع وســؤال

وعيونهم تجري بفيض دموعهم

مثل انهمـــال الوابل الهطـال

متفـــاوتين بقربهـم وبحبهم

كتفاوت العمـــال في الأعمال

في الليل رهــبان لخدمة ربهم

وتخالهم في الجود كالأبطـال

تاهــوا على كل الملوك وإنهم

لهم الملوك بعزة الإقــبال

ولرب أشــعث حقَّرَتْه دلوقه

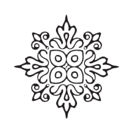
ولدى المليك هو العزيز الغالي

خُمْص البطون لما بهم من فاقة

شعث الرؤوس لروعة الأهوال

لم تَخْلُ أرض منهمو قد حكموا

ذات اليمين بها وذات شمال



الباب السادس

أثره في الإرشاد الإسلامي

وكما ترك القطب الشيخ أحمد الطيب بن البشير آثارا علمية لاتُسامى، فقد أجاز على منهجه في الطريقة السمانية أعلاما من مشايخ صوفية السودان تدور عليهم سلاسل الطريقة السمانية إرشادا وتزكية وتخريجا وإجازة في عمق وشمول واتساع تكاد ان تنفرد به الطريقة السمانية في السودان.[1]

وقد عقد الأستاذ الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم الفصل التاسع من فصول كتابه القيم «أزاهير الرياض» الذي ترجم فيه للجد القطب الشيخ أحمد الطيب لبيان المشايخ الذين تتلمذوا على يد سيدي القطب والتزموا منهجه حتى أجازهم مرشدين في الطريقة السمانية، وقد بلغ عدد المشايخ الذين أجازهم القطب أحمد الطيب ممن ورد ذكرهم في كتاب «أزاهير الرياض» ستة وتسعين شيخا غالبهم من مشاهير مشايخ الطريقة السمانية في السودان.[2]

في هذا الجزء من الكتاب سوف نتطرق لبعض أشهر تلاميذ الشيخ أحمد الطيب الذين أخذوا عنه، ولازموه زمنا، ثم ساروا سيره، وقاموا بجهود كبيرة لنشر تعاليمه في داخل السودان وخارجه. أشهر تلاميذه داخل السودان: الشيخ أحمد البصير عبد الرازق الحلاوي -الشيخ محمد توم ودبانقا - الشيخ

١ عبد الجبار المبارك. مصدر سابق. ص ٢٠٣.
٢ المصدر نفسه.

القرشي ود الزين - الشيخ دينق والذي أمره بأن يلحق ويقيم مع الشيخ التوم - الفقيه بدوي ولد أبي صفيه - الشيخ ودطه - الشيخ الصليحابي أمر بالتوجه للحبشة للإرشاد - الشيخ حسيب الكوباوي المغربي - الشيخ الأمين ود أم حقين، وغيرهم الكثير ممن صاروا أعلاماً ونجوماً يُهتدى بهم. اكتسب الشيخ أحمد الطيب أنصاراً في وسط السودان بين الجوامعة والكواهلة والحلاويين. وكذلك كسب قلوب طائفة من القادرية مثل اليعقوباب١ . وخارج السودان الشيخ شيخون الوزي (مصر)، والشيخ بشر الحافي (إثيوبيا). ولقد كان لهولاء التلاميذ الدور المشهود في نشر تعاليم الطريقة عبر وسائل متعددة تمثلت في تأسيس افرع للطريقة شملت جميع بقاع القطر السوداني.

أحمد البصير الحلاوي ١٧٧٨- ١٨٣١م

ومن مراكز الطريقة السمّانية التي قامت بدور عظيم في نشر الدعوة السمّانية، وأدت فيما بعد أدواراً أخرى مركز السمّانية في ديار الحلاويين والذي أنشأه الشيخ أحمد البصير. وأسرة الشيخ البصير ذات التاريخ والوزن بمنطقة الحلاوين عرفت بالاهتمام بتعليم القرآن الكريم ونشر العلم وتدريسه بجانب مساهمتهم الحيوية والإيجابية في الحياة العامة وهم من الحلاوين المديداب وعميد هذه الأسرة وكبيرها الذي تنسب إليه هو أحمد بن عبدالرازق بن محمد نور بن عبدالرازق بن الحاج بن حمد بن مديد بن جمعة بن عفيف الدين بن إبراهيم شامخ الدين بن محمد خازن بن نائل بن حلو (الجد الأكبر لكل الحلاوين) بن حمد بن رافع وهو جد كل قبائل رفاعة٢. ولد الشيخ أحمد سنة ١١٩٣ هجرية الموافق عام ١٧٨٠م بقرية دلقا وهي القرية التي أسسها جده الثالث الحاج ود حمد وسماها دلقو تيمناً باسم قرية شيخه الذي حفظ عليه القرآن الكريم بأرض المحس.. وحفظ الشيخ أحمد القرآن الكريم ونال قسطاً لا بأس به من علوم الدين وكان دائم التلاوة للقرآن الكريم وكثير العبادة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أخذه للطريق وقد اشترك في الحروب التي دارت بين الحلاوين وجيرانهم وأصيب

١ حسن مكي.رواد التجديد السوداني، وافريقيا جنوب الصحراء في مائتي السنةالأخيرة د ا رسة مقارنة بين عثمان دان فودي في صكتو والشيخ أحمد التجاني والميرغني الكبير وأحمد الطيب البشير في ديار الفونج بدون تاريخ.
٢ صديق البادي.معالم وأعلام- ١٩٩٢م

فيها بضربة رمح أفقدته بصره وانقطع بعد ذلك للعبادة ولقب بالضرير ثم ذهب للشيخ أحمد الطيب ود البشير وأخذ عنه الطريق السماني ولازمه ونال إعجابه وتقديره ولقبه بالبصير فاشتهر بهذا اللقب.

وبعد أن نال الشيخ البصير المشيخة الكبرى توافد عليه كثير من الناس من كل صوب وحدب وأخذوا الطريق السماني عليه، ونذكر من هؤلاء الشيخ القرشي ود الزين أستاذ الإمام المهدي ومنهم كذلك الشيخ دفع الله ود كليلي من أبي فروع والشيخ محمد ود جبارة من الطرش والشيخ الحاج ود محمد من دلقو والفكي علي البكاي والشيخ الحسين ود صباحي وهو من آل الشيخ إدريس ود الأرباب وقد بنى القبة الأولى على أستاذه الشيخ البصير. لقد ارتبط مركز الشيخ أحمد البصير تاريخياً بمركز آخر في ديار الحلاوين،هو مركز الشيخ القرشي بن الزين تلميذ الشيخ قبل لقائه بالشيخ أحمد الطيب، وأستاذ المهدي، لقد قامت بين هذين المركزين صلة نسب وقربى وطريق روحي وجهاد علمي محسوس، فالشيخ القرشي متزوج من ابنة الشيخ البصير.

يقول عنه الأستاذ الشيخ عبد المحمود في أزاهير الرياض: «ومنهم علم الأسرار وكوكب الأنوار، سمير الحضرة النبوية، ورب البصيرة النورية، الشيخ أحمد البصير بن عبد الرازق الحلاوي كان ضريراً، وقد لقبه سيدي الشيخ بعد الفتح بالبصير فاشتهر به دون غيره. وكان من أجل تلامذة الشيخ ومحبوباً لديه، وكان الشيخ قُدِّسَ سِرُّه لا يفرش لأحد من تلامذته بساطاً يجلس عليه إلا له أو لولده سيدي الشيخ مطيع، ويقول: رأيت النبي في الحضرة يفرش لهما. وكان الشيخ أحمد البصير كثير الاجتماع بالنبي ويشاوره في جميع أموره، ولم يحجب عنه في وقت من الأوقات، وكان كثير الاجتهاد والعبادة، لا يطيب له نوم ولا أكل. وكان ورده في كل ليلة سبعين ألفاً في الهيللة، ما عدا ورده من القرآن والنفل والصلاة على النبي.[1] قال عنه الشاعر المكاوي في قصيدته «ياليلى ليلك جنَا»:

---

١ عبد المحمود نور الدائم.أزاهير الرياض — ص- ٢٣٠

هـــــبّ وطلق نســـامو ونبه للأمة أواســــــــمو
وقـــــف البصير قســامو والقرشي طابقا سهامـــوا

الشيخ القرشي ود الزين ١٧٧٤ - ١٨٨٠م

نشـأ الشـيخ القـرشي ود الزيـن في أسرةٍ دينيـةٍ عريقـةٍ ذات تاريـخ أصيـل وركيزةٍ مـن ركائـز التصـوف الإسـلامي الـذي اجتـاح السـودان، وكان موطـن هـذه الأسرة الأول دار فقينـق بـأرض البزعـة بكردفـان، وفقينـق تعـد الموطـن الأول لأجـداده الأشراف الذيـن هاجـروا إليهـا مـن الحجـاز عقـب موجـات المـد الإسـلامي الـذي اجتـاح البـلاد الأفريقيـة وغيرهـا مـن البلـدان الإسـلامية لتعرضهـم لقسـوة الحـكام خاصـة في عهـد الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي فـراراً بدينهـم واسـتقر هـؤلاء المهاجريـن مـع القبائـل الوطنيـة الأفريقيـة، وقـد طـاب بهـم المقـام وواصلـوا في نـشر رسـالة الإسـلام السـمحة.

اسـمه بالكامـل محمـد أحمـد بـن الفكـي الزيـن بـن الشـيخ عـلي ود الفكـي رابـح بـن السـيد يونـس بـن السـيد أنـس بـن الفقيـه أحمـد ينتهـي نسـبه عنـد سـيدنا الحسـين بـن الإمـام عـلي والسـيدة فاطمـة الزهـراء بنـت الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم١ . أمـا والدتـه فهـي الزيـارة بنـت الفقيـه مختـار بـن الفكـي حمـد بـن بـل ابـن حمديـن بـن شـاور بـن محمـد أحمـد الحلـو، وحلـو تنتمـي لـه كل فـروع الحلاويـن وهـم فـرع مـن رفاعـة.

شـب الشـيخ القـرشي وترعـرع في كنـف هـذه الأسرة الكريمـة في مسـقط رأسـه بقريـة مصطفـى قـرشي بالحلاويـن، وانخـرط في حفـظ القـرآن في خلـوة والـده منـذ نعومـة أظفـاره وقـد كانـت هـذه الخلـوة عامـرة بالتلاميـذ وقبلـة للضيـوف وأصحـاب الحاجـات وكان القـرشي يعمـل ليـل نهـار في خدمـة الضيـوف، ومـن ثـم انشـغل عـن قـراءة القـرآن، لهـذا رأى والـده أن هـذا الجـو المشـغول بالأعـمال المتواصلـة لا يمكـن مـن خلالـه تعليـم ابنـه الشـيخ القـرشي، لـذا آثـر أن يكـون

١ عرف محمد أحمدبلقب القرشي وسببه بأن محمد أحمدعندما كان في خلوة الشيخ علي الفادني فسأله ذات مرة عن نسبه وقبيلته فرد عليه تلميذه محمد (أنني انتمي إلى قبيلة قريشوقال له قريشي ومن تلك اللحظة أخذ شيخه علي الفادني يناديه بالقرشي وبمرور الزمن تناقلها طلبه الخلوة ينادونه بالقرشي أصبح هذا الاسم منذ تلك اللحظة فطغت على اسمه الحقيقي.

ابنــه بعيــداً عــن هــذا المــكان وبــما أن خــلاوى الشــيخ الفادنيعامــرة بالتلاميــذ وذائعــة الصيت أرسـله إليهـا حتـى ينصـب لحفـظ القـرآن ويتفـرغ لقراءتـه خاصـة أن هنالـك علاقـة حميمـة تربـط الشـيخ الزيـن بالشـيخ عـلي الفـادني. انتقـل الشـيخ القــرشي حامــلاً لوحــه الطاهــر إلى خلــوة شــيخه عــلي الفــادني وفيهــا واصــل مــا انقطــع لــه مــن حفــظ القــرآن، وكان الشــيخ القــرشي عنــد حســن ظــن والــده لا تشــغله الدنيــا عــن الدراســة وســاعد كثــيراً ســلوكه المســتقيم وكــده ونشــاطه المتواصــل وأدبــه المتواضــع فحبــه الشــيخ عــلى الفــادني وقربــه إليــه وأصبــح مــكان احــترام وتقديــر مــن شــيخه، وفي هــذه الغمــرة شــاءت الأقــدار أن يفقــد والــده الشــيخ الزيــن وهــو مــا زال صغــيراً في بدايــة طريــق العلــم، وكان شــبيهاً بوالــده الــذي فقــد أبــاه صغــيراً ومــن ثــم وقــع الحمــل عــلى عاتقــه وزادتــه قــوة وصلابــة ونشــط الشــيخ القــرشي في مواصلــة قــراءة القــرآن وحفظــه، حتــى يتفــرغ لإدارة خلــوة والــدة بحــلة مصطفــى قــرشي.

وبعـد رجوعـه إلى ديـاره ونسـبة للسـمعة الطيبـة التـي تمتـع بهـا الشـيخ القـرشي ازداد عــدد تلاميــذه ومــن ثــم بــدأ يفكــر في إيجــاد حــل لتغطيــة منصرفــات التلاميــذ والضيــوف الذيــن يتقاطــرون عليــه عــلى الــدوام، فأصلــح الكثــير مــن الأراضي الزراعيــة التــي كانــت بــوراً واشــترى أيضــا مســاحات واســعة مــن الأهــالي التــي تصلــح للزراعــة والتــي تعــرف بالبلــدات١، وذلــك لمقابلــة ضروريــات الحيــاة المعيشـية، واسـتقر بـه المقـام واسـتتب لـه الأمـن وطابـت أحوالـه حيـث شـمر لخدمــة خلوتــه ومســجده.

اسـتقر الشـيخ القـرشي في داره الجديـدة بطيبـة ومـن معـه مـن الجـيران والتلاميذ وأهلهوأتباعــه يعملــون في جــد ونشــاط في نــشر الطريقــة الســمانية، وظلــت علاقتــه مــع الشــيخ أحمــد البصــير قائمــة ولم تنقطــع، وكان يــزاوره فــترات متقاربــة.

وعــن دور الشــيخ القــرشي ود الزيــن في نــشر الطريقــة الســمانية يقــول عنــه الأســتاذ الشــيخ عبدالمحمــود نورالدائــم في كتابــه أزاهــير الريــاض: «ومنهــم رب المزايــا الظاهــرة، والآيــات الباهــرة، والكرامــات لخارقــة، والأنــوار الشــارقة، والفيوضــات المتواتــرة، والأسرار الباهــرة، قطــب الســالكين، وبحــر المسترشــدين،

١

واحد العصر والأوان، وفريد الدهر والزمان، سيدي وأستاذي الشيخ القرشي بن الزين بن الفقيه علي البزعي. كان رضاعه من سيدي الشيخ أحمد البصير، وفطامه على يد القطب الأكبر سيدي الشيخ أحمد الطيب قُدِّسَ سِرُّه. وفي إجازته عن الشيخ أحمد البصير رحمه الله ما صورته: هذه الإجازة من الحق تبارك وتعالى، على لسان نبيه محمدصلى الله عليه وسلم وكان قد اجتهد في الطريقة اجتهاداً ما سمع لغيره، وكثيراً ما كان يدخل الخلوة الأربعينية، وربما اكتفى فيها بثلاث لقيمات فقط، كما أخبرني بذلك عن نفسه. وكان كثير الاجتماع بالخضر عليه السلام، وربما غلب عليه الحال وقال: خذ عني الطريق. وكان ورده في كل ليلة من الهيللة سبعين ألفاً ومن القرآن خمسة أجزاء، وربما صلى بالثلث تهجداً، وكثيراً ما كان يصلي بين المغرب والعشاء بالسبع . وله في الصلاة على النبي وغيرها من الأوراد ما يقارب ما ذكرناه مقداراً، وأحواله في العبادات والطاعات لا تحصرها الأقلام، ولا تدركها الإفهام. وقد غلبت عليه في آخر عمره المشاهدة والأفنية، والتخلق بأخلاق شيخه سيدي الشيخ لأحمد الطيب. وكان لا يجلس ولا يقوم إلا بذكر الشيخ، وأخبرني رحمه الله تعالى أنه لم ير مطلقاً عيباً في من ينسب إلى سيدي الشيخ وإن أساء، بل ولو أحد جاء من السافل فإنه لا يرى عليه اعوجاجاً أبداً. فقلت له قولك هذا شبيه بقول قيس ليلى حيث قال:

أحب لحبها السودان حتى حببت لحبها سود الكلاب

للشيخ القرشي عدد من المؤلفات في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك الأدعية. غير أن أشهرها مؤلفه»صلاة الحال لمن أراد إلى الله الوصال» كما له كتاب يحمل اسم «الحكم».سلك على يد الشيخ القرشي عدداً من كبار التلاميذ الذين باتوا مشايخ كبار في الطريق السماني بل أسسوا بدورهم مراكز هدى ومنارات إرشاد أسهمتإسهاما كبيراً في نشر الطريق السماني ومن هؤلاء المشايخ الذين ينتمون إلي البيت الطيبي يذكر تلميذه المحقق الشيخ عبد المحمود في سفره التوثيقي القيِّم أزاهير الرياض قائلا ومنهم: «الفاضل الصالح الشيخ البشير بن سيدي الشيخ نور الدائم،

والشيخ محمد شريف، وأخوه الشيخ عبد المجيد - إلا أنهما بعد أخذهما وإجازته لهما قد رجعا إلى نسبتهم في الطريق لأبيهم سيدي الأستاذ نور الدائم – والشيخ عبدالجبار، وبعض أولاد سيدي الشيخ أحمد الطيب، والعبد الفقير مؤلف هذا الكتاب»[1]. وكذلك من التلاميذ الشيخ الشريف الكوقلي باربجي والشريف الخاتم والإمام المهدي والشيخ الطيب أبوصباح بالهلالية. انتقل الشيخ القرشي إلى الرفيق الأعلى في عام ١٨٨٠م ليوراى الثرى في قبة بناها تلميذه الأمام المهدي في طيبة.

الشيخ محمد التوم ود بانقا ١٧٦٤ -١٨٥١م

توطدت علاقة الطريقة السمانية مع اليعقوباب منذ زيارة الشيخ أحمد الطيب ود البشير لدولة الفونج، وقتها إزدهرت الطريقة السمانية، ووجدت قبولاً لم يكن له مثيل، رغم وجود الطرق الصوفية الأخرى، ولان الطريقة السمانية كانت طريقة تجديدية، فقد استحسنها أهل الدولة ملوكاً ورعيةً، وزاد الأمر بركة وخيراً عندما أجاز الشيخ محمد توم والجماعة الذين بصحبته في الطريقة السمانية وأطلق عليه أديب الأدباء. الأمر الذي جعل أهله وأبناء عمومته، يرمون عليه صوت اللوم بترك طريقة أجداده، ويقصدون الطريقة القادرية، ولكن شخصية الشيخ محمد التوم الفذة التي كانت تتحلى بالصبر والحكمة، جعلت الناس ينقادون إليه شيوخاً وشباباً وعرباً وعجماً، يجيزهم في الطريقة السمانية الأمر الذي مكنه من تركيز دعائم الطريقة السمانية في المنطقة، ومزج بين السندين في حلق الذكر السرياني، وجمع بين الوردين القادري والسماني[2].

يتصل نسب الشيخ محمد التوم بالشيخ بانقا الضرير عبر حفيده اي الشيخ بانقا الشيخ هجو ودحماد بن السيدة بتول الغبشا ابنة الشيخ بانقا فهو ابن الشيخ بانقا بن الشيخ هجو الأحمر بن الشيخ عبد القادر الناجي بن الشيخ هجو ودحماد. والجدير بالذكر أن الشيخ محمد توم لم يجلس على سجادة والده

---

١ أنظر عبد المحمود نورالدائم. أزاهير الرياض – ص- ٢٤٣

٢ الزهراء جبر الله محمد. الشيخ محمد التوم ود بانقا ودوره الدعوي في منطقة سنار(١١٨٧-١٢٦٨ هـ)-(١٧٦٦-١٨٤٦م). بحث مقدم لنيل درجة الماجستير الآداب في التاريخ- كلية التربية حنتوب- جامعة الجزيرة- ٢٠١٤- ٢٥.

وعلى الرغم من ذلك فقد طبقت شهرته الآفاق وعلا صيته وذاع في طول البلاد وعرضها. وكان ذكره على كل لسان وقصص كراماته منتشرة ومعروفة لدي الكثيرين، وقصائد مدحه، التي حوى الديوان بعضاً منها، يتغنى بها المنشدون ويرددها الذاكرون في بقاع السمانية في شرق البلاد وغربها وشمالها ووسطها وفي ريفها وحضرها.

محمد هو اسم الشيخ، والتوم هو لقبه وهو شيخ الطريقة حالاً ومقالاً وقطب الحقيقة ذوقاً وأفعالاً، فقد انفرد بالكمال في عصره وصار وحيداً في دهره انقاد إليه العلماء والأخيار والصالحون والأبرار، وكان رضي الله عنه كالشمس في البيان والعافية في الأبدان، متلاطم البحر كأنه السواري والغواري في إفاضة السر[1] .لم يكن سيدي محمد توم ود بانقا خليفة لوالده وإنما كان الخليفة أخاه الأكبر الشيخ هجو وقد ولد سيدي الشيخ محمد توم في الربع الأخير من القرن الثاني عشر هجري وعاش إلى ما بعد العقد السادس من القرن الثالث الأخير، وعاش إلى ما بعد العقد السادس من القرن الثالث عشر، وقد ولد في (التومات) قرب السبيل عام ١١٧٧هـ توفى عام ١٢٦٨هـ في حلته (حلة الشيخ التوم ود بانقا) جنوب القبة، وقد شهدت هذه الفترة سقوط مملكة الفونج ووقوع السودان في مخالب الحكم التركي العثماني[2]. قرأ القرآن وعلومه على يد والده العالم والعارف بالله الشيخ بانقا ود الشيخ هجو الأحمر، وفي السابعة من عمره انتقل به والده من التومات إلى ود سعد حيث أكمل حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه وبدأ بدراسة علوم الفقه على يد والده ودرس على يديه التوحيد خير المنال وكانت له رغبة عظيمة في التعليم إلا أن وجوده في مسيد والده وما يقتضيه من ضرورة الوقوف على خدمة الضيوف والمريدين كان يعيقه عن الاعتكاف على طلب العلم ولذلك شد الرحال حيث ذهب إلى أبونال حيث درس على يد الفكي محمد (ود أب نال) جزئي رسالة ابن زيد القيرواني ثم رحل إلى سنار،ودرس ومؤطأ الإمام مالك على يد الفكي (نور ودصبير) وذهب إلى الفخيخير ودرس على يد الفكي القرشي المنصوري حكم بن عطاء الله السكندري وقد سلك الشيخ

---

١ بانقا الشيخ زين العابدين. أدب سلوك القوم في قصائد العارف باللهسيدي الشيخ التوم. طبع في الإمارات العربية المتحدة.٢٠٠٧ ص-٧

٢ المصدر نفسه

محمد تـوم طريـق القـوم عـلى يـد والـده وأجـازه في الطريـق القـادري وأخـذ السـند علـى خالـه الشـيخ مضـوي ود مـرزوق وأجـازه عـلى الطريـق القـادري ، فلـم يجـد مطلبـه عـلى حسـب علـو همتـه، فجذبتـه عنايتـه السـابقة بتعلـق قلبـه بلسـان الوقت وإمامـه القطـب الأعظـم، سـيدي الشـيخ أحمـد الطيـب فاشـتاق إلى الوصـول إليه، والمثـول بـين يديـه، اشـتياق الـروض إلى الطـل، والمهجـور إلى الوصـل، وأكثـر مـن زيـارة مـن في قربـه مـن تلامـذة سـيدي الشـيخ، كالشـيخ يعقـوب ولـد عـلي الدويحـي، والشـيخ محمـد ولـد عـلي الـركابي وغيرهمـا. واسـتغرق في محبتـه الشـيخ اسـتغراقاً، بحيـث أنـه كاد أن يـترك الطعـام والـشراب مـن تأثـير محبتـه في باطنـه. ثـم سـافر إليـه لأخـذ الطريقـة ومعـه جماعـة، فلـما قـرب أخـبر الشـيخ تلامذتـه بقدومـه عليـه بقولـه: «الآن سـيقدم عليكـم أديـب الأدبـاء»[1] . فلـما أخـذ الطريقـة كـما ذكرنـاه آنفـاً، لازم الخدمـة بصـدق القلـب والإخـلاص، وأمـره الشـيخ بـترك الخدمـة، وذلـك بعـد سـبعة مـن الأيـام، وقـال لـه: أنـت لسـت محتاجـاً إلى نفـس طريقـة والتلقـين، إنـما احتياجـك إلى قطـع عقبـات النفـوس، وقـد طويـت لـك في هـذه الأيـام السـبعة مسـافة عقبـات النفـوس السـبعة: الأمـارة، واللوامـة، والملهمـة، والمطمئنـة، والراضيـة، والمرضيـة، والكاملـة. ووهبـت لـك مقـام جـدك الشـيخ موسـى ولـد يعقـوب. وكان مـن الأفـراد، وملكتـك أرض الصعيـد، وفتحـت لـك مـا كان مغلقـاً عنك.حدثنـي الشـيخ عبـد القـادر ولـد بـان النقـا رحمـه الله تعـالى، عمـن حـضر ذلـك الـكلام مـن تلامـذة سـيدي الشـيخ قـال: فقـال لـه: إن الصعيـد فيـه الشـيخ محمـد ولـد عـلي، فسـكت سـيدي الشـيخ، فأعـاد عليـه الشـيخ محمـد التـوم رحمـه الله تلـك الكلمـة، فقـال لـه: حتـى عـلى الشـيخ محمـد ولـد عـلي. قلـت: وشـاهد هـذا

صادق ما خان عهداً أبدا ولذا للقصد كلاً وجـــــدا
ما لهته النفس حتى قال ما فيه حال موجب سوء الردى

وقـد كان ذلـك لـما بلغـه مـن العلـم اللـدني ومـا تميـز بـه مـن التـأدب والتواضـع الجـم حتـى أن شـيخه الشـيخ أحمـد الطيـب ود البشـير مدخـل الطريقـة السـمانية في

[1] عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض – ١٩٦٥ – ص- ٢٣٢

السـودان أسـبغ عليـه لقـب أديـب الأدبـاء.

هــذا وقــد أفــاض العارفــون بالشــيخ محمــد تــوم في ذكــره ووصفــوه وصفــاً يضعـه بـين الأصفيـاء مـن أهـل الصوفيـة في هـذا البلـد. فمـن ذلـك قـول شـيخنا[1] في حقـه: «إنـه وضـع قدمـه عـلى قـدم أبي القاسـم الجنيد»[2].وقـد قـال عنـه السـيد الحسـن الميرغنـي رضي الله عنـه :»مـا بقـي مـن الأوليـاء المرشـدين في يومنـا هـذا إلا اثنـان: والدنـا السـيد محمـد عثـمان بمكـة والشـيخ محمـد التـوم ببـلاد السـودان». وقـال عنـه الشـيخ عـوض الجيـد الخالـدي: «منلـم يـترك لـه أبـوه أخـاً مثـل الشـيخ محمـد التـوم لعبـت بـه الرجـال»[3].

بلـغ الشـيخ محمـد التـوم بعـد ان اسـتقر في بقعتـه بشـمال سـنار شـأواً عظيـماً في المشـيخة فتتلمـذ عليـه عـدد مـن المشـايخ يضيـق المـكان عـن ذكرهـم. حتـى قيل ان عـدد خلفائـه قـد بلـغ تقريبـاً ثلاثمائـة خليفـة. وتشـير الروايـات إلى أن أشـهر تلاميذ الشـيخ محمـد التـوم ابنـا أخويـه عبدالقـادر وداخـضر المعـروف بالماصـع وهجـو ود عبدالقـادر. ومـن غـير أسرتـه تذكـر الروايـات الشـيخ النـور المسـلمي المعـروف بالنـور العـربي أو الشـيخ محمـد نـور عـربي. ومنهـم الشـيخ طلحـة ودحسـين. ومـن تلاميـذه كذلـك الشـيخ بريـر ود الحسـين الـذي يقـال بأنـه قابلـه أول مـرة في ديـار العركيـين عندمـا ذهـب الشـيخ محمـد التـوم للعـزاء في وفـاة الشـيخ أحمـد الريـح. وقـد أشـتهر الشـيخ بريـر وسـط عـرب النيـل الأبيـض وكردفـان وضريحـه بشبشـة. ومنهـم الشـيخ خوجـلي ولـد أحمـد الكاهـلي والشـيخ رهـودة الأمـي والمقـدم موسي ود الحـاج. ومـن التلاميـذ تلميـذه ود البخـاري ومقـدم دينـق هـؤلاء هـم الذيـن يتواتـر ذكرهـم في الروايـات وهنـاك غيرهـم كثـير. انتقـل سـيدي الشـيخ التـوم إلى جـوار ربـه عـام ١٢٦٨ هجريـة الموافـق ١٨٥٣ ميلاديـة بحلتـه حلـة الشـيخ التـوم ودفـن في قبتـه الواقعـة شـمال القريـة[4] . وقـد بنـى خليفتـه الشـيخ عبدالقـادر الخضر قبـة عـلى قـبره ثـم أن تلـك القبـة قـد جددهـا بالبنـاء خليفتـه الثالـث الشـيخ هجـو ودعبـد القـادر الماصـع.

١ شيخنا استجدهما الشيخ عبد المحمود ويعني به هنا «الشيخ القرشي».

٢ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض — ص ٢٣٢

٣ عبدالله يعقوب. مشاعل الصوفية عند اليعقوباب- الخرطوم- ١٩٩٢- ص- ٤

٤ مركز المعلومات بالإذاعة السودانية

الشيخ حسيب الكوباوي

يعد الشيخ حسيب الكوباوي المغربي الأصل واحد من أوائل من تلاميذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير. أتى من بلاده المغرب بعد أن سمع بتلك المكانة والسمعة التي تجاوزت الحدود للشيخ أحمد الطيب فجاء وانتظم تحت راية سلكه بعد أن أخذ منه البيعة الصوفية. كان عالماً جليلاً وحكيماً فريداً، عرف عنه كثرة العبادة وملازمة الذكر والخلوات.

ومن ضمن تلاميذ جده الشيخ أحمد الطيب فقد أرخ له الأستاذ الشيخ عبدالمحمود في أزاهير الرياض بقوله: «ومنهم قطب المعارف، وإكسير العوارف، سيدي الشيخ حسيب بن إمام الكوباوي، ثم المغربي. كان من جهابذة العلماء، وأئمة الحكماء فريداً في وقته وحيداً في نعته، نظم مختصر الشيخ خليل رحمه الله نظماً بديعاً، وله تآليف في التصوف وغيره وهي تشهد بكماله وقد شاهدت البعض منها. وكان كثير العزلة والعبادة وكانت سبحته التي يذكر الله تعالى بها سبعين ألفاً وما سمع أن أحداً بلغ مبلغه في وقته في الزهد والعبادة والتصريف والخوارق وقد دلته على الشيخ وصحبته مقالة الحية الجنية التي تقدم ذكرها في فصل الكرامات. وعندما رآه الشيخ ساعة قدومه ومقابلته له ملكه ألفين وخمسمائة من الجن يخدمونه، وصحب الشيخ بالملازمة بعد أخذه عليه الطريقة تسعة أيام، فبلغ فيها قصده، وعلا مجده، ثم استأذنه بالحج وزيارة النبي فأذن له، وسافر من عنده كأنه البحر الزاخر، والسحاب الماطر، فأقام أولاً بالدامر ثم ارتحل إلى سواكن وأقام فيها أياماً[1]. حدثني عمر كشنة في عام حجنا قال: كان الشيخ ﵁ هنا معنا بسواكن فصرع الجان أحد أولادنا فبادرت إليه به، فوقع على ذلك الولد وخنقه بيده، ثم أمرنا بحمله إلى محلنا وزال عنه الصرع من حينه، واستمر معافىً إلى أن مات. وأخبرني بعض أعيان سواكن فقال لي: ما رأيت أحداً لا يبالي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سلطان ولا ظالم، كالشيخ حسيب، ثم من بعد إقامته بسواكن توجه إلى مكة المشرفة وأقام بها وانتفع به خلق في الطريق لا يحصون عدداً. وكان أهل مكة شرفها الله يكثرون الميل إليه جداً ويقدمونه على غيره

---

١ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض. ١٩٦٥ — ص ٢٢٥

من الصالحين الواردين عليهم، ويرون أنه في الكمالات فريد وحيد[1]. ومن كراماته أنه كان له مريد غرق له صندوق بالبحر المالح، وكان فيه من الأموال عدد كبير، فوقع على قدمه يريد صندوقه، فأمره بالدخول في محل خاص به فدخل فوجد فيه صندوقه وهو يقطر ماءً. ومنها أنه كان يخرج من مثلث أبي حامد الغزالي ما شاء من دراهم ودنانير وغيرها، وربما أخرج منه جمرة النار عند الاحتياج إليها، كما أخبرني بذلك تلميذه العارف بالله تعالى السيد الحسن الميرغني قُدِّسَ سِرُّه وربما فعل نحو ذلك من غير وفق يعمله. ومنها أخبرني به العالم الصادق الفقيه الدسوقي بن الخليفة محمد ولد الفقيه إدريس ولد دوليب القاطن بخرسي قال: سمعت والدي يقول: كان عندنا سيدي الشيخ حسيب بن إمام بخرسي قال: ألا ترون أني الآن جالس بينكم، قلت: نعم. فقال: ولكني طائف بالسبع الأرضيين. وكان إماماً في كل علم، ولاسيما علم الحرف، فإنه فيه ثالث لأبيس حامد، وأحمد البوني رضي الله عنهما. ومما كان يترنم به من الشعر في بعض الأحيان هذه الأبيات، وهي لغيره ويبدل منها منيباً بحسيب:

حسيب فر عن أهل ومال	**يسيح من المكان إلى المكان**
ليخمل ذكره ويعيش فرداً	**ويظفر في القيــامة بالأمان**
تلذذه التــلاوة حيث ولى	**وذكر باللســـان وبالجنان**

وممن وصل به إلى الله تعالى وانتفع به ونفع الغير سيدي العارف بالله الشيخ أبوالحسن بن الشيخ عبد الكريم بن القطب سيدي الشيخ محمد السمّان قُدِّسَ سِرُّه، وانبلجت على طريقته يد المذكور، وليس لأولاده بالمدينة المنورة سند غيره في طريقتهم السمّانية. وممن أخذ على أولاده، وانتفع الشريف أحمد ولد طه الحسني المقتول عند ثورة المهدية، وهو بين رفاعة وأبي حراز، والعارف الرباني، والقطب الفرداني، سيدي السيد الحسن بن الختم السيد محمد عثمان الميرغني نفعنا الله، كما شاهدت ذلك عياناً في مناقبه التي ألفها خليفة الخلفاء الخليفة إدريس بن الخليفة النصيح، فراجعها إن شئت. ومن

---

١ المصدر نفسه ص- ٢٢٥

أخذ على السيد الحسن الطريقة السمّانية بسنده المذكور القاضي محمد ولد حتيك والفقيه الحسن ولد الفقيه إبراهيم زهرا، والحاج ضياب العبدلابي المجذوب. وكان يصرح لكل أحد ويقول: أنا سماني. وقد رأيته عام سبعة وسبعين بعد المائة والألف بالحلاوين عند مجيئه للعارف بالله الشيخ القرشي لمسجده وطلب منه أن يأمر تلامذته بقراءة التوسل السمّاني، فلما قرأوه أمرهم أن يكتبوه له فكتب، فأخذه ووضعه في جيبه حتى رجع بعد ذلك إلى منزله. وممن أخذ على الشيخ حسيب وانتفع به الفقيه الصديق الأمين بن الفقيه أحمد ولد المجذوب، وولده العالم العلامة الصالح العابد الشيخ حسيب، والشيخ أحمد التكروري المدني، والشيخ عبد السلام الصعدي نزيل القورة من أرض الريف، والشيخ عبد الغفار القاطن بجدة. توفي الشيخ حسيب بمكة مسموماً ودفن بالمعلاة، وقبره هناك معروف عند أحبابه.

الشيخ عبد الله الصابونابي ١٧٨٩ - ١٨٦٠م

يرجع تاريخ مسجد الشيخ الصابونابي إلى ما قبل الثلاثمائة عام، ويعتبر المؤسس الأول لهذا المسجد هو الشيخ سليمان العامري الحسيني وقد قدم إلى السودان في أواخر القرن العاشر الهجري من منطقة دراو جنوب أسوان وبها مشهد الأستاذين الجليلين السيد عامر والسيد عمران وكان ذلك في عهد السلطنة الزرقاء المعروف في تاريخ السودان. وعند حضوره كان أول ما قام به هو تأسيس المسجد والخلاوي، وكان قد تنقل بهذه الخلاوي في عدة أماكن، وقد رأى الشيخ أن يسكن بجهة الصعيد بعد أن استخار الله سبحانه وتعالى فاستقر بمنطقة سنار حاضرة دولة الفونج آنذاك. وهناك توسع بهذه الخلاوي وأصبحت منارة يأتيها الناس من كل حدب وصوب[١].

سبب تسميته الصابونابي عندما قدم الشيخ سليمان إلى سنار، طلب مقابلة الملك ليعطيه أرضاً يسكنها بمن معه وكان لهذا الملك مصارع اختاره من رجال دولته فلما حضر الشيخ قال له الملك ليس لدي مانع من إعطائك بقعة تسكنها ولكن بعد مصارعتك لهذا المصارع، فإذا صرعته فلك ما شئت، وإلا فلا حاجة لك عندي، فاستعان الشيخ بالله تعالى وتصارعا

١ كتيب منشور عن خلاوي الشيخ الصابونابي

فصرعـه الشـيخ، وقـام مـرة أخـرى فصرعـه الشـيخ أيضـا، ورأى الشـيخ أن وجـود هـذا المصـارع مفسـده عظيمـة، إذ بوجـوده لا تقـضى حاجـات النـاس عنـد الملـك، فـرأى أنـه مـن المصلحـة أن يتخلـص مـن هـذا المصـارع ليريـح منـه النـاس ففعـل، فلـما جـاء إلى الملـك سـأله هـل أبقـى في مصارعـه شـيئاً. فقـال لا تركتـه نظيفـاً كـما (يصوبـن) الثـوب - أي ينظـف بالصابـون - فعنـد ذلـك عظـم في عـين الملـك وعـرف أن صرعـه لذلـك الرجـل القـوي كرامـة لـه، وقـد أنجـز وعـده للشـيخ فأعطـاه أرضـاً جنـوب سـنار ولقبـه بــ (المصوبـن) وتحـرف اللفـظ إلى الصابونابي[1].

وبعـد وفـاة هـذا المؤسـس ظـل أبنـاؤه يقومـون بتركيـز مـا أسـس ودعـم مـا شـيد، مـا جعـل العمـل ينهـض وينمـو ويزدهـر، واسـتمرت هـذه الجهـود حتـى جـاء عهـد الحفيـد الشـيخ عبـد الله الصابونـابي الذي بـذل كل مـا في وسـعه من جهد لتوسـيع هـذه الخـلاوي وتهيئـة المسـاكن للطـلاب والـرواد، فـكان أثـره واضحـاً في القبائـل الوثنيـة التـي كانـت تجـاور تلـك المنطقـة إلى أن أختـاره الله شـهيداً في معركة ضـد المعتديـن الذيـن أغـاروا عليـه وعـلى أتباعـه وتلاميـذه بقصـد إطفـاء نـور الله، إلا أن الشـيخ ومـن معـه أستبسـلوا ودافعـوا بصلابـة، فاستشـهد الشـيخ عبـد الله ومـن معـه، ولم ينـج إلا القليـل.

ترجـم الشـيخ عبدالمحمـود نورالدائـم للشـيخ عبـد الله في سـفره القيـم (أزاهـير الريـاض) فقـال: (ومنهـم الأسـتاذ الكبـير والـولي الشـهيد بـداره مـن صبـغ المحبين بهديـه وأسراره صاحـب الكرامـات الظاهـرة والأحـوال الفاخـرة، والمقامـات السـنية، والهمـم العليـة، الشـيخ عبـد الله بـن الفقيـه محمـد بـن الشـيخ عبـد الله أبي قريـن بـن الفقيـه عـلي بـن الشـيخ سـليمان الصابونـابي السـماني طريقـة العامـري نسـباً). وكان رضي الله عنـه هـو وسـيدي الشـيخ محمـد تـوم ولـد بانقـا أخويـن في الطريـق، لأنهـما قـد ذهبـا إلى سـيدي الشـيخ أحمـد الطيـب وتلقنـا منـه الطريـق، ولاتحـاد روحيهـما انتقـلا إلى الـبرزخ في عـام واحـد، ومـا بـين وفاتهـما إلا يومـان فقـط، هـذا تـوفى بالخميـس وذاك بالأحـد.

ولـد سـيدي الشـيخ عبـد الله الصابونـابي في سـنة ١٢٠٣هـ وتـوفى في يـوم الخميـس الموافـق ٢ مـن شـهر ذي القعـدة سـنة ١٢٦٨هـ ولـه مـن العمـر خمـس

١ المصدر نفسه

وستون سنة. وله من الكرامات وخوارق العادات شي كثير. وبعد استشهاد الشيخ عبد الله، استطاع ابنه الأكبر الفقيه الشيخ المصطفى الذي نجا من كيد المعتدين جمع شمل الأسرة والمريدين وإعادة بناء المسجد والخلاوي في مكان آخر غير مكان والده. هذا المكان الجيد الذي أختاره الشيخ المصطفى كان مأهولاً بالسكان وبه مساحة كبيرة للزراعة، فضلاً عن أنه قريب من النيل، الأمر الذي جعل الناس يلتفون حول الشيخ يستفيدون من دروسه ووعظه، ويأتون بأبنائهم لتعلم القرآن. وقد انتقل الشيخ المصطفى إلى جوار ربه عن عمر ناهز الأربعة والستين عاماً. ثم تولى أمر الإشراف على هذه الخلاوي من بعده ابن أخيه وصهره الشيخ أحمد الصابونابي، فكان خير خلف لخير سلف، فانتقل بالمسجد والخلاوي جوار النيل حيث توفر الماء والمزارع والربط بين ضفتي النيل، وكان الشيخ أحمد رجلاً زاهداً، أفنى عمره في خدمة الدين.

هذا وقد أنشأ الشيخ أحمد الصابونابي القرية المعروفة بالصابونابي، وأسس بها مسجده وخلاويه والتي مازالت - بفضل الله تعالى - منارة للعلم والإرشاد ومعلماً بارزاً في المنطقة. وبعد وفاة الشيخ أحمد خلفه ابنه الأكبر الشيخ محمد الصابونابي، فقام بالأمر خير قيام، وقد وقف إلى جانبه في إدارة شئون المسجد والخلاوي عمه الشيخ أبوالحسن وابن عمته الشيخ النور وأخيه الأصغر الشيخ الهادي، فانتشر نور القرآن والعلم فعم جبال بني شنقول وجبال الأنقسنا في كآفة الأرجاء. ولم تشهد مناطق سنار وسنجه والنيل الأزرق وجبال الأنقسنا وبني شنقول من انتشار للدين وتثبيت لدعائم الشريعة الإسلامية. وعندوفاة الشيخ عبدالله نعاه الشيخ التوم بأبيات جاء فيها:

ياليلى صابونك راح سكن   الجنة أم نسيما فاح

وقد قال عنه المكاوي ناظماً:

طيباً وسيلتي وكابي   مهما أقول في صوابي
السامي عودو ونابي   في أولادو الصابونابي

الشيخ الأمين ود أم حقين ١٧٧٦ - ١٨٥٤م

ومنهم ولي الله المشهور، زاهد أهل زمانه في دار الغرور، الذي أسس بنيانه على تقوى من الله في أول يوم، واجتهد في الطريقة حتى لحق بأكابر القوم، الولي المشهور، والكنز المدخور، علم الهداية، المسربل بجلباب الولاية، الورع الزاهد التقي العابد، الشبيه بالسلف الصالح قولاً وفعلاً، الراجح ميزانه على أهل زمانه إخلاصاً وعملاً، شيخنا الأمين الفقيه المبين، بن محمد بن الأمين بن محمد فرح باسكيل الرباطي، ووالدته تسمى أم حقين، وقد حصلت شهرته بها. وهي من ذرية الملك سامكيه أحد ملوك الجموعية، وهو عزيز النسبتين أماً وأباً، وهو ممن أجمع الناس على جلالة قدره وصدق سيره، وسعة خيره، وولايته واعتناء الحق به. وكان لا يعرف في عمره إلا مولاه، ولا يعول في جميع أموره على سواه، قد بلغ في الزهد النهاية، وفي التوكل الكفاية، ظاهره في تعليم القرآن وباطنه في مشاهدة الملك الديان، ليس للدنيا عنده مكانة ولا لأهلها. وقد رآه الشيخ عند دخوله الحلفاية مع خاله الفقيه سليمان ولد حماد وهو صبي فقال له الشيخ: اذهب إلى الجزيرة إسلانج واسكن بها، فإنه سيكون لك فيها شأن عظيم، فارتحل إليها وأقام بها إلى أن كان له فيها ما كان، ومن شهرة الخير والإرشاد في القرآن، ورفعة قدره بين عوالم البلدان، ثم من بعد بلوغه قد ذهب إلى الشيخ وأخذ عليه الطريق، ونظر إليه بعين الرضا فصار من رجال التحقيق[١]. خلفه ابنه أحمد المصطفى النوراني الذي شارك بدور رائد في الثورة المهدية وكان له تلاميذ من بينهم الشيخ زين العابدين أبوصالح والفكي هاشم بن عبد النور، والشيخ الحسن بن الشيخ الدسوقي والشيخ مصطفي بن عمارة من حلفاية الملوك وله تلاميذ من قبيلة الكبابيش أخذوا عليه الطريقة السمّانية. توفى الفقيه أحمد المصطفي سنة ١٨٨٥م[٢]. وأبناء الفكي أحمد المصطفي هم محمد المبارك توفي سنة ١٩٢٢م وكان له دور في نشر العلم في منطقة الفتيحاب في ام درمان، ومحمد الصادق حفظ القرآن ودرس في بربر وسافر الي الأزهر، وأسس خلوات للقرآن في الجزيرة إسلانج، كذلك الفكي محمد المهدي، سافر إلى

١ عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض٢٥١

٢ طارق أحمد عثمان. الطريقة السمانية في السودان. ص:١٧٧

مناطق الكبابيش للإرشاد والتوجيه الديني والطيب محمد الأمين في شرق النيل. وللأسرة فرع آخر في الطريقة السمانية هم أبناء الفقيه عبدالله الكردي الذي توفى سنة ١٩٠٩م. ومن أسرة الفقية الأمين أيضا الشيخ الحسن البصري الذي اشتهر بمدائحه سنة ١٩٤٤م، والشيخ محمد الصادق توفي سنة ١٩٣٧م وخلفه ابنه الشيخ إدريس توفى سنة ١٩٨٦م الذي أسس مسيد القرآن سنة ١٩٥٨م، وحصل على الشهادة الأهلية سنة ١٣٤٧/ ١٩٢٨م من المشيخة العلمية بأم درمان وعلى الشهادة العالمية من مشيخة أم درمان العلمية سنة ١٣٥١ه - ١٩٣٢م وتلقى بعض العلوم الحديثة في الأزهر الشريف لمدة عام واحد في علم النفس وأصول التربية وطرق التدريس الخاصة وغير هذا وكان ذلك في العام ١٩٥٣م وقد قامت بينه وبين الشيخ محمد الفاتح بن الشيخ قريب الله صلة عميقة، وبالإضافة إلى طريقة الشيخ إدريس السمانية حصل على إجازة في الطريقة التجانية والطريقة الشاذلية من الشيخ محمد عبده محمد عبد الفتاح الحصافي الشاذلي سنة ١٣٧٤ - ١٩٥٤م وله إجازة أيضا في الطريقة الختمية من السيد علي الميرغني سنة ١٣٥٤ه - ١٩٣٥١.

السمَّانية في الحبشة وإريتريا

انتشرت الطريقة (السمانية) في اريتريا وأثيوبيا والصومال، وبلغ تأثيرها جنوب مصر. يشار إلى أن (السمانية) التي تفرَّعت عن (الخلوتيَّة)، قد أسسها محمد بن عبدالكريم السمان ١٧١٨م - ١٧٧٥م (توفي في الثامنة والخمسين من عمره). وقد نقل الطريقة (السمانية) إلى السودان الشيخ أحمد الطيب ود البشير ١٨٢٣م. ومن السودان انطلقت لتنتشر في أوساط (الجبرتة) في أرتيريا، عن طريق الشيخ آدم الكناني المدفون في (سيراي) بالقرب من (عبي عدّي). الطريقة السمانية موجودة في إرتريا كما أنها موجودة في السودان، ففي إرتريا أسسها الشيخ آدم الكناني الذي يوجد قبره كمزار في (عبي عدي) بالقرب من مندفرا، وتقام له الحولية السنوية، كما أن مؤسسها في السودان هو الشيخ أحمد الطيب بن البشير، والشيخاًن آدم الكناني وأحمد الطيب بن البشير أخذا الطريقة في وقت واحد على يد السيد الشيخ محمد السمان الذي كان مسكنه

---

١ المصدر نفسه. ص-١١٨

بالمدينة المنورة، وان العلاقة بين الطريقتين في السودان وإرتريا علاقة وطيدة حتى اليوم[1].

هناك أيضا أتباع للطريقة (السمّانية) في جنوب غرب أثيوبيا حيث نقلها الشريف حسين وهو تاجر من أحفاد (الشيخ أحمد الطيب ود البشير)، وذلك عام ١٩٢٠م. وقد توفي (الشريف حسين) في (غوندر)، وله قُبَّة تزار. وقد أصبح محمد ولد الشريف حسين خليفته في (جِمَّا). أيضا هناك أتباع للطريقة (السمّانية) في أثيوبيا في (ليمو إناريا)، ولكن لم تحقق (السمّانية) انتشاراً كبيراً في أوساط قومية (الأورومو) الأثيوبية في جنوب غرب أثيوبيا. قومية (الأورومو) ذات أغلبية مسلمة وهي أكثر القوميات الأثيوبية عددا[2].

ومن ضمن الحملات التي دخلت إثيوبيا حملة الطريقة السمّانية القادرية التي أدخلها إلى المنطقة المرشد الكبير والداعية الخطير الشيخ هاشم بن عبد العزيز الهرري (المتوفى سنة ١١٨٩هـ) الذي تلقى علوم الشريعة في الحجاز واليمن وأخذ التربية الصوفية والإجازة في الطريقة القادرية عن الشيخ محمد بن عبد الكريم السمّان نزيل الحرمين ولما رجع إلى البلاد نشر العلم والدعوة والتربية في ربوع البلاد وأسس رباطا في هرر ورباطين في وللو في منطقتي (دانا) و(آني)[3]. كما اهتمت السمّانية ببناء علاقات كبيرة ببعض المسلمين في إثيوبيا وكان لها اهتمام بقومية العفر. وتعود صلة السمّانية بأثيوبيا إلى وقت قديم، حيث تذكر الروايات الواردة في أدبياتهم أن أحمد الطيب بن البشير قد أرسل تلميذه يعقوب أحمد الصليحابي إلى الحبشة. وتوجد أسرة من آل أحمد الطيب اليوم في الأراضي الأثيوبية[4]. وعن الشيخ يعقوب الصليحابي يذكر صاحب الأزاهير ويقول:»ومنهم صاحب الكرامات العجيبة، والمكاشفات الغريبة، العارف بالله سيدي الشيخ يعقوب بن أحمد الصليحابي الأنصاري ﵁. كان ﵁ من العلماء المحققين والمشايخ المرشدين، وقد خدم الشيخ ﵁ بعد

1 http://www.arkokabay.com/news/index.php?option=com_content&view=article&id=392:201151-37-16-13-01-&catid=79:literarypage-ar&Item
2 http://alintibaha.net/index.php/.html
3 http://arabic.alshahid.net/columnists/62942
٤ عبد الرحمن أبوخريس. عالمية السمانية. ورقة بحثية منشورةقضايا العالم المعاصر – العدد رقم (٩) يناير ٢٠١٢- ص ١٢٥

أن أخـذ عليـه الطريقـة سـت عـشرة سـنة بصـدق واجتهـاد، فأفـاض عليـه مـن بركاتـه، وكسـاه مـن حلـل كمالاتـه، وأمـره بالتوجـه إلى قـدبي مـن بـلاد الحبشـة والإقامـة بهـا لإرشـاد المريديـن ونفـع الطالبـين، فأقـام بهـا وأتتـه النـاس مـن كل الجهـات وأخـذوا عنـه وانتفعـوا بـه نفعـاً تامـاً. وكانﷺ كثـير الاجتماع بالخـضر عليه السـلام[1] وفي إقليـم سرايـى يوجـد أحفـاد الشـيخ آدم الكنـاني، الـذي قـدم مـن المغـرب وادخـل الطريقـة السـمانية الصوفيـة إلى سراى في منتصـف القـرن التاسـع عـشر، وللشـيخ آدم الكنـاني ضريـح بالقـرب مـن «عبـي عـدي» في سرايـى، ولـه (حوليـة) يحتفـل بهـا أحفـاده، والكثيريـن مـن الجـبر بالإضافـة إلى إتبـاع الطريقـة السـمانية.

الشيخ بشرى بن بشير

ومـن الشـخصيات الأثيوبيـة التـي كان لهـا تأثيرهـا ودورهـا المشـهود في وصـول تعاليـم السـمانية إليهـذه الأرض مـن البـلاد الأفريقيـة الشـيخ بـشرى بـن بشـير، وقـد أورد الأسـتاذ الشـيخ عبـد المحمـود نـور الدائـم في «أزاهـير الريـاض» طـرف مـن قصتـه مبينـاً في حقـه: «ومنهـم الأسـتاذ الكبـير والعلـم الشـهير، مـربي المريدين ومرشـد السـالكين، سـيدي الشـيخ بـشرى بضـم البـاء الموحـدة ابـن بشـير، وهـو مـن الرحمـان، كان رحمـه الله شـافعي المذهـب، ولـه فيـه مؤلفـات شـتى، أخـذ الطريقـة عـلى الشـيخ ﷺ بإشـارة مـن النبـي ﷺ، فأوصلـه إلى الله تعـالى في ثالـث يـوم أخـذه للطريقـة وأمـره بعـد أن كتـب لـه الإجـازة في الطريقـة بالذهـاب إلى بلـده لإرشـاد المريديـن، وزار في حـال ذهابـه وتوجهـه الشـيخ أحمـد البصـير ﷺ، فأقـام عنـده أيامـاً ثـم توجـه إلى بـلاده، فلـما دخلهـا أخـبر أن مـن صـلى خلفـه لم تأكلـه النـار فهـرع إليـه النـاس مـن جميـع جهاتهـم، وكانـوا إذا صلـوا خلفـه يحملـون في ثيابهـم البـن واللحـم، فـإذا فرغـوا مـن صلاتهـم رجعـوا إلى أوطانهـم ووضعـوا ذلـك البـن واللحـم اختبـاراً، فلـم تؤثـر فيـه بـشي، فلـما علمـوا صـدق مقالتـه وكرامتـه كثـر انقيادهـم إليـه جـداً مـن جميـع الجهـات، وأخـذوا عليـه الطريقـة وأقبلـوا عليـه بكليتهـم ظاهـراً وباطنـاً، وقـد خلـف ﷺ في الطريقـة السـمانية اثنـي عـشر ألـف خليفـة ببـلاده، وقـد اجتمعـت بكثـير منهـم وغيرهـم مـن تلامذتـه، والـكل عـلى نـور مـن ربـه. تـوفي ﷺ ببلـده ودفـن بقتـي منهـا، وقـبره ظاهـر

[1] عبد المحمود نور الدائم.أزاهير الرياض. ٢٢٥

يـزار١ . وفي قصيدتـه الخالـدة «ياليـلى ليلـك جنًـا» ذكـره الشـاعر المـكاوي ناظـما:

جيب لي البيهم عزي   بشرى وشيخون الوزي

الشيخ شيخون الوزي

وُلـد السـيد شـيخون الـوزي في مركـز سـوهاج ونشـأ في أسرة دينيـة ذات إرث محمـدي حفـظ القـرآن وانشـغل بتحصيـل العلـوم حتـى أتقنهـا وأصبـح مـن المعدوديـن وكان الشـيخ ممـن لاحظتهـم العنايـة الإلهيـة فـكان ـ مـن غـير شـيخ مـن كبـار الأقطـاب ونـادراً مـا يصـل العبـد إلي الله مـن غـير مرشـد عـارف بـالله يرشـده إلي الطريـق الموصـل إلي الله ويبـصره بـه. ولكـن وكـما يقـول العارفـون لا بـد وحتـى وإن وصلـت إلى الله مـن القبضـة الظاهريـة بمعنـي أن تنتسـب إلي شـيخ متصـل سـنده برسـول الله صـلي الله عليـه وآلـه وسـلم وذلـك كـي تكـون متصـل السـند برسـول الله صـلي الله عليـه وسـلم ولكـن السـيد الشـيخ لم يطلـب شـيخاً عارفـا وإنـما كان هـو المطلـوب وتوضيـح ذلـك: إنـه كان إذ ذاك إمـام عظيـم وغـوث شـهير بـواب الحـضرة المحمديـة سـاكن المدينـة المنـورة سـيدي محمـد عبـد الكريـم السـمان وكان الإمـام السـمان صاحـب مدرسـة مـن مـدارس التصـوف الإسـلامي المعروفـة بــ «الطريقـة السـمانية الخلوتيـة القادريـة»وكان مـن تلاميـذه العظـماء الأجـلاء سـيدنا الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير وكان مـن بـلاد السـودان وقـد لازم شـيخه السـمان بمدينـة المصطفـى خـير الأنـام عليـه الصـلاة والسـلام سـبعة أعـوام حتـى أخـذ منـه جميـع أسرار الطريـق ثـم أمـره شـيخه بالرجـوع إلي بـلاده للتعليـم والإفـادة ونـشر الطريـق في النـاس عامـة وإعطـاء الطريـق للسـيد الشـيخ شـيخون الـوزي الإدريـسي خاصـة. جـاء في كتـاب «أزاهـير الريـاض في مناقـب الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير» مـا نصـه: اعلـم أن الشـيخ المترجـم لـه لمـا أقـام مـع شـيخه سـيدي الشـيخ محمـد السـمان سـبع سـنين وفيهـا قـد جنـى جميـع ثمـرات طرائقـه الخمسـة القادريـة الخلوتيـة، النقشـبندية، الأنفاسـية، والموافقـة؛ سـلوكا وتحقيقـا وذوقـا وتدقيقـا حتـي صـار في جميعهـا قطبـا فريـدا وأسـتاذاً مفيـداً، فبعـد ذلـك أجـازه الشـيخ رضي الله عنـه في جميـع طرائقـه وأمـره بالتوجـه إلي بلـده لتربيـة المريديـن وإظهـار معـالم الديـن وبإرشـاد جماعـة بـأرض الريـف كالعـارف

١ المدر نفسه ٢٤٨

بـالله تعـالي السـيد الشـيخ شـيخون الـوزي الإدريـسي بمدينـة سـوهاج وغيرهـم». وجـاء في موضـع آخـر في نفـس الكتـاب أثنـاء الحديـث عـن رحلـة الشـيخ أحمـد الطيـب البشـير إلي مـصر بقصـد الدعـوة إلى الله ونـشر الطريقـة السـمانية مـا نصـه «وهكـذا الحـال إلى أن دخـل «سـوهاج» فأرشـد فيهـا كثـيراً مـن أجلهـم وأفخرهـم البحـر العجـاج العـارف بـالله تعـالي سـيدي الشـيخ شـيخون الـوزي رضي الله عنـه وهـو أحـد الجماعـة المأمـور بإرشـادهم مـن شـيخه فأعـلى مـن شـأنه وأعلـن للنـاس اهتـمام الشـيخ السـمان شـخصيا بـه». وبعـد أن أخـذ السـيد الشـيخ الطريـق الصوفي أصبـح شـيخاً للطريقـة بصعيـد مـصر. فالسـيد الشـيخ جمـع بـين مقامـات الديـن الثلاثـة الإسـلام والإيـمان والإحسـان وهـو أيضـا مـن أئمـة الهـدى مـن آل بيـت المصطفـي صـلي الله عليـه وآلـه وسـلم الذيـن أمرنـا النبـي أن نتمسـك بهـم كـما جـاء في الحديـث الصحيـح قـال «يـا أيهـا النـاس إني قـد تركـت فيكـم مـا إن أخذتـم بـه لـن تضلـوا كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي». فالسـيد الشـيخ قـد تلقـى العلـم نصـاً وفهـماً مـن شـيخ إلى شـيخ بالسـند المتصـل برسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم وتلقـى أيضـا منهـج التصـوف مـن شـيخ متصـل سـنده برسـول الله فيكـون السـيد الشـيخ بذلـك متصـل السـند برسـول الله علـماً وسـلوكاً أي تصوفـاً وهـو أيضـا متصـل النسـب برسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ومـن كان كذلـك كان مرشـدا كامـلاً ووارثـاً محمديـاً كامـلاً[1]

وقـد جـاء ذكـر الشـيخ شـيخون في قصيـدة الشـاعر المـكاوي «ياليـلى ليلـك جنَـا» حينـما نظـم قائـلا:

خلفن دناقر عـــزي	**يا قوم الطيب هـــزي**
جاب لي البيهم عزي	**بشرى وشيخون الوزى**

ويبـدو السـمانية الخلوتيـة فـرع الشـيخ شـيخون الليثـي حفيـد الشـيخ شـيخون الـوزي تلميـذ الشـيخ الشـهير أحمـد الطيـب بـن البشـير لهـا تأثـير قـوي في منطقـة الجماليـة محافظـة قـوص. إذ يعتـبر الشـيخ شـيخون الليثـي وهـو حفيـد للـوزي

١ عبد اللطيف بكري شيخون الليثي.مقال بجريدة « أخبار الجنوب الحديثة « عن « الأسرة الشيخونية الإدريسية وأعلامها «– ٢٢–ابريل – ٢٠١٥م

واحد من أكابر الأولياء والعلماء وقد شهربلقب «أبوا لمكارم» وهو ينتمي إلى قبيلة العبابدة. أول ماقام به من عمل عندما قدمواستقر بقرية الجمالية أن شيَد مسجداً والذي صار يعرف باسم «أبوالسلطان» والذي أخيراً بات يعرف بمسجد «الليثي». للطريقة نشاطاً صوفياً حياً متمثلاً في الإرشاد وعقد حلقات الذكر وتدريس العلوم، من ضمن الأذكار والأوراد التي تقرا منظومة السمان. للطريقة عدداً مقدراً من المريدين لاينتمون لأسرة الليثي. على سجادة الخلافة الآن (٢٠١٦) الشيخ عبد الستار الليثي.

السمَّانية في نيجريا

دخل الإسلام لنيجيريا منذ قديم الزمان على يد السادة الصوفية، منهم عقبة بن عامر الجهني وهو من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم تواصلت وفود كبار المتصوفة، مثل سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ورد أنه زار نيجيريا أثناء سياحته، حيث نزل بولاية تُسمى (زمبرا)، والعديد من العلماء الكبار من المغرب وتونس، كل هؤلاء وغيرهم ساعدوا في نشر التصوف. يعد الشيخ محمد ناصر كبرا وهو أول من أدخل تعاليم الطريقة السمَّانية الي نيجيريا. وهو كبارالعلماء الأعلام الذين لهم قدم راسخة في علوم الدين واللغة العربية، أهلتهلعضوية كثير من المؤتمرات واللجان الإسلامية ومن بينهما مجمع البحوث الإسلاميةالتابع للأزهر الشريف.في ذات الوقت فهو بحرزاخر في التصوف ومنارة للطريق السمَّاني القادري بنيجيريا وغرب أفريقيا، أخذ الطريقعلى العارف بالله الشيخ محمد الفاتح بإشارة من السيد محمد الحسن السمَّاني رضي اللهعنه بالمدينة المنورة فأجازه الشيخ في الطريق وخلفه في التلقين وتربية المريدينبنيجيريا١.

الشيخ محمد ناصر كبرا ١٩١٢ -١٩٩٤

هو الشيخ محمد الناصر بن محمد المختار بن ناصر الدين بن محمد ميزوري بن الشيخ عمر المعروف (مالم كبرا) بن محمد المختار بن الخليفة بن صالح بن علي بن دأود بن كبر فرم علو Kabara farma alu (شقيق

١ شيخ عثمان كبر (الدكتور): الشعر الصوفيفي نيجيريا, ص ٢٢٩- ٢٣١.

أمـير التكـرور أسـكيا محمـد تـوري)، وهـو مـن صنهاجـة. ينتهـي نسـبه إلى سـيدنا الحسـن السـبط بـن فاطمـة الزهـراء بنـت سـيد الأولـين والآخرين،وكذلـك نسـبه يتصـل بسـيدنا جابـر بـن عبـدالله الأنصـاري الصحـابي الجليـل المعـروف مـن جهـة جدتـه العـاشرة. ولـد الشـيخ محمـد النـاصر كـبرا بقريـة غرنغـاوا: Kuringawa مـن ضواحـي مدينـة كانـو، يـوم الخميـس مـن شـهر شـوال، إلّا أنّ هنـاك تضاربـا بـين الآراء بالنسـبة للسـنة التـي ولـد فيها،حيـث أرّخ الباحثـون ولادتـه بالسـنوات الآتيـة:(١٩٢١م) و(١٩٢٠م) و(١٩١٤م) و(١٩١٣م) و(١٩١١م)[١]

عـن نشـأته العلميـة تـورد سـيرته انـه وبعـد أن تـوفي والـده وهـو لم يتجـاوز السادسـة مـن عمره،انـه قـضى طفولتـه في بيـت أحـد أعمامه،وشـيخه ومربيـه التقـي الزاهـد الشـيخ إبراهيـم ولقَبـه «مـالم نظغني»،فربّـاه أحسـن تربيـة واعتنـى بـه غايـة الاعتنـاء إلى أن تـوفي وهـو في الثالثـة والعشريـن مـن عمره.قـرأ القـرآن وختمـه وهو ابـن تسـع سـنوات عنـد مـالم محمـد سـورنطنك،ثم شرع في طلـب العلـم عنـد مربيه الشـيخ إبراهيـم نظغنـي.[٢]

عـرِف الشـيخ محمـد النَّـاصر كَـبَرَا منـذ شـبابه بالهمّـة العاليـة والحـزم والعـزم .وكان طموحًـا في العلـم لا يمـلّ مـن طلبـه لذلـك كان يطـوف بخمـس مـدارس في اليـوم، وهـو في ذلـك يأخـذ أكثـر مـن عـشر حصـص ويسـتغرق حـوالي تسـع سـاعات يوميّا-مـا عـدا يومـي الإجـازة الأسـبوعية الخميـس والجمعـة، وهكـذا ظـلّ يتحلّـق في أجـواء المعـارف ويرتقـي في مـدارج التصوّف حتـى ذاع أمـره وانتشر بدايـة مـن العـام ١٩٣٧م تحديـدًا ، ومـن حرصـه عـلى العلـم محبتـه الجمّـة للعلـماء و أهـل الفضـل، فـكان عـلى صلـة حميمـة بكبـار المشـايخ المصريـين والسـودانيين مـن أعضـاء البعثـات الأزهريـة والسـودانية إلى مدرسـة العلـوم العربيـة بكنـو، وبـدأت مرحلـة اتصالـه بالعـالَم الخارجـي في وقـت مبكـر مـن حياتـه، ففـي أوائـل الأربعينـات كاتـب الشـيخ محمـد النـاصر كـبرا الشـيخ أبـا الحسـن السـماني حفيـد مؤسـس الطريقـة القادريـة السـمانية، واسـتأذنه في أن يكـون مقدّمًـا في الطريقـة

---

١ إبراهيم أويس. ظاهرة التكرار في ديوان الشيخ محمد الناصر بن محمدالمختار)سبحات الأنوار من سبحات الأسرار) (دراسة وصفية أسلوبية تطبيقية) رسالة تكميلية مقدمة لنيل درجة الماجستيرفي الأدب العربي والنقد الأدبي جامعة المدينة العالمية. — ٢٠١٤- ص- ٢٣

٢ المصدر نفسه ص- ٢٤-٢٥

السـمّانية، ولقـد سُرّ الشـيخ السّـمّاني بوجـود شـاب مجتهـد مـن دول أفريقيـا عـلى هـذا المستوى مـن الجـد والهمـة العاليـة، فبعـث إلى الشـيخ كـبرا بجبـة وطاقيـة وعينـه «مقدّمـا» للطريقـة السـمّانية[1].

سـاهم الشـيخ في نـشر الإسـلام والثقافـة العربيـة فقـد أسـس مدرسـة إسـلامية ابتدائيـة عـلى غـرار معهـد أمدرمـان العلمـي، وهـو بهـذا يكـون أول عـالم بنيجيريـا يؤسـس مدرسـة إسـلامية نظاميـة، كـما أسـس كليـة تـراث الإسـلام عـلى مسـتوى الثانـوي العـالي، كـما أنشـاء جامعـة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، وكان يتـولى التدريـس بنفسـه فيهـا، كـما افتتـح مدرسـة ليليـة في مسـجده ووكل أمرهـا إلى كبـار تلاميـذه، كـما فتـح فصـولاً تعليميـة داخـل داره العامـرة يتـولى التدريـس فيهـا زوجاتـه وكريماتـه. يربـو مريديـه وأحبابـه وتلامذتـه عـلى أكثـر مـن سـتة ملايـين. أول مـن أدخلهـا ونشرهـا في نيجيريـا وغـرب إفريقيـا، هـو الإمـام الشـيخ محمـد النـاصر بـن محمـد المختـار القـادرى رضى الله عنـه.

وإلى ذلك أشار بقوله:

أما طريق شيخنا السمّان قطب الورى سلطان أهل الحان
فأنا أول مريد جـــا بها بأرضنا السودان مع ما شابها[2]

كان الشـيخ محمـد النـاصر شـيخاً للطريقـة القادريـة بصـورة عامـة، فـشرع يبحـث عـن رجـال التصـوف وخاصـة مشـائخ الطريقـة القادريـة، ولم يـزل حتى هُـدى إلى فضيلة سـيدي الشـيخ محمـد أبـى الحسـن السـمّان (حفيـد سـيدي الشـيخ السـمّان الكبـير) رضي الله عنـه، فكتـب إليـه رسـالة يطلـب فيهـا الإذن والإجـازة في الطريقـة السـمّانية. فـإذا بجـواب يحتـوى عـلى كل مـا طلبـه، مـن إجـازة وإذن مطلـق في الطريقـة السـمّانية، بالإضافـة إلى: كيفيـة التلقين(المبايعـة) في الطريقـة، وبعـض أذكارهـا. وفي الأخـير أوصـاه بتقـوى الله، كـما هـو عـادة العارفـين الواصلـين إلى الله – رضـوان الله عليهـم، وإتبـاع أوامـره، واجتنـاب نواهيـه، والمواظبة عـلى الذكـر قـدر الاسـتطاعة وكان ذلـك في عـام (١٣٥٥)هــ. اتصـل الشـيخ محمـد النـاصر بسـيدي الشـيخ قريـب الله بإشـارة مـن سـيدي الشـيخ محمـد بن أبـى الحسـن السـمّان المذكور،

١ /http://www.shiafrica.com/archive

٢ عبد الجليل عبد الله صالح. الطريقة السمانية: المنهج التاريخ والمستقبل. الراؤي للنشر – ٢٠١٩، ص–٥٠.

حينما طلب منه الشيخ الناصر بعض المآثر وكتب الطريق قال له: «...وبعد اليوم لا تعد تراسلني في شيء مما يتعلق بالطريقة إنما تراسل خليفتنا في مدينة أم درمان...»[1] فكتب رسالة إلى سيدي الشيخ قريب الله يطلب فيها الإذن والإجازة في الطريقة السمانية – الطيبية. وقد وقف سيدي الشيخ قريب الله على الرسالة وقرأها؛ لكن وافته المنية قبل أن يجيب عنها فانتقل إلى رحمة المولى سبحانه وتعالى. وأجاب عن الطلب وارث مقامه سيدي الشيخ محمد الفاتح رضي الله عنه. حيث كتب إليه الإجازة والخلافة العامة في الطريقة السمانية الطيبية القريبية. ومطلعها: بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي: «أما بعد فأقول وأنا العبد الفقير إلى رحمة مولاه الراجي منه تعالى دوام فيضه وهداه/ الفاتح نجل الشيخ قريب الله الخلوتى السمانى الطيبى لما تبين لى أن الرجل المحب لطريق أهل الله الشيخ/ محمد ناصر بن محمد الكبرى الكنوى صالحا لطريق القوم وإرشاد البرية إلى مناهله العذبة النبوية ومستحقالخلع هذه الخلع عليه التشريفية وقد أجزته في نفسه وفي إرشاد المتعطشين لورود هاتيك المناهل بإجازتي في الطريقة الخلوتية عن والدي شمس العرفان وكعبة الإحسان الذي أفنى العمر في طاعة الكريم المنان الشيخ/ قريب الله بن أبى صالح..... وقد أجزت أيضا هذا المجاز بسندى في الطريقة السمانية القادرية عن والدي الشيخ قريب الله»[2]... إلى آخر السند الذي سنورده بأكمله في هذه الرسالة إن شاء الله. وأوصاه بتقوى الله والاجتهاد فيه وقراءة الأوراد وترك الشهوات واللذات وبالذل والانكسار والاتصاف بأحوال أهل الطريق والتخلق بأخلاقهم وأن يرى نفسه أفقر المخلوقين إلى الله تعالى وأن لا ينساه من صالح الدعوات في الخلوات والجلوات والله ولى التوفيق. ومن ذلك الوقت كثرت زياراته إلى السودان ويمكث فيها شهرا أو أكثر. يذهب أحياناً في صحبة بعض مساعديه كالشيخ أبى بكر رمضان والشيخ على الكوماشى والحاج السنوسى وغيرهم أو مع بعض أبنائه. ثم واصل الشيخ مجهوداته في خدمة ونشر هذه الطريقة المباركة حتى فتح الله له معظم البلدان في نيجيريا شرقها وغربها يمينها وشمالها. وما جاورها مثل ولاية (أغدس في جمهورية النيجير وأجاشى في جمهورية بنين) بحيث يعد أتباعها اليوم - بحمد الله- بالملايين. ولقد حاول الشيخ محمد الناصر كل المحاولة أن يزور سيدنا الشيخ الفاتح نيجيريا مرارا ولكن ذلكلم يتم إلا أنه بحمد الله وفضله أن زارها

١ مجلة القوم — السودان, ١٩٨٦م.

٢ محمد الناصر كبر (مولانا الشيخ): جبر الخاطر- ط١, ص٩.

أكثر أبنائه على رأسهم وارث مقامه وحامل جميع أسراره إمامنا وأستاذنا العارف بالله تعالى الشيخ/ حسن رضي الله عنه في جمادى الثاني (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

أسس الشيخ محمد الناصر ما يزيد عن عشرين مسجدا وكلّها عامرة بالعلم والعبادة، وأنشأ ما يزيد عن ثمانية معاهد دينية وعلمية واحد منها على مستوى جامعي، وأسس ستة من المدارس الإسلامية والعربية النظامية الحديثة على مستوى المرحلة الإبتدائية والثانوية، أما مؤلفاته فتبلغ ثلاثمائة مؤلف منها الشعر والنثر، وكلّها تكشف عن تنوع علومه وسعة باعه ورسوخ قدمه في العلوم العربية والإسلامية، وله مكتبة فيها ما يربو على خمسة آلاف مجلد تقريبا[1]. للطريقة السمانية مراكز ومعاهد وكليات علمية كثيرة في مدينة كنو بالإضافة إلى الزاوية الكبيرة المعروفة بدار القادرية منها:

جامعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

معهد الدين للشيخ محمد الناصر كبر.

معهد الشيخ أبوبكر رمضان بتدن نفاوا.

كلية تراث الإسلام.

دار الحديث بدار القادرية.

معهد الشيخ على الكوماشى.

وأهم مراكزها العلمية هي الزوايا؛ التي توتي أكلها بفضل الله في كل وقت. إذ تعد كل زاوية مركزا وملتقى للعلماء والمرشدين ثم مأوى للفقراء والمريدين. ومن الجدير بالذكر أن أول معهد علمي نظامي في نيجيريا تابع للطريقة تأسس منذ سنة (١٩٦٠م) تقريبا. و لقد أثرت هذه الطريقة في نفوس النيجيريين وخاصة في مدينة كنو حيث ترى الكثير منهم – حتى غير المنتسبين إليها– يحفظون مثلا منظومة سيدي الدرديرى بأكملها وتوسل سيدي السمان (الوسيلة) وبعض قصائد مشائخ الطريق في

١ إبراهيم أويس. ظاهرة التكرار في ديوان الشيخ محمد الناصر بن محمدالمختار)سبحات الأنوار من سبحات الأسرار) (دراسة وصفية أسلوبية تطبيقية) رسالة تكميلية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي جامعة المدينة العالمية. – ٢٠١٤– ص –٣٢

مـدح المصطفـى صـلى الله عليـه وسـلم، والصالحـين١.

وقـد خلَـف للمكتبـة الإسـلامية كتـب ورسـائل قيَمـة في علـوم التفسـير، التوحيـد، الفقـه، الحديـث، والتصـوف الإسـلامي والتاريـخ والسـيرة والتراجـم وعلـوم اللغـة العربيـة، بالإضافـة إلي ثلاثـة داويـن شـعرية باللغتـين العربيـة والهوسـوية والتـي بلغ عددهـا ١١،٠٠٠ بيتـاً تقريبـاَ٢.

ولقـد شـهد بغـزارة علمـه العـام والخـاص، كـما شـهدت بذلـك مؤلفاتـه. قـام الشـيخ رضي الله عنـه بالدعـوة إلى الله في ربـوع نيجيريـا خاصـة، وعمـوم إفريقيـا والعـالم الإسـلامي عامـة. ألـف الكثـير مـن نفائـس الكتـب في شـتى العلـوم الإسـلامية والعربيـة وخاصـة في التصـوف بالإضافـة إلى دواويـن شـعرية، ولا تقـصر مؤلفاتـه عـن(٣٠٠) كتـاب، منهـا:

تفسير القرآن الكريم (تنوير الجنان)، مخطوط.

تفسـير بلغـة هوسا(إحسـان المنـان في إبـراز خبايـا القـرآن إلى كل حـواري مـن فقـراء الزمـان).

عين المقصود في معرفة المعبود، شرح نظم الكبرى في علم التوحيد، (تحت الطبع).

العينان النضاختان، (مخطوط).

سبحات الأنوار من سحبات الأسرار - ديوان شعر، (مخطوط).

الكؤوس الودية في شرح الفصوص الغبية، (مخطوط).

قمع الفساد، (مطبوع).

سلالة المفتاح من منح الفتاح، (مطبوع).

جلاء البصر، (مخطوط).

قـام الشـيخ رضي الله عنـه بالدعـوة إلى الله في ربـوع نيجيريـا خاصـة، وعمـوم إفريقيـا

١ الفاتح قريب الله ناصر كبرا. الطريقة السمانية وانتشارها في نيجيريا. ٢٠١١- ص- ١٣

٢ المصدر نفسه ١٦

والعـالم الإسـلامي عامـة[1] وتبـوأ في ذلـك مناصـب علميـة ودينيـة واجتماعيـة في نيجيريـا وخارجهـا[1] وصـار خادمـا للعلـم والديـن والطريقـة القادريـة في عمـوم إفريقيـا، وذاع صيتـه في الآفـاق بمكانـة علميـة رفيعـة في بعـض الهيئـات والمؤسسـات والمنظـمات والجمعيـات الإسـلامية والعلميـة والأدبيـة١.

الزوايـا السـمانية عددهـا لا يعلمـه إلا الله ولا أسـتطيع أن أحددهـا بألـف ولا بألفـين فـي يـوم أحصيـت الزوايابمدينـة كانـو خاصـة ومـا جاورهـا فقـط فبلغـت ٣٤٠٠زاويـة وهنـاك تسـع عـشرة ولايـة أخـرى غـير كانـو وفـي كل زاويـة يتـم تدريـس العلـوم الإسـلامية للنسـاءوالرجال. والنسـاء تعلمهـن النسـاء وتعلـم قواعـد الإسـلام ومـا لا تسـمح الشريعـة بجهلـه.

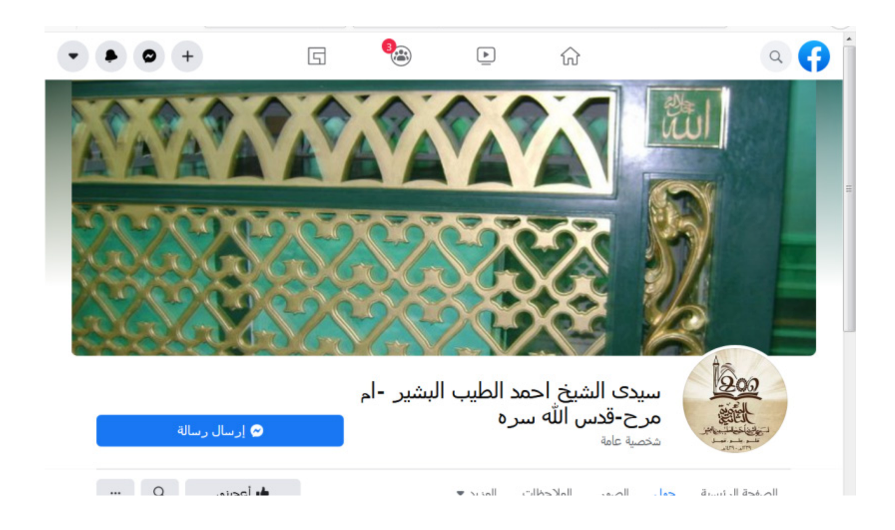
انتقـل الشـيخ إلى جـوار ربـه في منتصـف الليـل، يـوم الجمعـة ٢٠ مـن جمـادى الأولى سـنة ١٤١٧ه، الموافـق ٤ أكتوبـر عـام ١٩٩٦م، بـداره المعروفـة بـدار القادريـة في ولايـة كانـو نيجيريـا، وفوجـئ النـاس بخـبر وفاتـه مـع طلـوع الفجـر يـوم السـبت ٥ مـن أكتوبـر، فهـرع النـاس إلى داره مـن جميـع أطـراف كانـو وخارجهـا، إلى أن غصـت بهـم جميع الشـوارع الموصلـة إلى داره،فـكان يومـا مشـهودا، وصـلّى عليـه أكـبر تلاميـذه يوسـف بـن عبـد الله المكوراري،ودفـن في مقـبرة ميغغنيا،جنـب جامـع الكنـز المطلسـم. رحمـة الله عليه٢.خليفـة الطريقـة الآن (٢٠١٦) هـو الشـيخ قريـب الشـيخ نـاصر كـبرا.٣

١ إبراهيم أويس. ظاهرة التكرار في ديوان الشيخ محمد الناصر بن محمدالمختار)سبحات الأنوار من سبحات الأسرار) (دراسة وصفية أسلوبية تطبيقية) رسالة تكميلية مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي جامعة المدينة العالمية. — ٢٠١٤– ص ٢٦

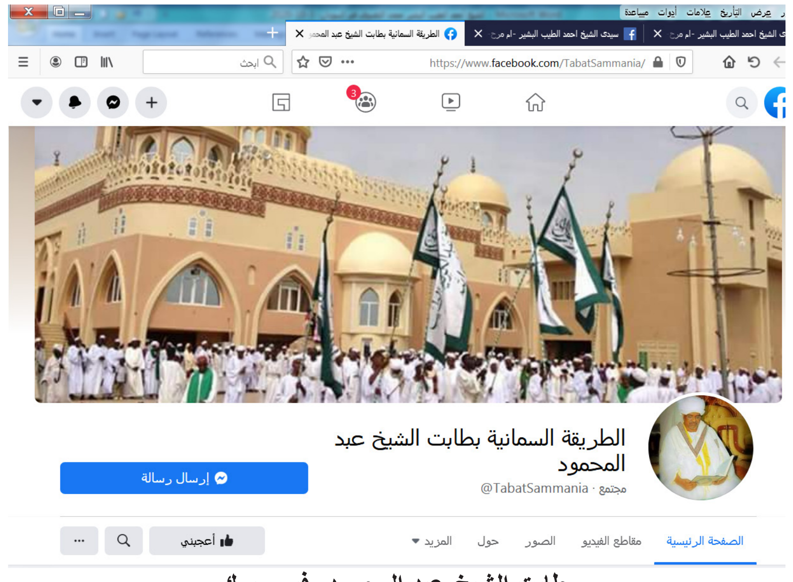
٢ المصدر نفسه ص ٢٦

٣ عبد الجليل عبد الله صالح. الطريقة السمانية: المنهج التاريخ والمستقبل. الراؤي للنشر والتوزيع، ٢٠١٩، ص -٥١.

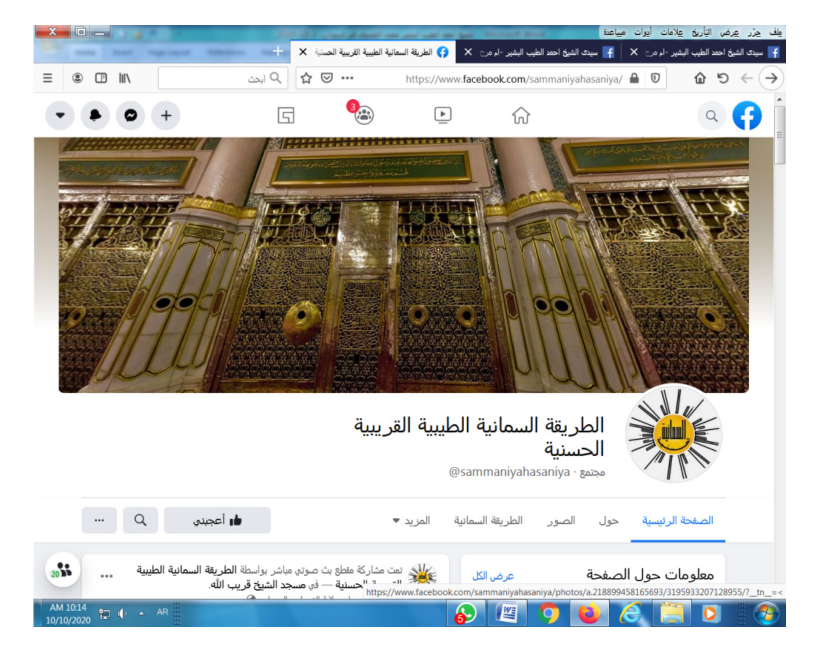
ملاحق صور الميديا



أم مرح – فيس بوك



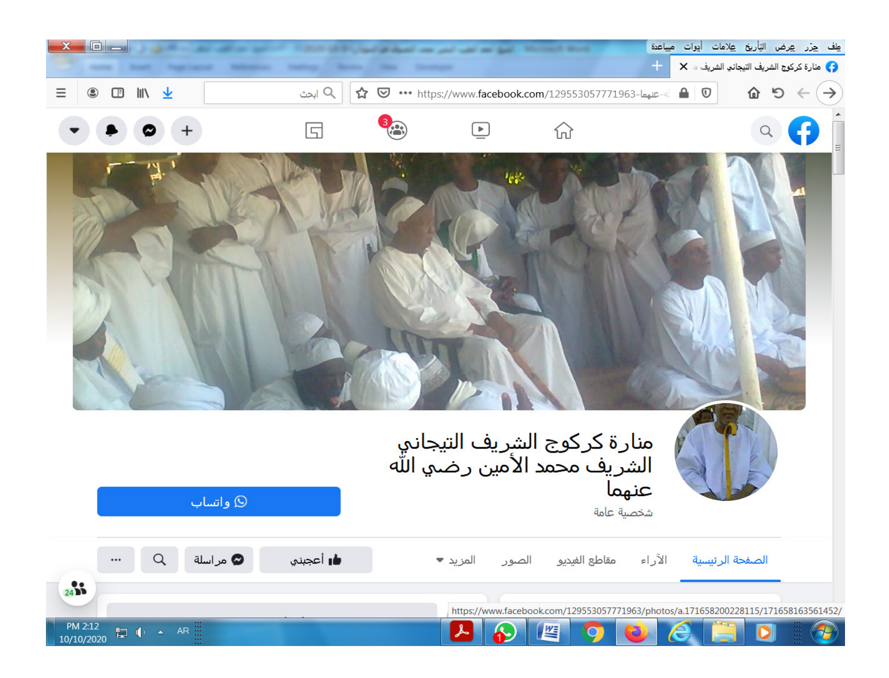
طابت الشيخ عبد المحمود- فيس بوك



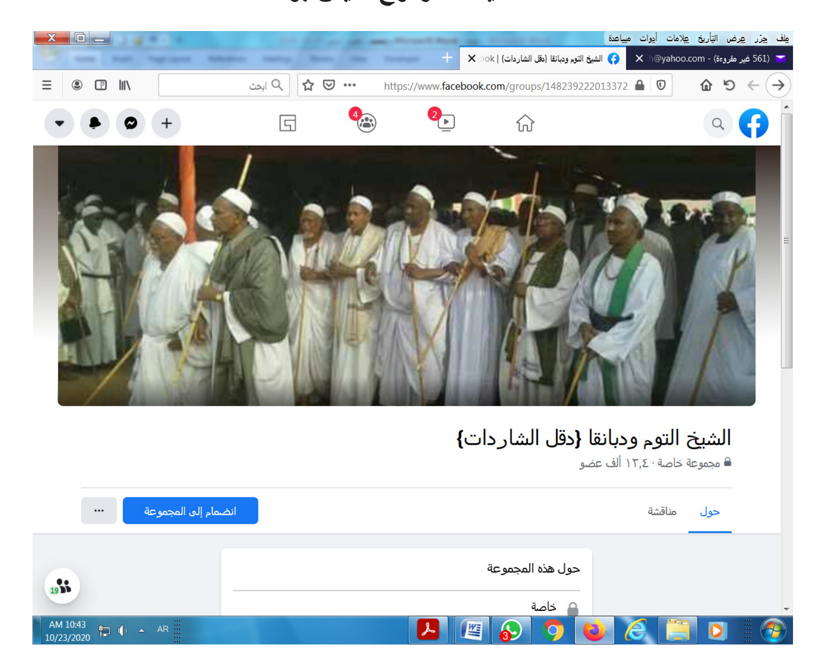
السمانية ودنوباوي- فيس بوك



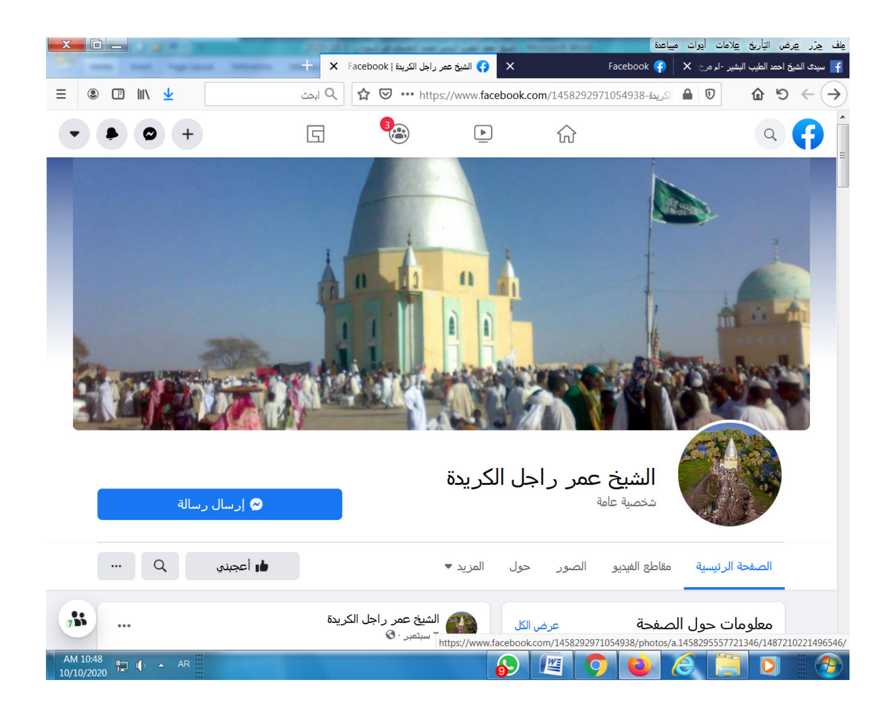
السمانية ودنوباوي – تويتر



السمانية – كركوج- فيس بوك



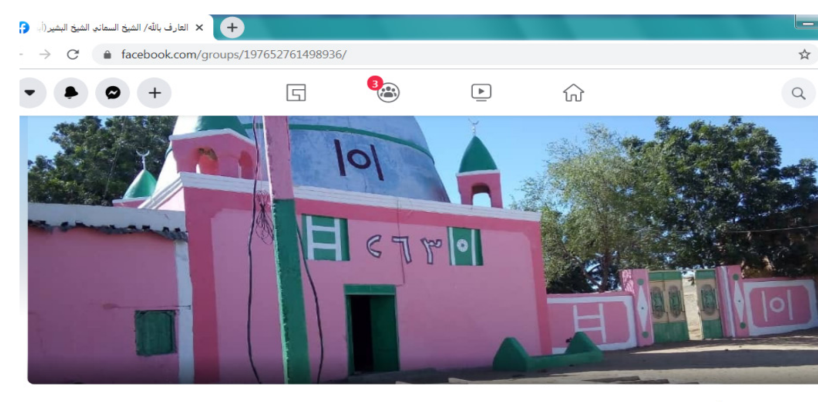
السمانية- الشيخ التوم ودبانقا- فيس بوك



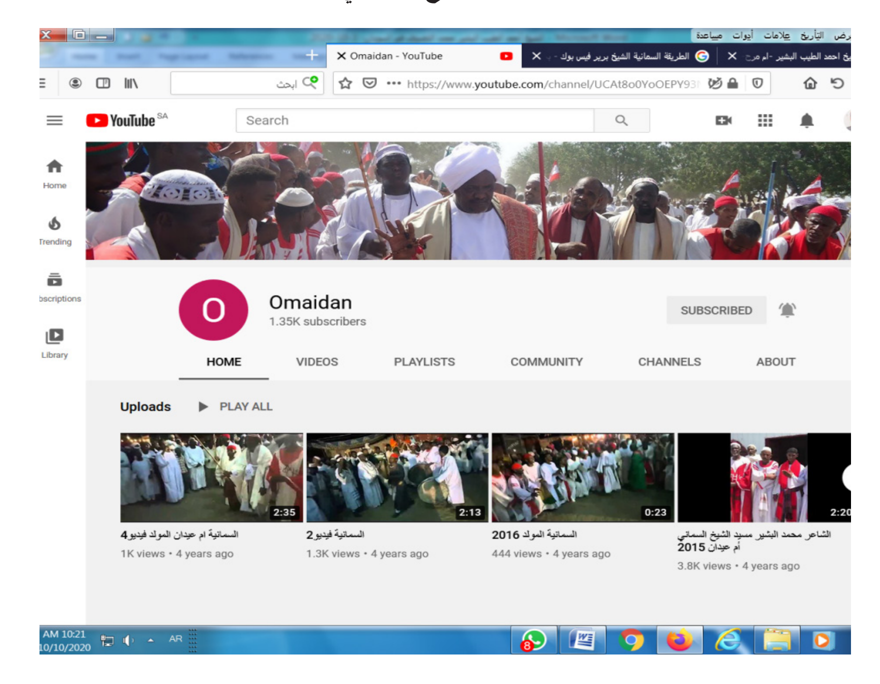
السمانية- الكريدة- فيس بوك



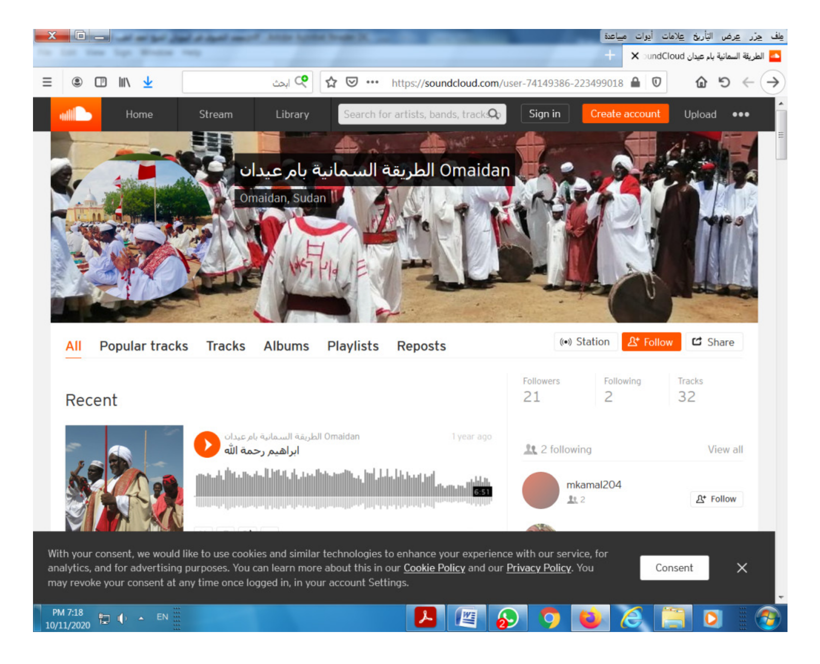
السمانية- شبشة- فيس بوك



السمانية – طابت الشيخ السماني- فيس بوك



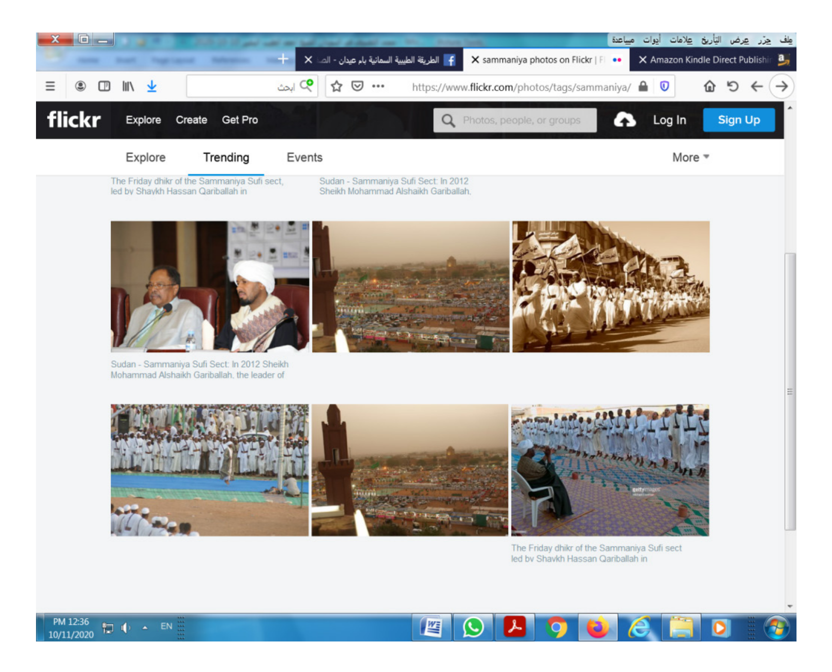
السمانية – أم عيدان- يوتيوب



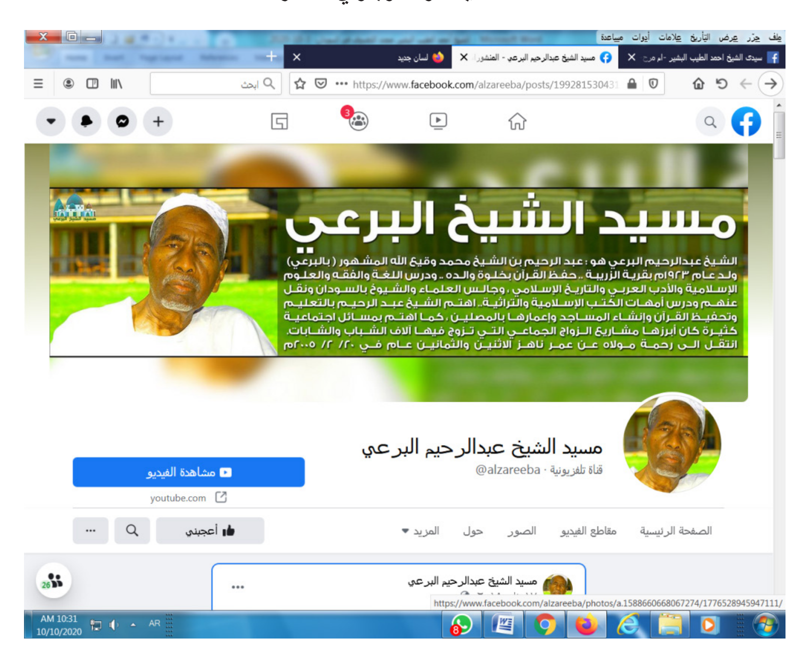
السمانية – أم عيدان- ساوند كلاود



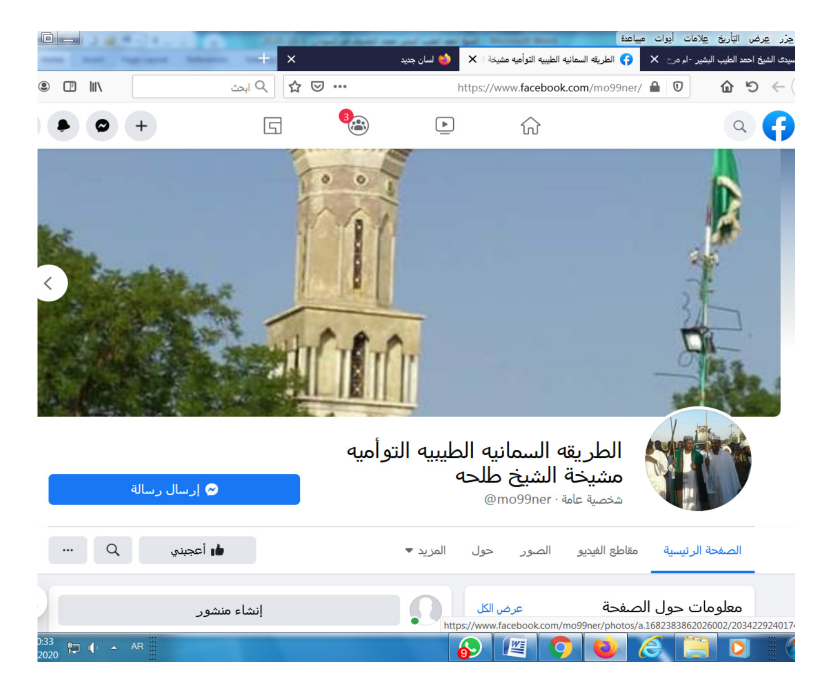
السمانية – أم عيدان- فلكر



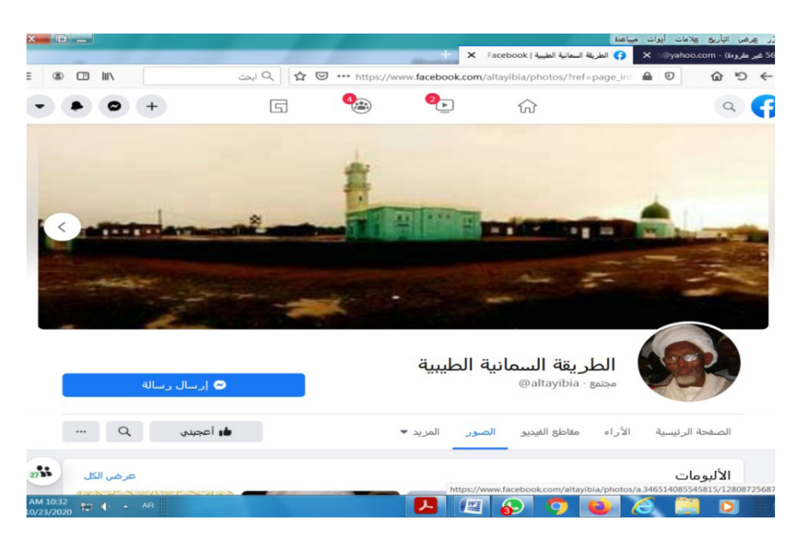
السمانية- ود نوباوي- فلكر



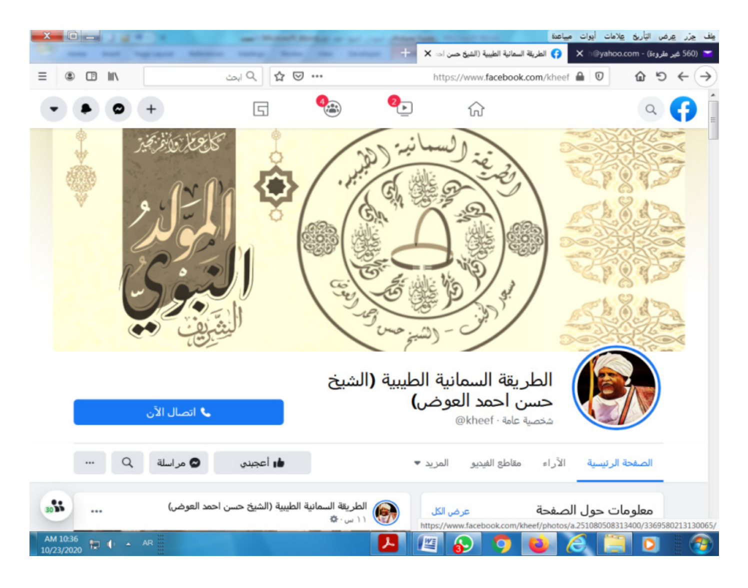
السمانية- الشيخ البرعي- فيس بوك



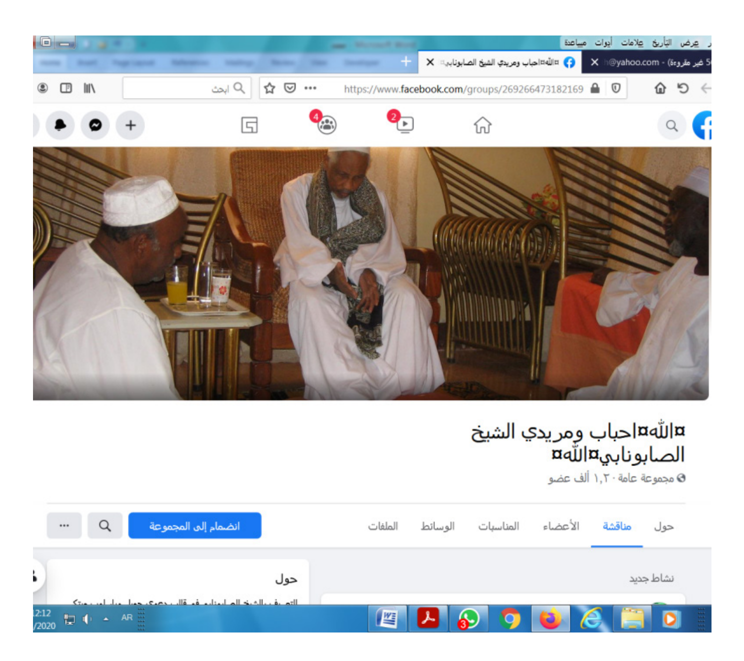
السمانية – الشيخ طلحة- فيس بوك



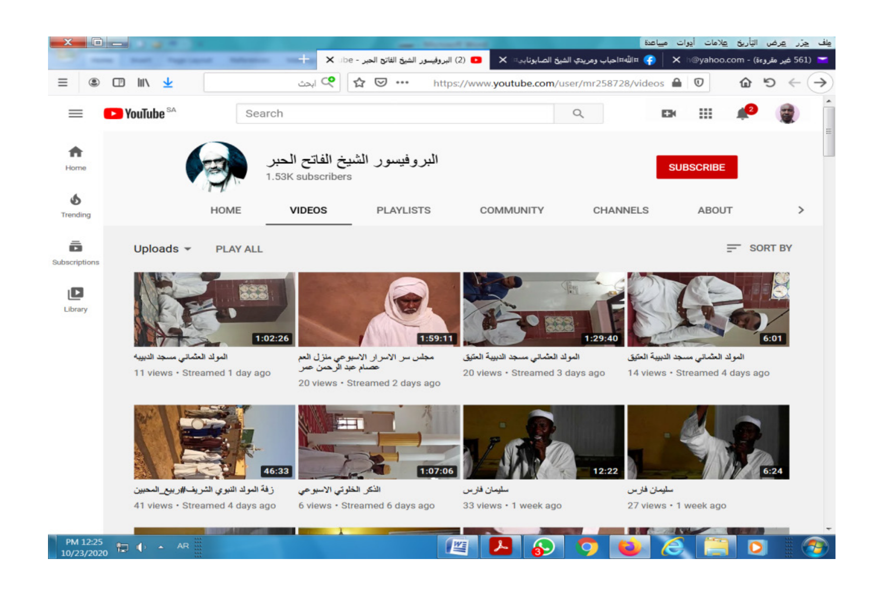
السمانية- أبقمري- فيس بوك



السمانية – مسجد الخيف- أم درمان- فيس بوك



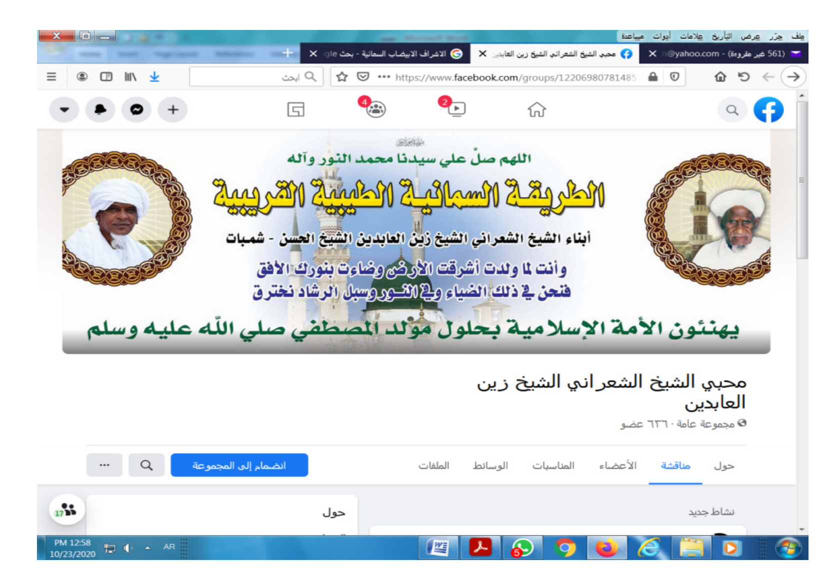
السمانية- الصابونابي- فيس بوك



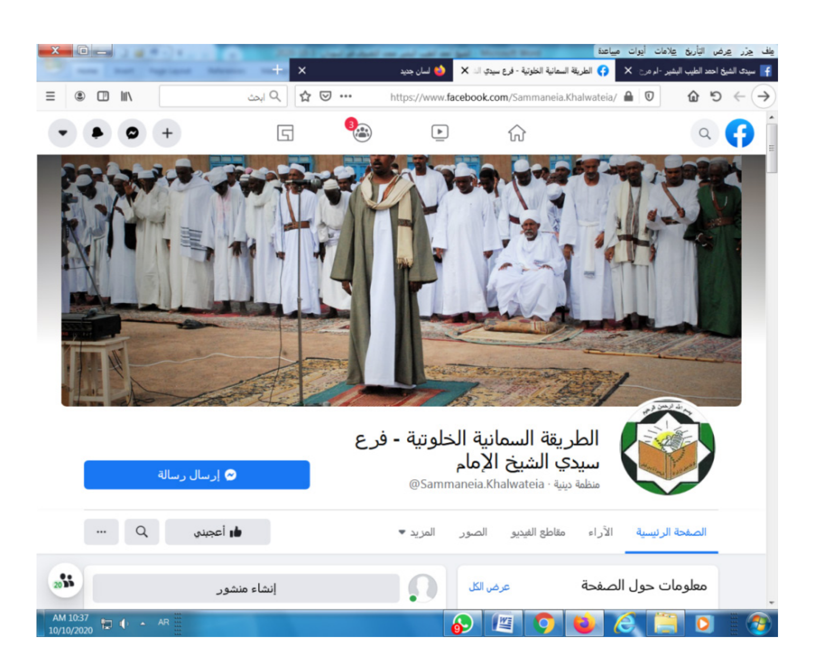
السمانية – الدبيبة- قناة بروفيسور الفاتح الحبر- قناة العلوم شرعية والتصوف



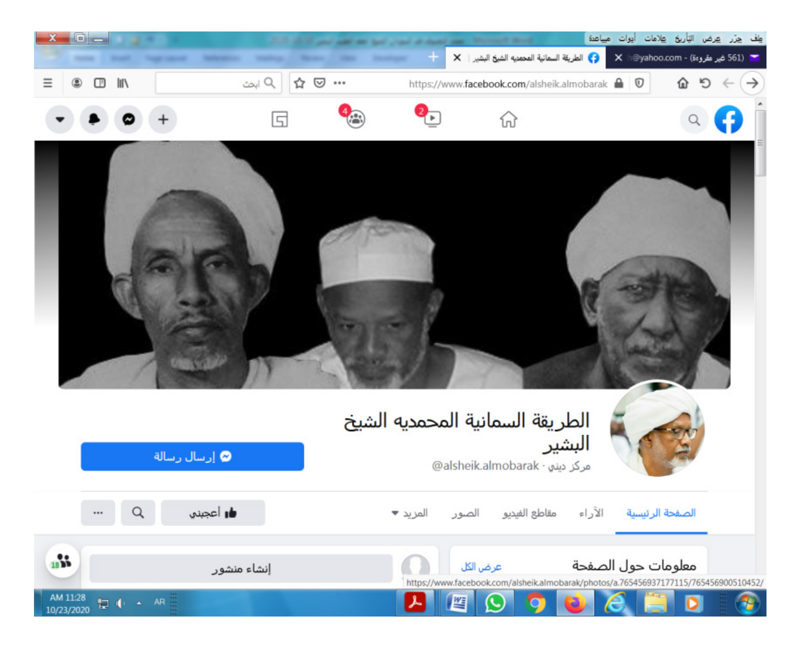
السمانية- ودنوباوي- الشيخ الطيب الشيخ الفاتح- فيس بوك



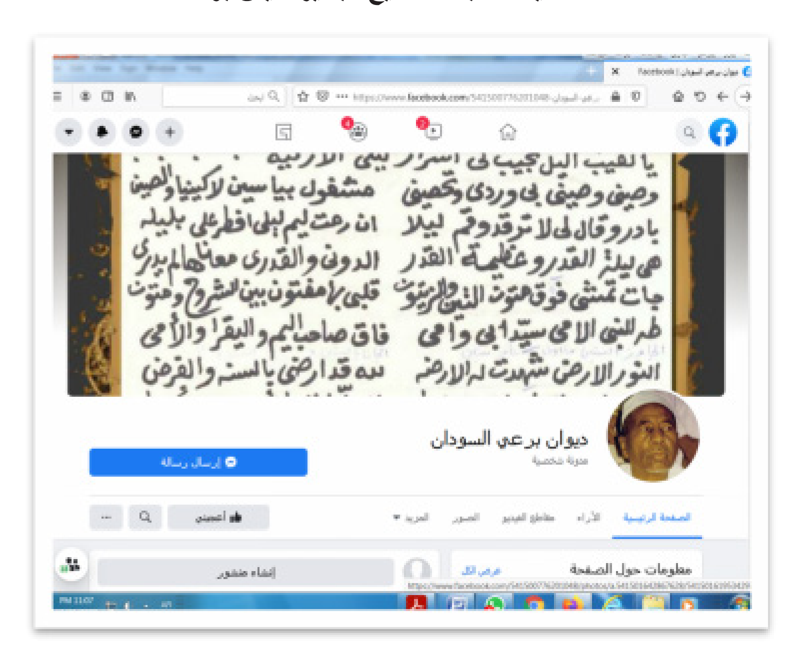
السمانية- شمبات- الشيخ الشعراني الشيخ زين العابدين- فيس بوك



السمانية- الشيخ الياقوت- فيس بوك

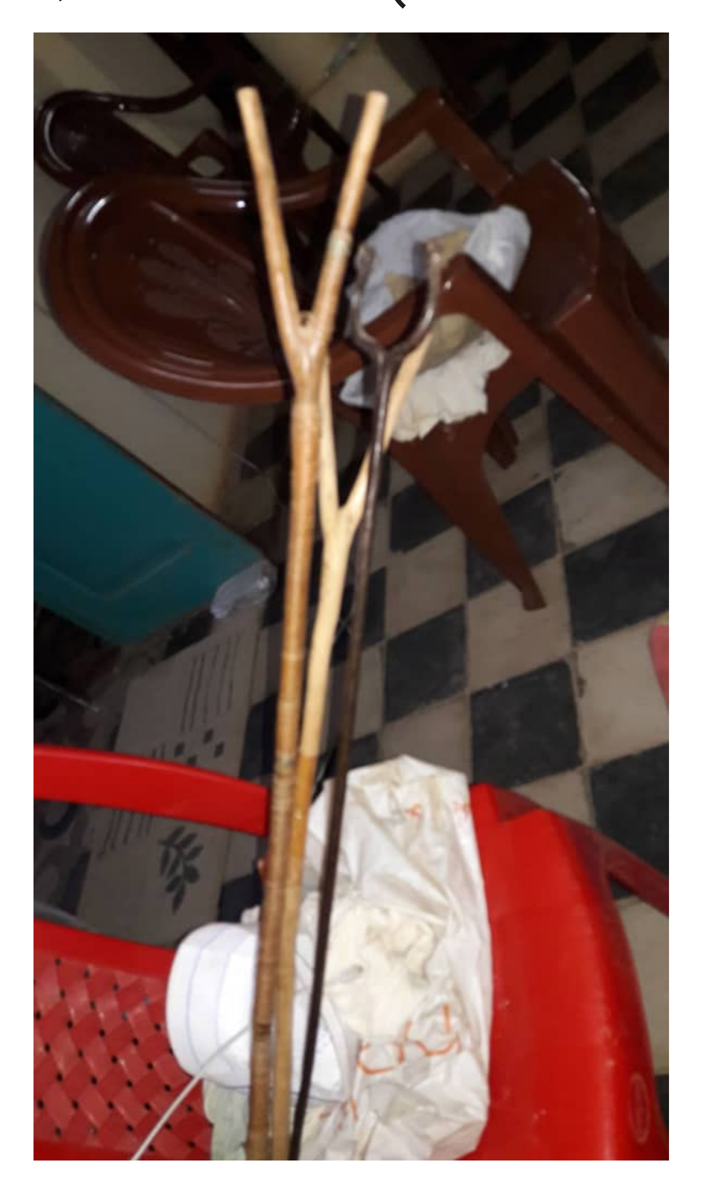


السمانية- شمبات- الشيخ البشير- فيس بوك

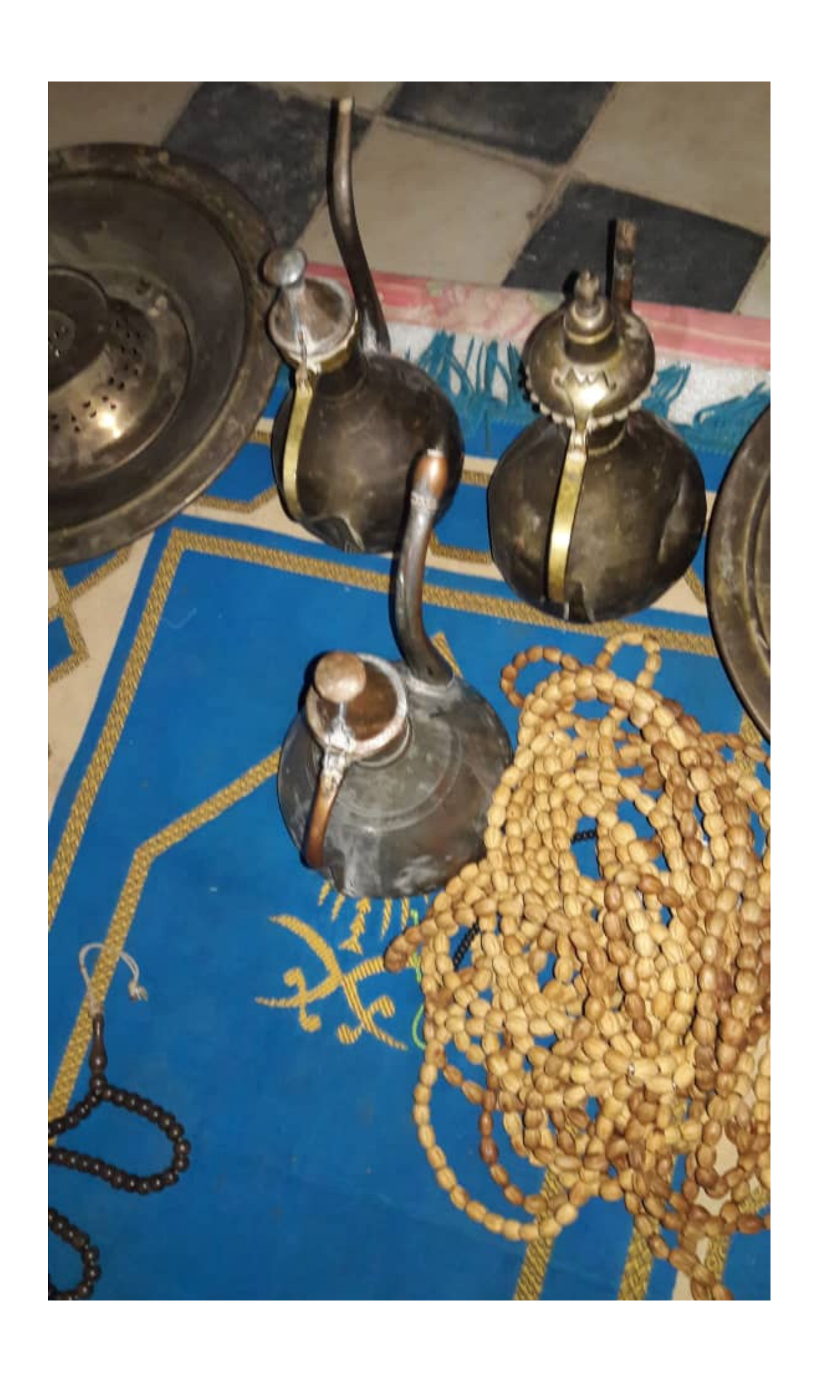


صفحة داووين الشيخ البرعي – فيس بوك

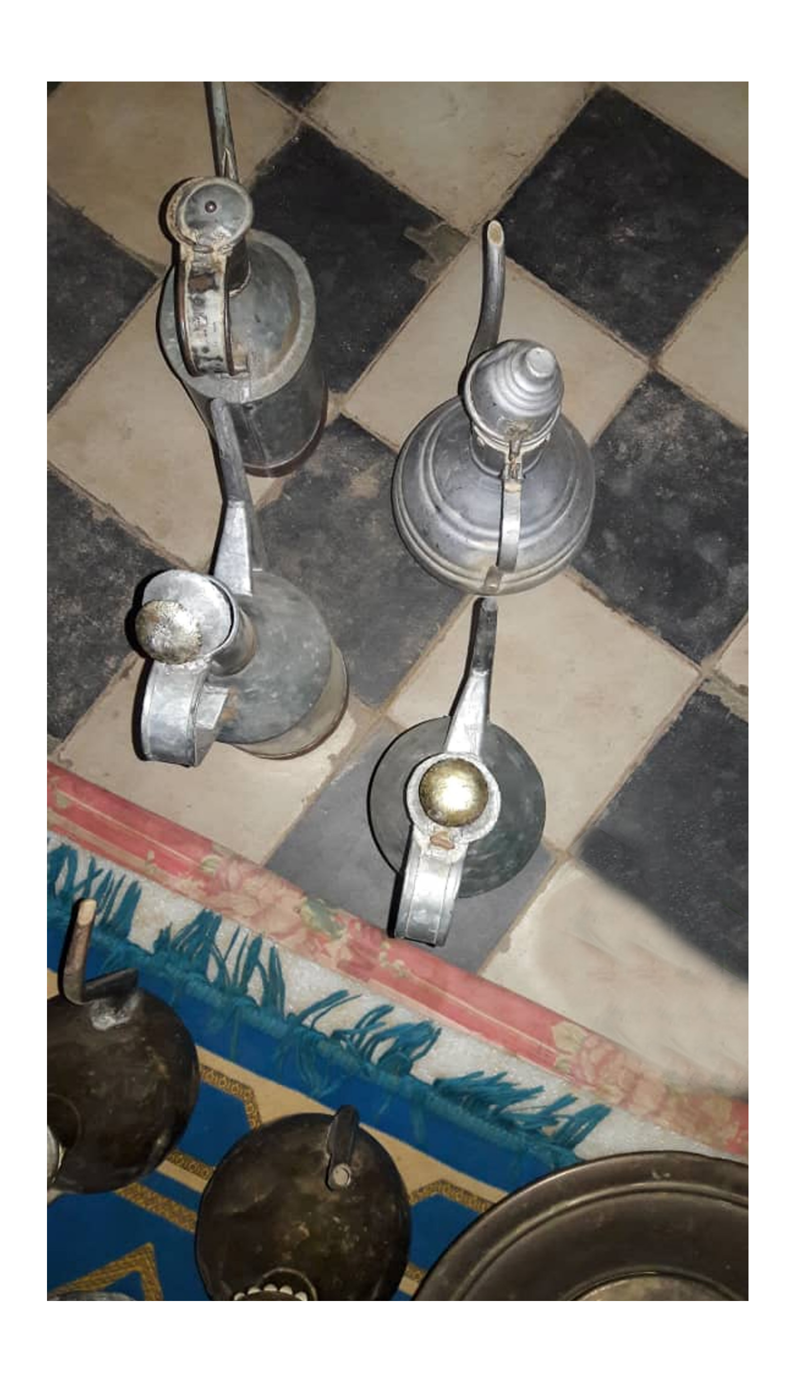
مقتنيات الشيخ أحمد الطيب البشير[1]

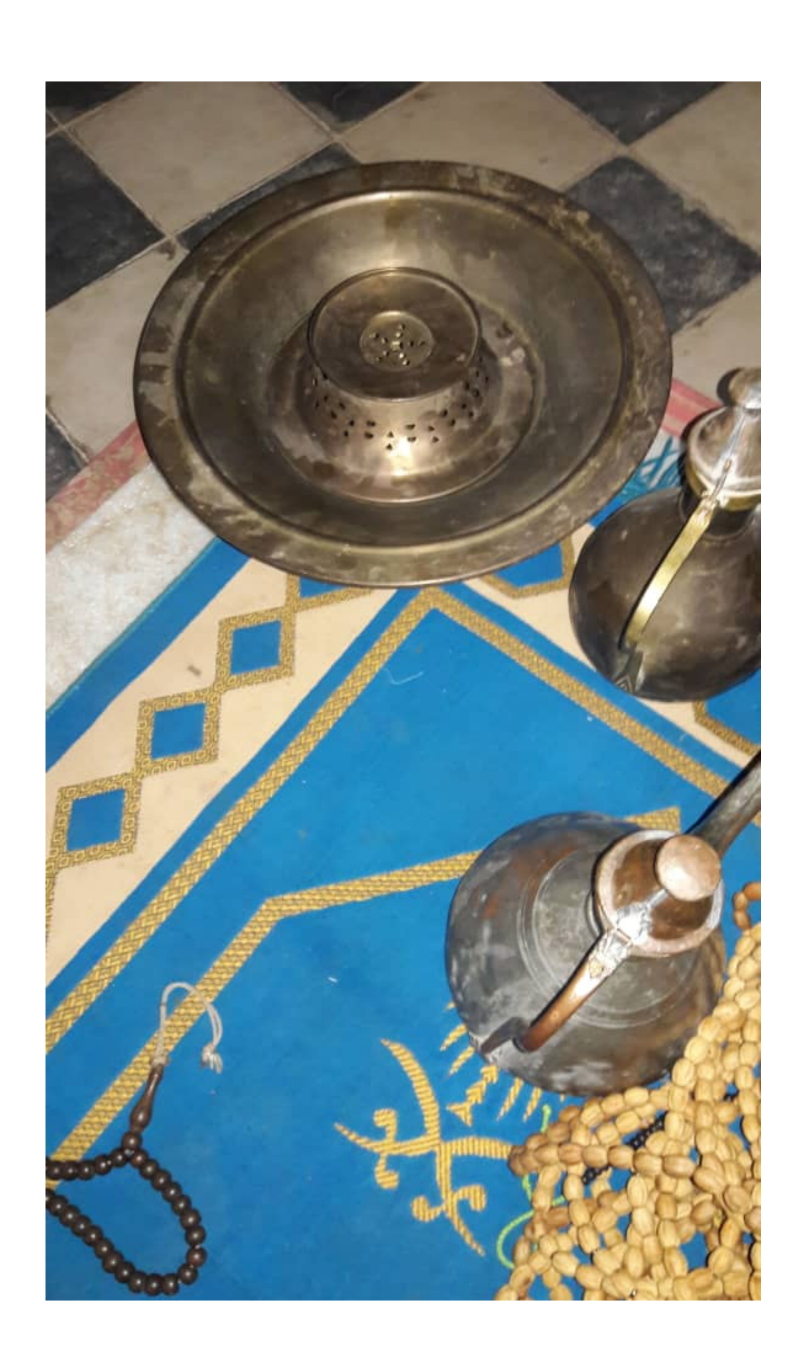


١- أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للشيخ سيف الدولة الشيخ عبد المحمود حفيد العارف بالله سيدي الشيخ إبراهيم الدسوقي والذي تكرم بارسل هذه المقتنيات النادرة للقطب الشيخ أحمد الطيب بن البشير بتاريخ ٢٠٢٠/١٢/٢٧.









ثبت المراجع

١. أبو الطيب الحفياني. حادي العيس. أبورسوة للكمبيوتر. الخرطوم ٢٠١٤م
٢. أحمد الطيب البشير، كتاب الحكم المسمى بالجوهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد، القاهرة (١٩٥٥)
٣. أنس العاقب حامد. الخصائصُ اللحنيةُ والإيقاعيةُ لموسيقَى الطرقِ الصوفيةِ في السودانْالطريقة السمانية أنموذجاً﴾ أطروحة دكتوراه. جامعةُ السودانِللعلومِوالتكنولوجياكليةُالدراساتِالعُليا.٢٠٠٦.ص٨٨/ ٨٩.
٤. الإدريسية وأعلامها "- ٢٢-ابريل - ٢٠١٥م
٥. بانقا الشيخ زين العابدين. أدب سلوك القوم في قصائد العارف بالله سيدي الشيخ التوم. طبع في الإمارات العربية المتحدة. ٢٠٠٧
٦. ت، ١٩٩٣ ص٣١٤
٧. تركي صقر. خواطر وذكريات افريقية. منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة دمشق ٢٠٠٩
٨. حسان بشير حسان. رثاء الأب بين العباسي وأبنيه. ورقة منشورة في مجلة جامعة بحري السنة الثانية- العدد الرابع- ديسمبر ٢٠١٣
٩. حسن الفاتح. الدور الديني والفكري الاجتماعي للطريقة السمانية. ٢٠٠٤
١٠. حسن مكي محمد احمد. في مغزى ومضمون الثقافة السنارية، دراسة تاريخيةتحليليةللحركةالفكريةفيمملكةسنارالإسلامية١٥٠٤ه-١٨٢١م
١١. حسن مكي. أسئلة الهوية والتجديد والاندماج القومي في السودان. * ورقة قدمت في منتدى مركز التنوير المعرفي-الخرطوم- المنعقد بدار المركز يوم ١٨/ ٣/ ٢٠٠٩م
١٢. الحسين النور يوسف. بين شاعر وناقد دراسة في كتاب (مع أبي الطيب) لعبد الله الطيب. ٢٠٠٩
١٣. رابعة محمد عثمان. تاريخ السمانية في السودان- جامعة الخرطوم - كلية التربية - ١٩٩٦
١٤. الزهراء جبر الله محمد. الشيخ محمد التوم ود بانقا ودوره الدعوي في منطقة سنار(١١٨٧-١٢٦٨ ه)- (١٧٦٦-١٨٤٦م). بحث مقدم لنيل درجة

الماجستير الآداب في التاريخ - كلية التربية حنتوب - جامعة الجزيرة - ٢٠١٤
١٥. سالم موسي.ا لمنهج الصوفي في نشر الإسلام في إفريقيا. مقال منشور علي الرابط t٤٦/ topic-http: / /alrawdaalshareefa.ahlamontada.net
١٦. السماني عبد المحمود الحفيان. ديوان «الحان الصفا- بدون تاريخ
١٧. صحيفة الدستور المصرية. المجتمع السوداني تشكله صبغة صوفية خاصة تعمق وجدانه. ١٣ يونيو ٢٠١٦م -على الرابط http: / /www.dostor. org/ ١٠٩٢٥٤٢
١٨. صديق البادي. معالم وأعلام- ١٩٩٢م
١٩. طارق أحمد عثمان. تاريخ الختمية. دار الجيل. ١٩٩٩
٢٠. عبدالحميدبنمحمدعلي. كنزالنجاحوالسرورفيالأدعيةالتيتشرحالصدور. ٢٠٠٩
٢١. عبد الجبار المبارك الحفياني. الأستاذ الشيخ عبد المحمود الشيخ نور الدائم حياته وأثاره. دار السداد للطباعة. ٢٠٠٤.
٢٢. عبد الجليل عبد الله صالح. الشيخ السماني الشيخ البشير «أبو النسيم». مطابع العملة السودانية. ٢٠١٥
٢٣. عبد الجليل عبد الله صالح. الطريقة السمانية المنهج التاريخ والمستقبل. دار الراوي للنشر والتوزيع. القاهرة - ٢٠١٩.
٢٤. عبد الرحمن أبوخريس. عالمية السمانية. ورقة بحثية منشورة دراسات الإسلام و العالم المعاصر - العدد رقم (٩) يناير
٢٥. عبد الرحمن أحمد عثمان. الدرة الثمينة في أخبار الرحلة إلى مكة والمدينة إفادات وفوائد في طريق الحج للشيخ عبد المحمود. عمل بحثي قدم لمؤتمر طرق الحج في إفريقيا متوفر علي الرابط http: / /publications. pdf.iua.edu.sd /iua_conference /alhaj /book٥
٢٦. عبد الرحيم البرعي. ديوان رياض الجنة ونور الدجنّة. الناشر مركز الأسباط للإنتاج الإعلامي والنشر.الطبعة الخامسة ٢٠١٢
٢٧. عَبدُ الْعَزِيزِ مُختَار إبرَاهِيم العَصْرَانِيُوْنَ وَ مَفْهُوْم تَجْدِيْدِ الدِّيْنِكُلِّيَةُ التَّربيةِ والآدَابِ/ قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الإسلامية جَامِعَةِ تَبُوكَ الطبعة الثانية وآخر تعديل في ٢٢/ ١/
٢٨. عَبدُ الْعَزِيزِ مُختَار إبرَاهِيم العَصْرَانِيُوْنَ وَ مَفْهُوْم تَجْدِيْدِ الدِّيْنِكُلِّيَةُ التَّربيةِ

والآدَابِ/ قِسْمِ الدِّرَاسَاتِ الإسلامية جَامِعَةِ تَبُوك الطبعة الثانية وآخر تعديل في ٢٢/ ١/ ١٤٣٣

٢٩. عبد القادر محمود. الفكر الصوفي في السودان. دار الفكر العربي. ١٩٦٩م
٣٠. عبد اللطيف البوني وعبد اللطيف سعيد. البرعي رجل الوقت - ٢٠٠٤
٣١. عبد اللطيف بكري شيخون الليثي. مقال بجريدة " أخبار الجنوب الحديثة " عن " الأسرة الشيخونية
٣٢. عبد المحمود الحفيان. الوصية. الطبعة السابعة دمشق ٢٠٠٧. الناشر المجلس القومي للذكر والذاكرين.
٣٣. عبد المحمود نور الدائم. الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة
٣٤. عبد المحمود نور الدائم. المناقب الصغرى لسيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير. دمشق ٢٠٠٧.
٣٥. عبدالله يعقوب. مشاعل الصوفية عند اليعقوباب- الخرطوم- ١٩٩٢
٣٦. عثمان أحمد عثمان. مسيد شيخ اسأمه الشيخ حمزة - مقال في الشبكة العنكبوتية - ٢٠٠٧.
٣٧. عثمان البشير الكباشي. مقال منشور بعنوان الشيخ الجيلي طابت ... وهل في جناح بعوضة غناء؟-- ١٧ - ٨- ٢٠١٧
٣٨. عثمان جمال الدين. كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان. دراسة تاريخية حول مكانة كتاب الطبقات في تاريخ الثقافة السودانية وعلاقته بالفلكلور. مجلة دراسات افريقية.
٣٩. عدنان محمد إمامة. التجديد في الفكر الإسلامي. رسالة دكتوراة منشورة - كلية الإمام الأوزاعي - بيروت- ٢٠٠١
٤٠. علي آل طالب. مؤتمر اتجاهات التجديد والإصلاح في الفكر الإسلامي الحديث. متاح على الرابط http: / /www.kalema.net /v١/ ?rpt=٩٠٩&art
٤١. فدوى عبد الرحمن علي طه. الطرق الصوفية في السودان. بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير وحدة الترجمة كلية الآداب - جامعة الخرطوم- ٢٠٠٢
٤٢. فوزي محمد العبيد. المنهج الصوفي والحياة العصرية.
٤٣. قمر الدولة زين العابدين محمد. أحمد الطيب بن البشير قدس الله سره (١١٥٥هـ- ١٢٣٩هـ- ١٧٤٢- ١٨٣٢م) آراؤه الكلامية وحكمة العرفانية. رسالة

دكتوارة غير منشورة - جامعة أم درمان الإسلامية ٢٠٠٣م.
٤٤. قيصر موسى الزين. الفكر الديني في السودان في القرن العشرين. مركز التنوير المعرفي- سلسلة حوارات التنوير. ٢٠١٠.
٤٥. كمال بابكر عبد الرحمن. الطريقة السمانية في السودان. ١٩٧٦
٤٦. ماجد الغرباوي. إشكاليات التجديد. دار الهادي ٢٠٠١،
٤٧. مجدي بن محمد بن علي. التجديد في علم التزكية والتصوف. رسالة منشورة على الرابط/ http: / /dar-eslah.com /index.php /messages/ WabmWrIjG١s.#٦٧ /group-a
٤٨. محمد آدم عبد الرحمنمملكة الفونج و دورها في نشر العلوم الإسلامية في السودان
٤٩. محمد سعيد القدال. الإمام المهدي- لوحة لثائر سوداني. الدار السودانية للكتب ٢٠٠٣م.
٥٠. محمدعبدالرحمنبعيو. الرحلة الحجازية. الناشر المكتبة الأزهرية- ٢٠١٢
٥١. محمد فاروق النبهان. من هو المجدد الصوفي. متوفر على الرابط http: / / ٪www.dr-mfalnbhan.com /٪D٨
٥٢. مركز الخاتم عدلان. ندوة علاقة السياسة بالدين. ١٠-٤-٢٠١١ على الرابط &٣٥٠=٢bb.cgi?seq=print&board /http: / /sudaneseonline.com /cgi-bin /sdb =rn&١٣١٨٦٢٣٨٨٧=msg
٥٣. منصور خالد. كلمة ألقيت في تأبين الشيخ حسن الفاتح ٢٧ -مارس- ٢٠٠٦م
٥٤. مهاد بخيت سليمان. آثار الطريقة السمانية في طابت الشيخ عبد المحمود. بحث تكميلي قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة الخرطوم- ٢٠١٢
٥٥. مهدي حامد أحمد محمد. المراكز الدينية في السلطنة الزرقاء ودورها في نشر الإسلام مجلة بخت الرضا العلمية العدد الرابع عشر ٢٠١٥م
٥٦. نصر الدين سليمان علي فضل. دراسات فكرية في التصوف بالسودان أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السودان. دار عزة للنشر والتوزيع. ٢٠٠٧، ص ٧٠
٥٧. يحيى محمد إبراهيم. مدرسة احمد بن إدريس أثرها في السودان. دار الجيل بيروت، ١٩٩٣ ص٣٠٦

مراجع باللغة الأجنبية

58. Abdulgalil.A. Salih. The Sammaniyya:Doctrine، History&Future. Sudan Currency for printing.
59. Amani M. Obeid. Middle Class and Sufism: The Case Study of the Sammaniyya Order Branch of ShaikhAl Bur'ai. A Dissertation submitted for the fulfillment of the requirements of the PhD Degree in Political Science، University of Khartoum May 2008. p.143
60. Amani Mohammad El-Obeid. The Sammaniyya politics and doctrine. PhD thesis Khartoum University، 1997
61. http://arabic.alshahid.net/columnists/62942
62. http://alintibaha.net/index.php/.html
63. http://mourassiloun.com/www/node/14964
64. http://www.arkokabay.com/news/index.php?option=com_content&view=article&id=392:2011-37-16-13-01-51&catid=79:literarypage-ar&Item
65. http://www.drmoiz.com/phpBB2/viewtopic.php?f=1&t=19973&start=2
66. http://www.islam4africa.net/ar/more.php?cat_id=18&art_id=105
67. http://www.mohameddawood.com/Article/view.aspx?ID=987&Section=%D98%D8%B920%%D8%A7%D984% %D984% %D987%
68. http://www.tabatalmahmoud.com/vb/archive/index.php/t-66.html
69. https://arar.facebook.com/mauqi.alsiyada/posts/267459093441421

70. https://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/miscellaneous/harakt_altajdid_walistenhad/page/lesson2.htm
71. https://www.facebook.com/islamwattan2/posts/484076041661827
72. Mohammad. A. Mahmoud. Quest for Divinity. A critical Examination of the Thought of Mahmoud.M.Taha. Syracuse University Press. 2007



نبذة عن المؤلف

الدكتور عبد الجليل عبد الله صالح

ولد ونشأ في عمارة الحاج عبد الله منطقة الحاج عبد الله جنوب الجزيرة. تخرج في جامعة الخرطوم كلية التربية قسم اللغة الانجليزية ونال بكالوريوس الشرف في تدريس اللغة الانجليزية كلغة أجنبية في العام (1999). حصل من نفس الجامعة على درجة الدبلوم العالي في تدريس اللغة الانجليزية في العام (2002). ثم نال علي درجة الماجستير في تدريس اللغة الانجليزية كلغة أجنبية (TEFL) (2004) في جامعة جوبا . التحق للعمل كمحاضر في العام 2004 في جامعة دنقلا كلية التربية قسم اللغة الانجليزية. ونال من نفس الجامعة درجة الدكتورة في تدريس اللغة الانجليزية كلغة أجنبية (2008). عمل رئيسا لقسم اللغة الانجليزية بالكلية وعضوا بكلية الدراسات العليا بالجامعة نفسها. ترقي لدرجة الأستاذ المساعد في العام 2008. في عام 2009 أنتقل لجامعة الجزيرة ليعمل في قسم اللغة الانجليزية بكلية التربية الحصاحيصا. في العام 2013 أعير للعمل في جامعة المرقب (ليبيا) – كلية الآداب قسم اللغة الانجليزية. شارك في تدريس العديد من برامج الماجستير والدبلوم العالي بالجامعة كما أشرف علي العديد من الرسائل الجامعية في عدد من الجامعات السودانية.

The Sammaniyya: Doctrine, History and Future (2015).
The Mystical and Philosophical Thoughts of Muhammad b. Abd al-Karim al-Samman Paperback (2017)
The Revivalist of Sufism in Sudan (English) Paperback (2018)
Shaykh Abd al-Mahmud Shaykh Nur al-Daim al-Tayyibi: His Scholarly, Religious & Social legacy (2020)
Bura'i of Sudan: An Anthology of his Sufi Praise Poetry 1923-2005 (2020)

وصدر له باللغة العربية :

الشيخ السماني الشيخ البشير (أبو النسيم) (2016) .
الشيخ البكري الشيخ السماني (2018)
لمحات من الشعر الصوفي بام عيدان (2019)
الطريقة السمانية: المنهج، التاريخ والمستقبل (2017)
الترابي والصوفية في السودان إختلاف منهجين (2019)



2020